

المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب

علمية - دورية - محكّمة

في هذا العدد



السنة ١٣

المجلد ١٣ العدد ٢٦ رجب ١٤١٩هـ تصدر عن أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية

قواعـــد النشـــر

تهتم المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب بصفة عامة بنشر البحوث والمقالات والتقارير العلمية والدراسات في مجال العلوم الأمنية والتدريب، كما تهتم بتزويد المشتغلين في الميادين الأمنية بالحقائق العلمية والتقنيات الحديثة واستخدامها

وتحقيقاً لهذا، تنشر المجلة:

١ - البحوث والمقالات المتعلقة بالأمن والتدريب

٢ - مراجعات الكتب

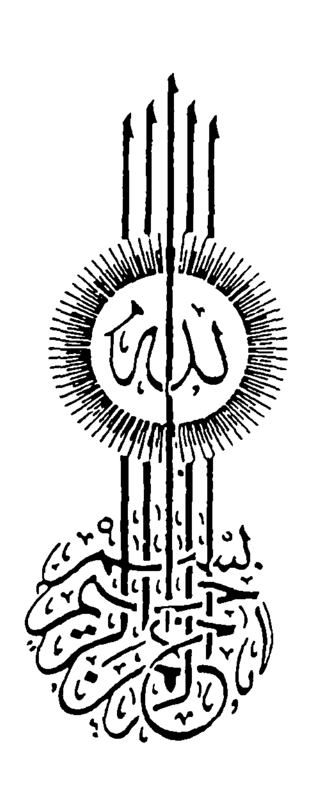
٣ - التقارير العلمية عن المؤتمرات والندوات والحلقات العلمية والدورات التدريبية.

تعليمـــات عامـــة:

* يقدم الأصل المطلوب نشره مطبوعاً من نسختين. ويجوز نشر المقالات أو بحوث باللغة الانجليزية أو الفرنسية، وفي هذه الحالة يرفق بالبحث ملخص باللغة العربية
* يراعى ألاّ يزيد عدد صفحات البحث أو المقال على ثلاثين صفحة من القطع المتوسط وألاّ يكون قد سبق نشره أو قدم إلى جهة ناشرة وأن تكون مراجعات الكتب وتقييمها في حدود عشر صفحات والتقارير العلمية في حدود خمس صفحات من القطع المتوسط ويحمل كل بحث أو مقال عنوان واسم الباحث أو الخبير ونبذة عن مؤهلاته وخبراته العلمية
* لا ترد أصول البحوث أو المقالات أو مراجعات الكتب أو التقارير العلمية إلى أصحابها سواء قبلت للنشر، أم لم تقبل
* يخطر صاحب البحث أو المقال أو المراجعة أو التقرير العلمي بقبول النشر، أورفضه وتصرف له مكافأة في حالة النشر.
* تعبر البحوث أوالمقالات أو المراجعات أو التقارير العلمية عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.
* يجب أن يكون البحث أو المقال سليماً من ناحية منهجه العلمي موثقاً توثيقاً علمياً سليماً. وأن يتسم بالجدة في المضمون، أو العرض مع التأصيل وأن يكون معداً خلال السنوات الخمس السابقة على تقديمه للنشر
* تعطى الأولوية في النشر للبحوث أو المقالات حسب تاريخ ورودها للمجلة.
* ترسل البحوث والمقالات والمراجعات التقييمية والتقارير العلمية عن الندوات والمؤتمرات والحلقات العلمية والدورات التدريبية المقدمة للنشر بالمجلة إلى. سكرتير تحرير المجلة على العنوان التالي

أكاديمية نايف العربيةللعلوم الأمنية - سكرتير تحرير المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب

ص.ب: ٦٨٣٠ - الرياض: ١١٤٥٢ - هاتف: ٢٤٦٣٤٤٤/ ١٤٦١-١١٧٣ فاكس: ٢٤٦٤٧١٣



المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب

علميـة ـ دوريـة ـ محكّمـة

العدد السادس والعشرون رجب م ١٤١٩هـ
الموافق نوفمبر ١٩٩٨م

تصدر عن أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية

المجلة العربية
للدراسات الأمنية والتدريب

علميـة ـ دوريـة ـ محكّمـة

المحتويـــــات



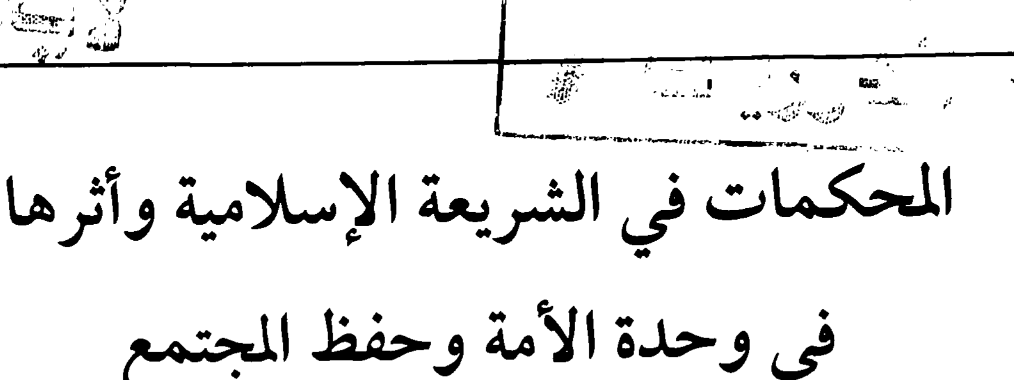
■ البحوث والمقالات:

■ مراجعات الكتب:

■ التقارير العلمية:

■ ملخص الأبحاث باللغة الانجليزية:

□ البحوث والمقالات



المحكمات في الشريعة الإسلامية وأثرها في وحدة الأمة وحفظ المجتمع

د. عابد محمد السفياني(*)

المقدمـــة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن ولاه أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد شرع هذه الشريعة المباركة لتحقيق مصالح عباده، وهو العليم الحكيم، قال سبحانه ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما﴾[١]، وقال تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿. . ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم. . ﴾[٣].

وقد جعل الله كل شريعة محققة لمقاصد عظيمة، فقال سبحانه في «الصيام» ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[٤].

(*) كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية

(١) سورة النساء، الآية ١٦٥ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧

(٣) سورة المائدة، الآية ٦ .

(٤) سورة البقرة، الآية ١٨٣ .

وقال في الصلاة: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾[١]، وقال في شريعة القصاص: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾[٢].

وحفظ الله هذه الشريعة المباركة فقال سبحانه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[٣].

وأحكم آياته ومنعها من الخلل والفساد وحفظها متقنة بينة كما قال سبحانه: ﴿آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾[٤].

وكما حفظ الله القرآن حفظ بيانه الذي هو السنة فكل واحد منها يعضد بعضاً ويشد بعضه بعضاً.

قال الإمام الشاطبي: «فأخبر الله أنه يحفظ آياته ويحكمها حتى لا يخالطها غيرها، ولا يداخلها التغيير ولا التبديل، والسنة وإن لم تذكر[٥]، فإنها مبنيّة له ودائرة حوله، فهي منه وإليه ترجع في معانيها، فكل واحد من الكتاب والسنة يعضد بعضه بعضاً ويشد بعضه بعضاً» ثم يذكر أدلة حفظ الشريعة وقال: «وهو كله من جملة الحفظ دائم إلى أن تقوم الساعة»[٦].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٧٩.

(٣) سورة الحجر، الآية ٩.

(٤) سورة هود، الآية ١

(٥) أي في آية الحفظ في قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(الحجر، ٩).

(٦) الموافقات (٢/ ٥٨ ـ ٥٩).

وموضوعنا هذا ـ الذي اخترنا أن يكون عنوانه «المحكمات في الشريعة وأثرها في وحدة الأمة وحفظ المجتمع» يمكننا من دراسة جانب من مقاصد الشريعة، والطريق الذي يحقق ذلك هو: التعريف «بالمحكمات» عند علماء الشريعة والكشف عن أقوالهم ومذاهبهم واتجاهاتهم، وبيان أثر ذلك في وحدة الأمة وحفظ المجتمع.

ونذكر هنا أسباب اختيار هذا الموضوع:

١ ـ دراسة أقوال علماء الأصول حول هذا الموضوع والمقارنة بين مذاهبهم، والكشف عن اتجاهاتهم مع التحليل والمناقشة والترجيح.

٢ ـ إن «المحكمات» في الشريعة جاءت بحفظ الضروريات الخمس (الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال) وبحفظها يحفظ المجتمع، ومن المناسب بيان منزلة المحكمات عند علماء الشريعة، وكيف تؤدي إلى حفظ الضروريات.

٣ ـ إن حفظ المجتمع مسئولية أفراده، وهؤلاء الأفراد لابد أن يكون لهم علم صحيح بتلك المحكمات حتى يشاركوا في حفظ الضروريات ويتحملوا مسئوليتهم على علم وبصيرة، فكان من المهم أن ندرس وضع «المحكمات» في الشريعة الإسلامية، وخصائصها وصفاتها وكيف تكون أساساً لتفكير عموم المكلفين في جميع مستوياتهم وهل المحكمات من علم العامة والخاصة أم من علم الخاصة دون العامة؟

٤ ـ إننا أمام التشتت الفكري والعقدي الذي يعيشه العالم اليوم بسبب تعدد الثقافات البشرية واختلافها وقصورها، وتأثير واقع تلك المجتمعات في إنشاء تلك الثقافات، حتى صبغت بالصبغة المادية، وكثير منها اتجه إلى الإباحية ـ والفوضوية ـ حيث أطلقت الحريات عن ضوابطها

الشرعية، وانتشرت «الجريمة» في العالم وعجزت الثقافات والتشريعات البشرية عن رد الإنسان عن الشبهات والشهوات، فكان من المناسب التعريف «بالمحكمات» التي وضعها الشارع أصلاً وعاصماً من ذلك كله مع مراعاة اختلاف العصور والمجتمعات.

٥ ـ ويتفرع هذا السبب سبب آخر، ألا وهو كثرة الاختلاف والتنازع في الفكر الإسلامي المعاصر، لأمور لا مجال لمبيانها في هذا الموضوع، ويعتذر كثير من الكتاب والمثقفين بأن «الاختلاف السائغ في الفقه الإسلامي» لم ينقطع في أي عصر من العصور، ونحن مع التسليم بذلك، ونرى من الضروري دراسة موضوع المحكمات لنصل إلى التحقيق في حجم تلك الخلافات وتحديد دائرة الاجتهاد، ونجيب على هذا السؤال وهو: هل ننظر للإسلام ومقاصده الأساسية من خلال الاجتهادات والخلافيات، أم الواجب تقديم الإسلام في التطبيق والدعوة من خلال المحكمات والأساسيات.

٦ ـ حاجة المسلمين في جميع بقاع الأرض إلى الوحدة، ومعرفة القاعدة الأساس التي تقوم عليها، وقد كثر اختلاف الطوائف في فهم الإسلام وفي موقفهم على سبيل المثال من تطبيق الشريعة[1]، وهذا البحث بمشيئة الله وتوفيقه يقدم دراسة تطبيقية عملية لتحقيق الوحدة الإسلامية الصحيحة.

هذه الأسباب تكشف عن أهمية دراسة موضوع «المحكمات» من الناحية العلمية الأصولية، ومن الناحية التطبيقية الفقهية، وأثر ذلك كله

---

(١) جرت محاولات كثيرة لتوحيد التشريع ومنه النظام الجنائي ولكنها لم تحقق الأهداف المرجوة منها انظر (٢٠) من أصول قانون العقوبات في الدول العربية.

على تحقيق مقاصد الشريعة في واقع الأمة من حيث وحدتها ومن حيث حفظ مجتمعاتها.

وقد بسطت القول في ذكر هذه الأسباب بياناً لأهداف هذا الموضوع، وتيسيراً للقارىء غير المتخصص في الفقه والأصول بحيث يشاركنا في متابعة الدراسة والمناقشة.

وقد جعلت خطة هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس علمية.

خطة البحث: مقدمة فيها ذكر أسباب اختيار الموضوع وأهميته وخطة البحث ومنهجه.

تمهيد: في كون الشريعة بينات وهدى.

الفصل الأول: المحكم عند الأصوليين.

المبحث الأول: مذاهب الأصوليين وأدلتهم.

المبحث الثاني: المناقشة والترجيح.

الفصل الثاني: تطبيقات للمحكمات.

المبحث الأول: التطبيقات.

المبحث الثاني: خصائص المحكمات.

المبحث الثالث: الاتجاهات في تفسير المحكم.

الفصل الثالث: المحكمات وأثرها في وحدة الأمة وحفظ المجتمع.

المبحث الأول: أثر المحكمات في وحدة الأمة.

المبحث الثاني: أثر المحكمات في حفظ المجتمع.

نتائج البحث، الفهارس.

منهج البحث:

١ ـ عرض أقوال ومذاهب علماء أصول الفقه في المحكم.

٢ ـ الاستدلال لكل قول مع عرض الأدلة.

٣ ـ التحليل والمقارنة والمناقشة والترجيح.

٤ ـ إبراز اتجاهات علماء الشريعة في دراسة المحكمات، والعناية ببيان مقاصدها، مع عرض تطبيقات للمحكم.

٥ ـ الرجوع إلى المصادر الأصلية المعتمدة لكل مذهب.

٦ ـ جعلت المعلومات الكاملة عن المصادر في الفهرس الخاص بها.

٧ ـ تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية.

٨ ـ وضع خاتمة للبحث أذكر فيها أهم النتائج.

٩ ـ وضع فهرس للمراجع، وآخر للموضوعات.

وقد حرصت بقدر الإمكان على تيسير أسلوب البحث ليكون أعم في النفع والفائدة، مع المحافظة على الأسلوب العلمي المتبع في البحوث العلمية، والعناية بإبراز مقاصد الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بموضوع البحث، فإن وفقت فيما أوردت فذلك فضل من الله وحده وله الحمد والشكر، ونسأله القبول، وإن قصر جهدي عن ذلك فآمل من أهل العلم أن يقدموا ملاحظاتهم لي للاستفادة منها، راجياً من الله سبحانه التوفيق والسداد.

تمهيـــــد:

الشريعة بينات وهدى

بيَّن أهل العلم أن الشريعة الإسلامية بينات من الهدى والفرقان وحجة على الخلق في جميع ما يحتاجون إليه، قال تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات﴾[(١)]، وقال سبحانه ﴿وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون﴾[(٢)]، وقال عز من قائل: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾[(٣)].

ودلَّت هذه الآيات أن الشريعة الإسلامية بينات وهدى للناس، وهذا الوصف منتشر في القرآن في مواضع كثيرة والبيان في لغة العرب «ما بيّن به الشيء من الدلالة وغيرها. وبأن الشيء بياناً اتضح فهو بيّن»، واستبان الشيء ظهر وفي المثل: قد بيّن الصبح لذي عينين أي تبين، والتبيين: الإيضاح، والتبيين أيضاً: الوضوح. «والبيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ»[(٤)].

وقال تعالى في وصف القرآن: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾[(٥)]، ﴿لقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾[(٦)]. وقال الإمام ابن جرير رحمه الله تعالى: «مبينات أي صارت مبينة بنفسها الحق . . »[(٧)].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٩٩.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٣٠
(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٥.
(٤) لسان العرب، مادة بين (١٣/ ٦٧ ـ ٦٩)
(٥) سورة العنكبوت، الآية ٤٩.
(٦) سورة النور، الآية ٣٤.
(٧) جامع البيان (١٧/ ١٢٨).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾[1].

والكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة وذلك مجموع الشرع الإسلامي، الذي هو علم وقول صادق في نفسه صفة لازمة، والعلم بها ممكن ورد الناس إليها ممكن ولذلك أمر الله عباده بالرد إلى الكتاب والسنة حين التنازع[2]، وعدم ارتفاع النزاع بين البشر لا ينافي هذه الحقيقة وذلك لأنهم إما لا يرجعون إلى الوحي مطلقاً، أو يردون إليه رداً غير متجرد من الهوى أو غير مستكمل لشروط الرد إلى الكتاب والسنة.

أما إذا تجرد البشر عن الهوى والعصبية وعبدوا الله على بصيرة وردوا أمورهم إلى الشريعة، فإنه لابد أن تحصل لهم السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

وكما أن القرآن بينات، فإن السنة جوامع الكلم والدليل على ذلك ما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «بعثت بجوامع الكلم ..» الحديث[3].

---

(١) سورة الجمعة، الآية ٢.

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٤٦)، وقد يقول قائل إن هناك ما يتردد فيه المجتهد كمعرفة اللفظ المشترك والمجمل فكيف يتضح بيانه، قل: يتضح بتفسيره عن طريق النصوص الأخرى بينت له المقصود من اللفظ المشترك وكشفت له الإجمال، فمجموع الشريعة بينات، وكذا قولنا أن الشريعة محكمة والكتاب محكم كما قال سبحانه ﴿آلر كتاب أحكمت آياته﴾ (سورة هود ١). وإن كان فيه متشابه، ذلك أنه يمكن رد المتشابهات القلائل إلى المحكمات التي هي الأصل والمرجع وسيأتي بيان ذلك بمشيئة الله.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (١٣/ ٢٤٧)، (١٢/ ٤٠١).

وجوامع الكلم أن «يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني»[1].

ولذلك بيّن الإمام الشاطبي أوصاف الشريعة في كتابة الموافقات وذكر ثلاثة أوصاف:

الأول: كونها عامة بحيث لا يتصور للإنسان حركة ولا سكون إلا والشريعة تشمله[2].

الثاني: الثبوت من غير زوال «فلذلك لا تجد فيها بعد كمالها نسخاً ولا تخصيصاً لعمومها، ولا تقييداً لإطلاقها ولا رفعاً لحكم من أحكامها لا بحسب عموم المكلفين ولا بحسب خصوص بعضهم، ولا بحسب زمان دون زمان، ولا حال، بل ما أثبت سبباً فهو سبب أبداً لا يرتفع، وما كان واجباً فهو واجب أبداً، أو مندوباً فمندوب، وهكذا جميع الأحكام فلا زوال لها ولا تبدل ولو فرض بقاء التكليف إلى غير نهاية لكانت أحكامها كذلك»[3].

الثالث: كون الشريعة حاكمة غير محكوم عليها[4]، قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾[5].

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٢٤٧) وقد بيّن ابن حجر رحمه الله أن جومع الكلم تشمل الكتاب والسنة.

(٢) انظر بحثاً مفصلاً في بيان شمول الشريعة ص ١٣٣ من كتابي الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية.

(٣) الموافقات (١/ ٧٩).

(٤) المرجع نفسه (١/ ٧٩).

(٥) سورة النساء، الآية ٦٤

وأنكر الله سبحانه على الذين يعرضون عن شريعته وحكمه ويبتغون حكم غيره فقال سبحانه: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾[1].

وقال عزّ من قائل: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله وإلى الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾[3]، وقال سبحانه ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾[4].

ولهذا أوجب الله على جميع البشر التسليم المطلق لهذه الشريعة المباركة، مع اعتقاد أن كل حكم فيها هو العدل والحكمة والخير والرحمة، والاحتكام إليها في جميع شئون الحياة والاذعان لها بحيث لا يقدم عليها منهج آخر، لأن كل ما جاءت به حجة علينا لا نعارضه بهوى ولا نغيره بشبهة، ولا نقدم عليه شيئاً من أحكام البشر.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥٠.
(٢) سورة النساء، الآية ٦٥.
(٣) سورة النساء، الآية ٥٩.
(٤) سورة الشوري، الآية ١٠، والآية عامة في جميع الأشياء، فحكم كل شيء إلى الله أي إلى كتابه وسنة رسوله تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ١١٧) ولفظ شيء نكره يعم جميع أحوال المكلفين في جميع العصور والأماكن انظر تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٣١).

الفصل الأول: المحكم عند الأصوليين

المبحث الأول: تعريف المحكم في اللغة

جاء في لسان العرب: «أحكمت الشيء فاستحكم صار محكماً واحتكم الأمر واستحكم وثق.

وحكم الشيء أحكمه كلاهما منعه من الفساد.. ومنه حكمة الدابة سميت بهذا المعنى لأنها ترد الدابة.

وقال: والمحكم الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب، فعيل بمعنى مفعل، أحكم فهو محكم»[1].

وجاء في الصحاح للجوهري: (أحكمت الشيء فاستحكم أي صار محكماً»[2].

وجاء في القاموس المحيط: «بناء محكم أي ثابت يبعد انهدامه

ونقول: أحكمت الشيء أحكمه إحكاماً فهو محكم إذا أتقنته فكان في غاية ما ينبغي من الحكمة

وأحكمه أتقنه ومنعه من الفساد»[3]

وأما تعريفه في الاصطلاح فسنذكر في المباحث التالية اصطلاح الفقهاء في كل مذهب.

---

(١) لسان العرب دار احياء التراث العربي مادة حكم (٣/ ٧٧٠ ٧٧٢)، وانظر تهذيب اللغة للأزهري مادة حكم (٤/ ١١١)

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية مادة حكم (٥/ ١٩٠٢)

(٣) القاموس المحيط مادة حكم (١٤١٥)

المبحث الثاني: مذهب الحنفية

ذهب الحنفية إلى أن اللفظ باعتباره وضوحه ينقسم إلى أقسام: الظاهر والنص والمفسر والمحكم، أما المفسر: فالمراد به مكشوف على وجه لا يبقى معه احتمال التأويل[١]، فيكون فوق الظاهر والنص، فيقطع احتمال التأويل والتخصيص، مثاله قوله تعالى: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾[٢]، فلفظ «كلهم» قطع احتمال التخصيص، ولفظ «أجمعون» قطع احتمال كونهم سجدوا مفترقين، وإذا كان المفسر عند الحنفية بهذه المنزلة من الوضوح إلا أنه يحتمل النسخ في عهد الرسالة، لذا جعلوا في الألفاظ قسماً رابعاً وسموه المحكم[٣].

فاصطلاح الحنفية في المحكم: كما قال الدكتور أديب الصالح:

هو اللفظ الذي دل على معناه دلالة واضحة قطعية لا تحتمل تأويلاً ولا تخصيصاً ولا نسخاً حتى في حياة النبي ﷺ ولا بعد وفاته بالأولى[٤].

ويرى السرخسي والبزدوي أن المحكم اختص بهذه الأوصاف وهي:

١ ـ كونه دالاً على معناه دلالة واضحة.

٢ ـ كونه لا يحتمل التأويل ولا التخصيص.

٣ ـ كونه لا يحتمل النسخ لا في عهد الرسالة ولا بعده.

---

(١) ويشترك المحكم معه في هذه الصفة ولذا قال الجصاص: [المحكم ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً] أصول الجصاص (١/ ٣٧٣).

(٢) سورة الحجر، الآية ٣٠.

(٣) أصول السرخسي (١/ ١٦٥)، وكشف الأسرار عن أصول البزدوي (١/ ٥١).

(٤) تفسير النصوص (١/ ١٧١).

ذلك لأن لفظ الإحكام يفيد مجموع هذه الأوصاف، كما إذا قلنا «بناء محكم أي مأمون الانتقاض وأحكمت الصنعة أي أمنت نقضها وتبديلها، وقيل هو مأخوذ من قولهم أحكمت فلاناً عن كذا أي منعته قال الشاعر:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

ومنه حكمة الفرس لأنها تمنعه من العثار والفساد، فالمحكم ممتنع من احتمال التأويل ومن أن يرد عليه النسخ والتبديل ولهذا سمى الله تعالى المحكمات أم الكتاب أي الأصل الذي يكون المرجع إليه بمنزلة الأم للولد. والمرجع ما ليس فيه احتمال التأويل ولا احتمال النسخ والتبديل كذا ذكر شمس الأئمة رحمه الله»[1].

وحاصل مذهب الحنفية: أنهم خصوا المحكم بتلك الصفات الثلاث التي ذكرناها آنفاً، ولا يعني ذلك أنهم ينزعون صفة الإحكام عن النص والظاهر والمفسر وما لحق به من الألفاظ بل يسمون هذا محكماً لغيره، ذلك أن هذه الألفاظ وإن احتملت النسخ في عهد الرسالة إلاّ أنها لا تحتمل النسخ بعد انقطاع الوحي كما هو معلوم، فهي بهذا الاعتبار محكمة غير منسوخة قال البزدوي وهو يتكلم عن أعلى خصائص المحكم قال:

«ثم انقطاع احتمال النسخ قد يكون لمعنى في ذاته بأن لا يحتمل التنزيل عقلاً كالآيات الدالة على وجود الصانع[2] وصفاته جل جلاله وحدوث العالم ويسمي هذا محكماً لعينه» ويقصد أن هذا لا يتصور فيه النسخ حتى في عهد الرسالة.

(١) أصول السرخسي (١/ ١٦٥)، وكشف الأسرار عن أصول البزدوي (١/ ٥١)

(٢) هذه من الألفاظ التي اصطلح عليها المتكلمون ولم يكن علماء السلف يستعملونها

«وقد يكون بانقطاع الوحي بوفاة النبي ﷺ ويسمى هذا محكماً لغيره»[١]. وقال النسفي في المنار: «أما المحكم فما أحكم المراد به عن احتمال النسخ والتبديل. وحكمه وجوب العمل به من غير احتمال»[٢].

وقد أحسن الأستاذ أديب الصالح في بيان حالتين للإحكام وهما:

الأولى: أن يكون الحكم الذي دل عليه اللفظ حكماً أساساً من قواعد الدين كالإيمان وأركانه، وأمهات الأحكام وقواعدها كالعدل وبر الوالدين والوفاء بالعهد..

الثاني: أن يكون ذلك المدلول حكماً جزئياً ولكن وقع التصريح بتأبيده ودوامه كتحريم نكاح أزواج النبي ﷺ من بعده، قال تعالى: ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا﴾[٣].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «الجهاد ماض مذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال»[٤].

ويمكن أن نضيف حالة ثالثة استفدناها من كلام عبدالعزيز البخاري السابق الذكر وهي: «أن يكون اللفظ غير منسوخ. فسمي محكماً لغيره، وهذا يشمل كما سلف النص والظاهر والمفسر»[٥].

---

(١) أصول البزدوي (١/ ٥١).

(٢) شرح المنار وحواشيه من علم الأصول (١/ ٣٥٥).

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٥٣.

(٤) حديث أنس بن مالك عند أبي داود باب في الغزو مع أئمة الجور (٢/ ٢٢ـ ح ٢٥٣٢)، وانظر في التمثيل بالجهاد في المحكم تيسير التحرير (١/ ١٤٠).

(٥) ويماثل المفسر والمحكم عند غيرهم من أصولي الشافعية النص، لأنه لا يقبل التأويل وكذلك لا يتصور فيه النسخ بعد انقطاع الوحي، أنظر أصول الفقه لأستاذي د. حسين حامد حسان (٥٠٨ـ٥٠٩).

ومذهب الحنفية أن المحكم لذاته يشترك مع المحكم لغيره في هذه الصفات ويمكن أن نذكرها فيما يلي:

١ ـ المحكم لذاته واضح بيّن وكذا المحكم لغيره.

٢ ـ المحكم لذاته لا يقع عليه التبديل وكذا المحكم لغيره بعد انقطاع الوحي.

٣ ـ المحكم لذاته والمحكم لغيره يقابلان المنسوخ.

ويخص المحكم لذاته عندهم بصفات تميزه عن المحكم لغيره وهي:

١ ـ كونه في قواعد الدين وأحكامه الأساسية التي لا يتصور فيها النسخ حتى في عهد الرسالة[١]

٢ ـ كونه أشد وضوحاً وأبين من بقية أقسام الواضح.

٣ ـ كونه مرجعاً وأصلاً كما قال السرخسي.

وقد لاحظ الأستاذ البرديسي على تقسيمات الحنفية فقال:

«بعدم الفارق بين المفسر والمحكم بعد وفاة الرسول ﷺ وإنما الفارق بينهما في عهد الرسول ﷺ إذ المحكم لا يقبل النسخ في هذا العهد بينما المفسر يقبل النسخ»[٢].

وهذا يصح من وجه دون وجه، فيصبح من حيث الثبات واستقرار الحكم مع وضوحه وكونه مفسراً فهذا لا فارق فيه بين المحكم وبين المفسر بعد انقطاع الرسالة.

---

(١) فإن قيل كيف علمنا عدم تصور النسخ في عهد الرسالة؛ فالجواب أن كليات الدين الأساسية وضرورياته محفوظة غير منسوخة في جميع الرسائل والشرائع السماوية لا يتصور لها نسخ لا قبل ولا بعد، انظر الموافقات (٣/ ١١٧ ـ ١١٨).

(٢) أصول الفقه البرديسي (٣٦٢).

أما من حيث كون المحكم مرجعاً وأصلاً وأساساً كما ورد في آية آل عمران في قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أم الكتاب﴾ فإن الفارق بين المحكم والمفسر[1]، موجود سواء في عهد الرسالة أو بعدها، ذلك لأن المفسر قد يكون أصلاً ومرجعاً وقد يكون فرعاً بخلاف المحكم لذاته عند الحنفية فإنه أصل ومرجع ولهذا يبقى الفارق بينهما في عهد الوحي وبعد انقطاع الوحي والله أعلم.

المبحث الثاني: مذهب المالكية

قال ابن الحاجب في مختصره: «المحكم المتضح المعنى»[2] ويقابله ما فيه اشتباه كالمشترك والمجمل ويحتاج إلى بيان.

قال شارح المختصر: «فالمحكم: المتضح المعنى بحيث لا يتطرق إليه إشكال ولا التباس»[3].

وقال الشاطبي في شرح قول الله تعالى: ﴿منه آيات محكمات هنَّ

---

(١) توسع الحنفية في بيان خصائص المحكم دونما حاجة عن الحديث استقلالاً عن «المتشابه» وذلك يرجع في رأيي إلى إمكان الحديث عن المحكمات، وهو ما سنقوم به في هذا البحث، وقد جرت عادة أكثر الأصوليين على الحديث عنهما في موضع واحد، وسبب ذلك يرجع إلى أن حديثهم عنهما لا يتجاوز صفحات معدودات، أما من أراد أن يفصل البحث في أحدهما فإن المناسب في رأيي أن يتحدث الباحث عن «المحكم» بتفصيل ولا يذكر المتشابه إلا عند الحاجة وكذا العكس، وسنفرد ـ أن شاء الله تعالى ـ بحثاً مفصلاً عن موقف المسلم من المتشابه دراسة أصولية تطبيقية

(٢) بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب (١/ ٤٧٤).

(٣) المصدر السابق (١/ ٤٧٤).

أم الكتاب﴾ فجعل المحكم هو الواضح المعنى الذي لا إشكال فيه ولا اشتباه هو الأم والأصل المرجوع إليه»[1].

وقال في موضع آخر: «والمحكم يطلق بإطلاقين: عام وخاص، فأما الخاص فالذي يراد به خلاف المنسوخ وهي عبارة علماء الناسخ والمنسوخ .. فيقولون هذه الآية محكمة، وهذه الآية منسوخة، وأما العام فالذي يعني به البين الواضح الذي لا يفتقر في بيان معناه إلى غيره. وعلى الثاني مدار كلام المفسرين في بيان معنى قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ ويدخل تحت المتشابه والمحكم بالمعنى الثاني ما نبه عليه الحديث من قول النبي ﷺ. «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات»[2]. فالبين هو المحكم، وإن كانت وجوه التشابه تختلف بحسب الآية والحديث فالمعنى واحد لأن ذلك راجع إلى فهم المخاطب.

وإذا تؤمل هذا الإطلاق وجد المنسوخ والمجمل والظاهر والعام والمطلق قبل معرفة مبيناتها داخلة تحت معنى المتشابه، كما أن الناسخ وما ثبت حكمه والمبين والمسؤول والمخصص والمقيد داخلة تحت معنى المحكم»[3]

---

(١) الموافقات (٤/ ١٧٦)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً (١/ ٢١)، ومسلم (٣/ ١٨١٩) كتاب المساقاة وعلق الدكتور دراز رحمه الله مبيناً أن الحديث ليس في التشابه الحقيقي بل في التشابه الإضافي وقد يكون بسبب تحقيق المناط (٣/ ٨٥-٨٦) وتعليقه سديد لأن المكلف يقع له اللبس في بعض الأمور أهي حلال أم حرام بأسباب منها ما ذكر الشيخ دراز وهذا أعم من التشابه الوارد في الآيات.

(٣) الموافقات (٣/ ٨٥-٨٦).

ويمكن أن نشير هنا إلى أن هذا النوع من التشابه المذكور عند الشاطبي وغيره ليس هو من قبيل ما لم يمكن أن يعلم معناه، كوقت الساعة ووقت خروج الدابة[١].

بل يمكن رفعة وذلك أن المجتهد يشتبه عليه الأمر فلا يدري كيف يفسره، فإذا رجع إلى الأدلة الأخرى من الكتاب والسنة زال الإجمال وعرف تفسير اللفظ، وكذا القول في العام والمطلق والمنسوخ، فإذا فسر المجتهد العام والمطلق، وعرف إنه الناسخ والمنسوخ فقد اتضح له الأمر، وإذا لم يتحقق له ذلك بقي له من الاشتباه بحسبه[٢].

ومن الناحية العملية التطبيقية فإن المجتهد في السنة المحقق لشروط الاجتهاد يتحقق له المقصود من العلم بالشريعة[٣] ويرتفع عن الاشتباه إلا ما قصر علمه عنه، فإنه يطلبه عند غيره، ومن علم تفسير المجمل والمطلق . فإنه يرتفع الاشتباه عنه ويتحقق له العلم بالمحكم، ومثله إذا اشتبه عليه هل هذه الآية أو الحديث مسوخة أم لا، ثم علم بالناسخ فإنه حينئذ يرتفع عنه الاشتباه ويتبين له الأمر[٤].

---

(١) ويلحق به عند آخرين الحروف في أوائل السور انظر الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٤/ ١٢٣).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٧٢ ـ ٢٧٥).

(٣) انظر قريباً من هذاالمعنى الإحكام لابن حزم (٤/ ١٢٣) حيث ضيق من وجود المتشابه، وانظر الموافقات حيث فصل الأدلة وبين أن المتشابه قليل (٣/ ٨٦).

(٤) انظر مجموع الفتاوي (١٣/ ٢٧٢ ـ ٢٧٥)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٤٥). وهذه النظرة إلى المتشابه من حيث وضع المكلفين إذ قد وجد من الطوائف مثل النصارى وغيرهم من اشتبهت عليه بعض الألفاظ ولم تشتبه على غيرهم فلو ردوا ما اشتبه عليهم إلى المحكمات وإلى أولي العلم لارتفع عنه التشابه وعلى هذا ورد التنبيه في آيات سورة آل عمران.

المبحث الرابع: مذهب الشافعية

ذهب الشيرازي في شرح اللمع: إلى أن المجمل من المتشابه، لأن ما أشكل حكمه وأشتبه معناه احتاج إلى بيان[1].

وعلى هذا فما لم يحتج إلى بيان فهو المحكم، وهو قول إمام الحرمين في البرهان قال: «والمختار عندنا أن المحكم كل ما علم معناه وأدرك فحواه والمتشابه هو المجمل»[2].

وقال الغزالي في المستصفى: «إن المحكم يرجع إلى معنيين:

أحدهما: المكشوف المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال واحتمال.
والثاني: أن المحكم ما انتظم وترتب ترتيباً مفيداً إما على ظاهر أو على تأويل»[3].

وقد ذكر قبل ذلك تعريفات للمحكم ولم يقبلها، فمنها قولهم: إن المحكم ما يعرفه الراسخون في العلم، أو هو الوعد والوعيد والحلال والحرام[4].

- واختيار الغزالي في تعريف المحكم يقوم على ملاحظة أمرين:

١ - أن يكون اللفظ مكشوف المعنى بيناً بنفسه.

٢ - أن يكون اللفظ مفيداً لمعناه على ظاهره أو ببيانه بغيره.

---

(١) شرح اللمع تحقيق د. علي العميري ٢٠/ ١٦٨)، وانظر نهاية السول في شرح منهاج الأصول (٢/ ٦١ - ٦٢)

(٢) البرهان للجويني (١/ ٢٨٤)

(٣) المستصفى (١٢٦)، وانظر الأحكام للآمدي (١/ ١٦٥ - ١٦٦)

(٤) المصدر السابق (١٢٦)، وانظر الأحكام (١/ ١٦٥ - ١٦٦)

ولا ريب أن الأول أوضح في المراد؛ إذ أنه لا يتطرق له إشكال ولا احتمال، وهذا يعني أن اللفظ مستقل بنفسه، بخلاف الثاني فإنه محتاج إلى غيره.

ويمكن أن نلحق بمذهب الشافعية ما ذكره الأمام الشوكاني[1] في كتابه إرشاد الفحول، وفتح القدير.

وقال الإمام الشوكاني في الإرشاد: المحكم ما له دلالة واضحة»[2]، وقيل «ما عرف المواد منها إما بالظهور وإما بالتأويل» وقيل «المحكم هو معقول المعنى» وقيل هو «الفرائض والوعد والوعيد»[3].

وقال في تفسيره: «المحكم هو الواضح المعنى، الظاهر الدلالة، إما باعتبار نفسه، أو باعتبار غيره»[4].

وحاصل ما ذكر: أن المحكم لا يخلو من:

١ ـ أن تكون دلالته واضحة باعتبار ذات اللفظ، وهذا هو التعريف الأول.

٢ ـ أن تكون دلالته واضحة باعتبار غيره، وذلك إذا عقل معناه وعرف بعد تفسيره بنص آخر وهذا هو التعريف الثاني.

وذكر أمثلة لذلك كالفرائض والوعد والوعيد، وهو التعريف الثالث.

---

(١) من العلماء من يعتبر الإمام الشوكاني شافعياً باعتبار نشأته المذهبية، وفهم من يعتبره مجتهداً مستقلاً، لذا رأينا أن الأقرب هو ذكر مذهب الشوكاني في هذا الموضوع.

(٢) إرشاد الفحول ٣١.

(٣) إرشاد الفحول ٣٢.

(٤) فتح القدير للشوكاني ١ ـ ٤٧٤.

والذي يميل إليه - إذا اعتبرنا كلامه في تفسير الآية من سورة آل عمران كما صنع عند قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ هو أن المحكم إما أن تظهر دلالته من ذات اللفظ أو باعتبار غيره.

المبحث الخامس: مذهب الحنابلة

المحكم ما اتضح معناه من القرآن فهو «محكم» من أحكمت الشيء أحكمه إحكاماً فهو محكم، ومنه بناء محكم أي ثابت يبعد انهدامه[١]

قال القاضي أبو يعلي: «أما المحكم: فقد يعبر به عما لم ينسخ، فيقال هذا محكم وهذا منسوخ، وحد ذلك ما بقي حكمه أو تأبد حكمه

وقد يعبر به من المفسر، كما قال تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أم الكتاب وأخر متشابهات﴾[٢]، وأورد بالمحكمات المفسرة المستغنية في معرفة معانيها عما يفسرها، وحد ذلك ما ذكرته، وهو ما ينبئ عن المراد بنفسه أو يعقل معناه من لفظه»[٣]

وقال ظاهر الكلام أحمد رحمه الله أن «المحكم» ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان، والمتشابه[٤] ما احتاج إلى بيان واستدل على ذلك بقول

---

(١) شرح الكوكب (٢/ ١٤٠)

(٢) سورة آل عمران، الآية ٧

(٢) العدة في أصول الفقه (١/ ١٥١ - ١٥٢)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٢٧٢ - ٢٧٣)

(٤) المتشابه يطلق باطلاقات منها «ما لم يتضح معناه» وقيل «ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة» وقيل «ما احتمل أوجهاً» شرح الكوكب (٢/ ١٤١ - ١٤٢)

ولم يلاحظ هذا المعنى، ولا حظ بعض الوجوه التي انتظمها اسم المحكم، فإنه سيعرف المحكم بأنه الناسخ، أو يعرفه بأنه ما عرف معناه والمراد منه بظاهره أو بدلالة، لأن اللفظ حينئذ قد تبين معناه وهو غير منسوخ فيصح أن يسمى محكماً.

وعلى هذا الاعتبار جرى الفتوحي في الكوكب: فقال مبيناً معنى المحكم في اللغة والاصطلاح: «ما اتضح معناه من القرآن فهو محكم، مفعل من أحكمت الشيء أحكمه إحكاماً فهو محكم إذا اتقنته فكان في غاية ما ينبغي من الحكمة، ومنه بناء محكم أي ثابت يبعد انهدامه، وذلك كالنصوص والظواهر، لأنه من البيان في غاية الإحكام والاتقان».

ثم ذكر تعريفات للمحكم في الاصطلاح فقال:

«قيل: المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل . . .

وقيل: المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً . .

وقيل: المحكم ما كان معقول المعنى . .

وقيل: ما استقل بنفسه . .

وقيل: المحكم ما تأويله تنزيله.

وقيل: المحكم ما لا تتكرر ألفاظه.

وقيل: المحكم الفرائض والوعد والوعيد».

والذي يميل إليه شارح الكوكب أن المحكم: هو ما اتضح معناه حيث جعل المتشابه الذي لم يتضح معناه مقابل المحكم[1].

(١) شرح الكوكب (٢/ ١٤٠ ـ ١٤٢)، وانظر اتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر (٢/ ٣٣٠)، وانظر المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد (٧٣).

ثم إن اتضاح المعنى يمكن أن يكون من اللفظ نفسه، فهو إذا ما استقل بنفسه، ويمكن أن يكون اتضاح المعنى بتفسيره عن طريق نص آخر وعلى هذا يحمل التعريف الأول الذي أشار إليه شارح الكوكب بقوله. ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل وكذا يلحق به قوله ما كان معقول المعنى، ويلحق به التعريف الأخير بأنه الفرائض والوعد والوعيد، لأنها معقولة المعنى إما بالظهور وإما بالتأويل. فهذه أمثلة للمحكم.

أما قوله: ما لا يحتمل إلا وجهاً واحد، وقوله: ما استقل بنفسه وكذا قوله ما تأويله تنزيله، فترجع جميعاً إلى معنى واحد.

والذي يظهر لي أن قول الشارح: المحكم ـ الذي يقابل المتشابه ـ وهو ما اتضح معناه، قد يكون ظهور المعنى من نفس اللفظ، وقد يكون عن طريق التفسير والتأويل.

وقد ذكر الدكتور عبدالله التركي في كتابه أصول الإمام أحمد: «أن الراجح عند الحنابلة وأحمد ـ رحمه الله ـ أن المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان، والمتشابه ما احتاج إلى بيان وعلى هذا يكون المجمل[1] والمشترك[2]، والمتشابه[3]».

(١) المجمل في اللغة المبهم، وفي الاصطلاح ما له دلالة على أحد معنيين لا ميزة لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه قاله الآمدي، وقال ابن الحاجب هو ما لم تتضح دلالته، وقال غيرهما ما لا يستقل بنفسه في المراد منه حتى يأتي تفسيره، وقال الشوكاني ما دل دلالة لا يتعين المراد بها إلا بمعيَّن انظر في محل ذلك إرشاد الفحول (١٦٧)

(٢) هو اللفظة الموضوعة لحقيقتين مختلفتين أو أكثر مثل لفظ «القرء» فإنه مشترك بين الطهر والحيض، و «العين» فإنها مشتركة بين العين المبصرة والعين الجارية، انظر إرشاد الفحول (١٩)

(٣) أصول الإمام أحمد (١٦١)

وحاصل ما سبق بيانه أن المحكم:

١ ـ إما أن يستقل بنفسه فهو لا يحتاج إلى بيان، بل يعلم بيانه من لفظه، وهذا رجحه أبو يعلي ومن وافقه.

٢ ـ وإما أن يعرف المراد منه بظاهره أو بدلالة تكشف عنه، ومنه المجمل ويحتاج إلى تفسير فيكون بهد تفسيره وكشف إجماله محكماً.

وهذا هو اختيار ابن قدامة والفتوحي في الكوكب، ولعله جمع بين الأقوال المنقولة: عن القاضي أبي يعلي، والمنقول عن غيره كشيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية، فإن اللفظ عنده إما أن يكون محكماً ابتداءً، فهو مستقل بنفسه لا يحتاج إلى بيان، وإما أن يصبح محكماً كالمجمل بعد تفسيره[١].

٣ ـ وإما أن يكون مقابل المنسوخ مطلقاً، فإذا قيل آية محكمة أي ليست بمنسوخة[٢].

والذي يظهر لي أن من لاحظ في اللفظ كونه أصلاً فإنه عرف المحكم بأنه ما استقل بنفسه كما ذكر أبو يعلي ومن وافقه.

ومن لاحظ أن اللفظ المجمل إذا تبين صار محكماً، أضاف إلى تعريف المحكم بأنه ما عرف معناه بدلالة تكشف عنه.

والأول: يمثل أعلى درجات المحكم ولذا وصفه البعض بأنه أصل لأنه هكذا ورد وصفه في آية آل عمران بقوله تعالى: ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب﴾[٣].

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٧٢ـ ٢٧٥).

(٢) انظر العدة (١/ ١٥١)، ومجموع الفتاوى (١٣/ ٢٧٢).

(٣) سورة آل عمران، آية ٧، وأم الشيء أصله ومعظمه. انظر جامع البيان في تفسير القرآن (٣/ ١٧٠).

والثاني: يكون محكماً باعتبار بيانه بواسطة غيره.

والثالث: مقابل المنسوخ.

المبحث الثالث: المناقشة والترجيح

وبعد عرض مذاهب الأصوليين في تفسير المحكم يظهر لنا أنهم يلاحظون في تعريفات المحكم الأوصاف التالية:

١ ـ الحفظ وعدم التغيير والتبديل.

٢ ـ الوضوح والبيان

وهذا أمر مشترك بينهم جميعاً ومن لاحظ الصفة الأولى فقط لم يزد على تعريف المحكم بأنه اللفظ الناسخ، ويقابل المحكم المنسوخ وهذا أوسع الاطلاقات، وهو مستعمل في كلام الأصوليين

ومن لاحظ أن النسخ لا يرد على قواعد الدين وأساسياته حال التشريع ووقت الرسالة، كما أن النسخ لا يتصور وقوعه بعد انقطاع الوحي، فإنه اعتبر ما يتعلق بالأول وهو قواعد الدين وأساسياته اعتبرها محكمة، وخصها باسم المحكم لذاته[1]

وأما الثاني: وهي النصوص البينة بعد انقطاع الوحي فإنها محكمة أيضاً وخصها باسم المحكم لغيره كما هو مذهب الحنفية

ومن لاحظ الصفة الثانية فسر المحكم. بأنه اللفظ البين، أو اللفظ المستقل بنفسه الذي لا يحتاج في البيان لغيره، كما هو تفسير الحنفية وأبي يعلي ومن وافقه.

---

(١) وهذا فيه زيادة قوة ووضوح انظر تيسير التحرير (١/ ١٣٨)

ويتفرع عن الصفة الثانية : أن اللفظ قد يكون بيناً بنفسه وقد يكون بيناً بغيره، ومن هنا لاحظ بعض الأصوليين كما سلف أن اللفظ المجمل إذا كشف الإجمال أي مبيناً، ولذا قال ابن الهمام : «فالمحكم عندهم ـ أي الشافعية[1] ـ أعم من الظاهر والنص ولا يتحقق إلا في ضمن أحدهما»[2].

وأعلى درجات المحكم اتصافه بهذه الصفات جميعاً وهي :

١ ـ كونه محفوظاً غير منسوخ.

٢ ـ كونه واضحاً بيناً لا يتطرق له تأويله.

٣ ـ كونه أصلاً ومرجعاً.

فإذا لاحظنا هذه الوجوه والصفات التي انتظمها اسم المحكمات فإن المناسب أن نعرف المحكم بأنه :

«ما كان أصلاً بنفسه مستغنياً عن غيره لا يحتاج إلى بيان».

وبهذا الاعتبار نرجح مذهب الحنفيه وقول أبي يعلي من الحنابلة ومن وافقه.

وأما إذا لاحظنا بعض صفاته وهي كونه محفوظاً غير منسوخ، فإنه يدخل فيه بهذا الاعتبار المجمل وما في معناه يتصف بأنه محكم غير منسوخ.

وأما من حيث اتصافه بالوضوح والبيان، فإن المجمل يتخلف عنه هذا الوصف حتى يتم بيانه.

---

(١) المراد باصطلاح الشافعية عند متأخري الأصوليين ما يشمل المذاهب الثلاثة المالكية والشافعية والحنابلة.

(٢) انظر تيسير التحرير (١/ ١٤٤) الجامع بين اصطلاحي الحنفية والشافعية لابن الهمام.

فإذا بين صار محكمة بهدا المعنى، ومن لاحظ هذا المعنى فإن المناسب أن يعرف المحكم بأنه: ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل وهذا أوسع من الأول.

والذي يغلب على التعريف الأول كون اللفظ أصلاً، وهو اصطلاح الحنفية وأبي يعلي ومن وافقه، حيث وصفوه بأنه أصل. والذي يغلب على التعريف الثاني وهو ما احتاج إلى بيان فإنه لا يصلح أصلاً، بل يحتاج إلى أصل[1] يرد إليه حتى يتضح والله أعلم.

(١) الأصل له عدة إطلاقات وفي الاصطلاح ما له فرع لا ينشأ إلا عن أصل وهذا مبني على المعنى اللغوي وهو أن الأصل ما يبنى عليه غيره قاله الأكثر، وقيل أصل الشيء ما يتفرع عليه غيره، وله إطلاقات أخرى انظر شرح الكوكب (١/ ٣٨-٣٩)، والموافقات (٣/ ٨٦)

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية للمحكمات مع بيان خصائصها واتجاهات الأصوليين في تفسيرها

المبحث الأول: نماذج تطبيقية للمحكمات

ضرب ابن عباس رضي الله عنهما مثالاً للمحكمات لما سئل عنها فقال: (المحكمات هي الثلاث الآيات من هاهنا ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم .. ﴾ والتي في بني إسرائيل ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه . . . ﴾[1]، وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس قال في قوله: ﴿منه آيات محكمات﴾ قال: الثلاث آيات من آخر سورة الأنعام محكمات»[2].

قال تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وأياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون* ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون * وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾[3].

(١) جامع البيان (٣/ ١٧٢)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٢) تحقيق أسعد محمد الطيب، والمستدرك على الصحيحين مع تضمينات الإمام الذهبي في التلخيص والميزان (٢/ ٣١٦) تحقيق عبدالقادر عطا ـ دار الكتب العلمية، قال في التلخيص صحيح، وفتح القدير للشوكاني (١/ ٤٨١).

(٣) سورة الأنعام، الآيات ١٥١ ـ ١٥٣.

وقال تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغنَّ عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا * ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا * وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً * إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا * وإما تعرضن عنهم ابغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً * ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً * إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً * ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيراً * ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً * ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا * ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً * وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً * ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً * ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً * كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً * ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾[١].

والمتأمل في الآيات من سورة الأنعام وسورة الإسراء يجد أن ابن عباس رضي الله عنهما اختار مثالين للمحكمات تكشف عن معناها وتبين حقيقتها

(١) سورة الإسراء، الآيات ٢٣ ـ ٣٩

وتعرف بها أحسن تعريف، والسائل عن معنى المحكمات سيجد الجواب الشافي في اختيار ابن عباس رضي الله عنهما ونحن هنا نهين المحكمات الواردة في الآيات السابقة تطبيقات في هذا المجال.

أولاً: المحكمات الواردة في الآيات السابقة:

١ ـ وجوب عبادة الله وحده وتحريم الإشراك به.

٢ ـ وجوب بر الوالدين والإحسان إليهما.

٣ ـ وجوب حفظ النفس وتحريم قتلها بغير حق.

٤ ـ تحريم سائر الفواحش ومنها الزنا.

٥ ـ وجوب حفظ المال وأداء الحقوق.

٦ ـ وجوب الوفاء بالعهد.

٧ ـ وجوب العدل في الإنفاق والوزن بالقسط.

٨ ـ تحريم الكبر والأخلاق الفاسدة.

٩ ـ وجوب اتباع صراط الله المستقيم.

١٠ ـ تحريم اتباع السبل المضلة.

ويدخل في الأول إقامة أركان الإسلام، وهي الشهادتان، وإقامة الصلاة، وايتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، وعلى ذلك بني باب العبادات في الفقه الإسلامي[١]، وكذا تحريم الإشراك بالله فإنه بني عليه عند الفقهاء كتاب الردة[٢]، والأول حفظ الدين من ناحية الوجود، والثاني حفظه من ناحية العدم.

---

(١) الموافقات (٢/ ٨ـ٩).

(٢) انظر على سبيل المثال المغني لابن قدامة كتاب الردة (١٢/ ٢٦٤).

أما وجوب حفظ النفس وتحريم قتلها فهو من ناحية الوجود ومن ناحية العدم، فمن ناحية الوجود أحل لها الشارع الطيبات والسبل المؤدية لها، وأنكر على من حرمها.

وأما حفظها من ناحية العدم فقد أحل أكل الميتة عند خوف فوات النفس[1]، وكذا شرع القصاص في النفس والأطراف محافظة عليها وعلى ذلك بني كتاب الجنايات[2].

وإقامة تحريم الزنا الواحش فقصد الشارع من حفظ العرض من ناحية العدم، وكما حافظ على الأعراض من ناحية الوجود، فأمر بالنكاح وجعل له مقاصد منها تكوين الأسرة، وتكثير النسل وقضاء الوطر وايجاد السكينة والمودة، ومتى وجدت هذه الأسرة وتحقق مقصد الشارع منها فإن المجتمع يقوم بنيانه عليها، فتحافظ الشريعة المباركة على الأسرة والمجتمع حتى لا تنعدم تلك المصالح التالي تحققت ووجدت، وتكون المحافظة بتطبيق الأحكام التي شرعها الشارع الحكيم من تحريم الفواحش ومنها الزنا واللواط والسبل الموصلة لذلك.

وعلى هذا بين الفقهاء كيف يحافظ على الأعراض والأخلاق ببيان الأحكام في كتاب النكاح وما يتبعه[3]، هذا من ناحية الوجود وكذا بينوا كيف يحافظ عليها من ناحية العدم وذلك في كتاب الحدود كحد الزنا واللواط، وحد القذف وما يتعلق بذلك[4].

---

(١) الموافقات (٢/ ١٠ ـ ١١).
(٢) المغني لابن قدامة (١١/ ٤٤٣) وما بعدها
(٣) المرجع السابق (٩/ ٣٤٠) وما بعدها
(٤) المرجع السابق (١٢/ ٣٠٨، ٣٤٨، ٣٨٣)

وحفظ العقل من ناحية الوجود، كحفظ النفس، وحفظه من ناحية العدم وذلك بتحريم الخمر وسائر المسكرات والمخدرات مهما تعددت أسماؤها وأشكالها ما بين مطعوم أو مشروب أو مشموم . . .، وأوجب العقوبة على تعاطيها، والتجارة فيها وذلك ما بينه الفقهاء في كتاب الجنايات، وبيان حد المسكر[١].

وكذا حفظ المال كما هو الشأن في حفظه من ناحية الوجود وذلك مبين في كتاب البيوع وما يلحق به من العقود، وأما حفظه من ناحية العدم فذلك مبين في تحريم العقود الفاسدة ومنها الربا، وكذا حفظه بتشريع حد السرقة وكذا حد قطاع الطريق وما يلحق به من التعزير[٢] ووجوب أداء الحقوق والأمانات والوزن بالقسط والوفاء بالعقود والعهود والشروط المعتبرة كل ذلك من حفظ المال.

وإذا تتبعنا ما ورد في الآيات التي أشار إليها الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما، فإننا نصل معه إلى ما ورد في آخر الآيات وهو كالختام لها وهو وجوب اتباع الصراط المستقيم، وتحريم اتباع السبل المضلة.

وقد بين الفقهاء وجوب الحكم والتحاكم إلى الشريعة الإسلامية كما هو مبين في كتاب القضاء.

وكذا تحريم اتباع السبل المضلة، وقد بين ذلك الفقهاء في مواضع منتشرة في كتب الفقه، وذلك بتحريم الابتداع وجميع الطرق المؤدية إلى ذلك الأحكام الباطلة[٣].

---

(١) المغني لابن قدامه (١٢/ ٩٥) وما بعدها.
(٢) المرجع السابق (١٢/ ٤١٥ ، ٤٧٣).
(٣) المغني (١٢/ ٢٤٧ـ٢٤٨)، والاعتصام (١/ ١٨٧)

ونستطيع أن نقول: إن «الفقه» مبني على هذه المحكمات التي أشار إليه الإمام الجليل ابن عباس رضي الله عنهما فما أحسن علمه وفقهه.

ونؤكد ما قلناه بأن هذه الأمثلة التطبيقية المذكورة في هذه الآيات هي ما يطلق عليه علماء الفقه والأصول «الضروريات الخمس» وهي حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العرض، وحفظ المال، وهذه واضحة فيما ورد في تلك الآيات، وما اخترناه من تلك التطبيقات ويلحق بذلك حفظ العقل، كما ورد في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾[1].

ولا ريب أن النصوص التي أوجبت حفظ هذه الضروريات من الكتاب أو السنة أنها من النصوص المحكمة البينة التي هي من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى بيان، بل عدها بعض أهل العلم من الضروريات في كل ملة[2].

وعلى هذا فإن اختيار ابن عباس لهذه الأمثلة التطبيقية الواردة في تلك الآيات هو من أحسن الاختيار وأبينه، وهو ما نختاره هنا.

وإذا علمنا ذلك فإن من الواجب على المكلفين المحافظة على هذه الضروريات من حيث العلم بها والعمل بها، ولا يجوز لهم أن يخالفوا عنها إلى ما يضدها وإن اشتبهت عليهم بعض الأمور، لأنهم مأمورون من الله سبحانه أن يعملوا بتلك المحكمات ويردوا ما اشتبه عليهم إليها[3].

---

(١) المغني (١٢/ ٤٩٥)، وانظر الموافقات ٢/ ١٠ ـ ١٢)

(٢) سورة المائدة، الآية ٩٠، انظر الموافقات (٢/ ١٠)

(٣) ما ذكرناه من التطبيقات ـ ويدخل فيها حفظ الضروريات الخمس ـ إنما قصدنا كونها من المحكمات من حيث ما ورد فيها من النصوص المحكمة البينة التي هي أصل وأساس لتلك التطبيقات الفقهية وأما من حيث ما يتعلق بها من التفصيلات فقد يقع فيها الاشتباه وتحتاج إلى اجتهاد.

قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ وأمته: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾[1].

قال ابن جرير الطبري المفسر الفقيه رحمه الله: (وأما قوله: «منه آيات محكمات» فإنه يعني من الكتاب آيات، يعني بالآيات آيات القرآن، وأما المحكمات فإنهن اللواتي قد أُحكمن بالبيان والتفصيل، وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جعلن أدلة عليه من حلال وحرام ووعد ووعيد، وثواب وعقاب وأمر وزجر وخبر ومثل، وعظة وعبر وما أشبه ذلك.

ثم وصف جلَّ ثناؤه هؤلاء الآيات المحكمات بأنهن «هن أم الكتاب» .. يعني بذلك أنهن أصل الكتاب الذي فيه عماد الدين والفرائض والحدود وسائر ما بالخلق إليه الحاجة من أمر دينهم وما كلفوا من الفرائض في عاجلهم وآجلهم، وإنما سماهن «أم الكتاب» لأنهن معظم الكتاب وموضع مفزع أهله عند الحاجة وكذلك تفعل العرب: تسمى الجامع معظم الشيء أما له، فتسمى راية القوم التي تجمعهم في العساكر أمهم)[2].

ولا ريب أن من اتبع المحكمات التي هي أساس الدين وأصله وعماده كما ذكر ابن جرير فإنه تتحقق له مصالحه الأخروية والدنيوية، ويسلم من الاشتباه الذي يقع فيه كثير من الناس، ولهذا شرع الله سبحانه هذه

---

(١) سورة آل عمران، الاية ٧.

(٢) جامع البيان (٣/ ١٧٠).

المحكمات البينات الواضحات التي تحفظ الضروريات الخمس، وأمر المكلفين باتباعها ورد ما اشتبه عليهم إليها[1].

قال ابن كثير رحمه الله مؤكداً هذاالمعنى: «ويخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أي بيِّنات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم فمن رد اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس، ولهذا قال تعالى: ﴿هن أم الكتاب﴾ أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه . .»[2].

وقال الإمام الشاطبي رحمه الله مبيِّناً أن من لزم المحكمات ورد ما اشتبه عليه إليها فإنه يسلم من الانحراف، ويحافظ على مقاصد الشريعة لأنه اتبع الشريعة وحافظ عليها في الاعتقاديات العمليات، وقال رحمه الله في بيان معنى الآية ﴿منه آيات محكمات . .﴾ قال: «فجعل [الله] المحكم وهو الواضح المعنى الذي لا إشكال فيها ولا اشتباه هو الأم والأصل المرجوع إليه، ثم قال [سبحانه]: وأخر متشابهات يريد وليست بأم ولا معظم فهي إذاً قلائل، ثم أخبر أن اتباع المتشابه منها شأن أهل الزيغ والضلال عن الحق والميل عن الجادة، وأما الراسخون في العلم فليسوا كذلك، وما ذاك إلا باتباعهم أم الكتاب وتركهم الاتباع للمتشابهة، وأم الكتاب يعم ما هو من الأصول الاعتقادية أو العملية إذا لم يخص الكتاب ذلك ولا السنة . .»[3]

---

(١) انظر الاعتصام (٢/ ٦٨٧ ، ٧٣٧)، والموافقات (٣/ ٩٥)
(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٥)
(٣) الموافقات (٤/ ١٧٧)

وذلك بناءً على أن الصحابة رضوان الله عليهم ثبتوا على الأصول الاعتقادية والعملية، وحافظوا على مجتمعهم باقامتها وهي المحكمات التي هي أساس الشريعة ومعظمها كما فسرها به أهل العلم وكما سبق في التطبيقات التي ذكرها ابن عباس وهي تشمل الأمور الاعتقادية والعملية، وقد أحسن الإمام الشاطبي في الاستدلال بحديث الطائفة الناجية وقوله عليه الصلاة والسلام في وصفها لما سئل عن صفاتها قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[1].

قال الشاطبي: «فإن المخالف لهم في أصل من أصول الشريعة العملية لا يقصر عن المخالفات في أصل من الأصول الاعتقادية في هدم القواعد الشرعية»[2].

وبهذا نكون انتهينا من هذا المبحث الخاص بالتطبيقات، وقد اتضح لنا أن الأمثلة التي اختارها ابن عباس رضي الله عنهما تمثل أساس الشريعة ومحكماتها، وتحفظ الضروريات الخمس، ولم تقتصر على الأصول العقدية، بل شملت الأصول العملية، وهي العاصم الذي يعصم المكلفين من الأمور المتشابهة، كما أنه هو العاصم للمجتمع الإسلامي بحيث تكون حافظة للضروريات الخمس، وعليها مدار تحقيق المصالح الدنيوية والأخروية للمكلفين في جميع العصور.

---

(١) أخرجه الترمذي (ح ٢٦٤١) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، وهو حديث حسن. انظر «درء الارتياب عن حديث ما أنا عليه والأصحاب» للأستاذ سليم الهلالي، نشر دار الراية، الرياض.

(٢) الموافقات (٤/ ١٧٧ ـ ١٧٨).

المبحث الثاني: أوصاف المحكمات والأدلة على ذلك

إن الأمثلة التطبيقية التي سبق بيانها هي جملة الضروريات الخمس التي بينها الفقهاء والأصوليون، وتمثل في الحقيقة قاعدة المحكمات، ذلك أن النصوص الدالة على المحافظة عليها بينة ومحفوظة وأصل وأساس في الشريعة الإسلامية.

وننبه في هذا الموضوع إلى ما فصلنا فيه القول من مذاهب الأصوليين، وتبين أن هذه الأوصاف قد اشتمل عليها اسم المحكم عند الأصوليين على اختلاف اتجاهاتهم في تفسيره، فمنهم من لاحظ كونه محفوظاً غير منسوخ، ومنهم من لاحظ كونه بيناً مستقلاً بنفسه، ومنهم من لاحظ كونه أصلاً وأساساً.

وقد ربطت هذه الوجوه أو الخصائص بما ورد في آية آل عمران من أوصاف للمحكمات، وقبل أن نذكر ما ورد في الآيات من دلالات على تلك الأوصاف يحسن بنا أن نورد كلام المفسرين لندرك مدى التطابق بينهم في بيان خصائص المحكمات، ولا ننسى أن نذكر بأن التطبيقات التي ذكرها إمام المفسرين ابن عباس هي في حقيقتها أصول وأسس للشريعة، بينة محفوظة قام عليها الفقه الإسلامي، فإن جزئياته وفروعه كلها مجتمعة على حفظ الضروريات الخمس.

وأول ما نذكر في هذا الموضع كلام أئمة التفسير في وصف المحكمات[1]

---

(١) نبرز في هذا المبحث كلام المفسرين الذين يعتبر أكثرهم من الفقهاء والأصوليين، أمثال ابن جرير، وابن كثير، والقرطبي، والشوكاني وغيرهم رحمهم الله جميعاً

ثم نثني بذكر الأدلة على تلك الأوصاف، ثم نختم هذا الموضوع بتطبيق هذه الأوصاف على بعض النماذج الفقهية.

قال محمد بن اسحاق: «من آيات محكمات»: المحكمات هن حجة الرب وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهن تصريف، ولا تحريف عما وضعن عليه[١].

وكذا قال محمد بن جعفر بن الزبير: المحكمات هي التي فيها حجة الرب وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل[٢].

وقال النحاس: أحسن ما قيل في المحكمات: أن المحكمات ما كان قائماً بنفسه لا يحتاج أن يرجع فيه إلى غيره. نحو ﴿لم يكن له كفوًا أحد﴾.

قال القرطبي: ما قاله النحاس بين ما اختاره ابن عطية وهو الجاري على وضع اللسان وذلك أن المحكم اسم مفعول من أحكم، والإحكام الإتقان، ولا شك أن ما كان واضح المعنى لا إشكال فيه ولا تردد.[٣].

قال ابن عطية: والمحكمات المفصلات المبينات الثابتات الإحكام[٤]

وقال ابن كيسان: إحكامها بيانها وايضاحها، وقد يكون إيجابها وإلزامها، وقد يكون أنها لا تحتمل إلا معاني ألفاظها ولا يضل أحد في تأويلها[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٣)، وانظر جامع البيان لابن جرير (٣/ ١٧٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم تحقيق التراث (٢/ ٥٩٢).
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ١٠).
(٣) المرجع نسفة (٤/ ١١)، والاتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤١٣).
(٤) المحرر الوجيز لابن عطية تحقيق أحمد صادق (٢/ ٣٣٣).
(٥) تفسير النحاس (١/ ٣٤٥).

وقال ابن كثير : معنى المحكمات أي البينات الواضحات الدلالة لا إلتباس فيها على أحد[١] .

قال القرطبي : فالمحكم أبداً أصل ترد إليه الفروع[٢] .

ونحن إذا تأملنا كلام المفسرين نجده يؤكد أوصاف المحكمات عند الأصوليين ، فالمحكم عندهم جميعاً موصوف بأوصاف متعددة ، من ذلك وصفها بأنها بينات ، وأصل وعماد كما في كلام ابن جرير ، ومنهم من وصفها بأنها حجة وعصمة ودفع للخصوم كما في كلام محمد بن إسحاق ومحمد بن جعفر ، ومنهم من وصفها بأنها بينات واضحات لا تحتاج إلى غيرها ، وهذا واضح في كلام النحاس وابن عطية وابن كثير والقرطبي حيث وصفها بأنها أصل ، وهذه الأوصاف يؤكد بعضها بعضاً ، فالمحكمات بينات واضحات ، ولذا كانت أصلاً وعماداً وعصمة وحجة تدفع بها الخصوم

وإن خصائص المحكمات ، وردت الإشارة إليها في سياق آية آل عمران ، وبيان ذلك كما يلي

١ - كونها بينات وهذا مأخوذ من وصفها بأنها عماد وأصل وأساس ، والإحكام من معانيه الاتقان ، فهي أصل وأساس يرد إليها عند الاشتباه ، ولا يرد إلا إلى الواضح البين ، ولا يرتفع الاشتباه إلا بالرد إلى البينات قال تعالى ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منها ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾[٣]

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٥٢)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٠)

(٣) سورة آل عمران، الآية ٧

والراسخون يردون محل الاشتباه إلى المحكمات لأنها أصل وأساس يرفع الاشتباه، ولا يرفع الاشتباه إلا البينات.

٢ ـ كونها أصلاً وأساساً الدليل على ذلك أن المحكمات وصفت في الآية بأنها أم الكتاب أي أصله وعماده كما ذكر ابن جرير وغيره.

٣ ـ كونها حجة تدفع الخصوم وأهل الزيغ، وهذا الوصف مأخوذ من الآية نفسها، لأن أهل الزيغ والفتنة إنما فتنوا وزاغوا لما تركوا المحكمات وهي حجة عليهم تكشف باطلهم وتدحضه، وكذلك صنع علماء السنة في الرد عليهم.

٤ ـ كونها عاصمة من الضلالة وهذا الوصف مأخوذ من الآية، لأن الراسخين في العلم لما عملوا لها وردوا إليها المتشابهات عصمهم الله من الضلالة، وأهل الزيغ لما أعرضوا عنها لم يعصموا من الضلالة.

٥ ـ كونها محفوظة غير منسوخة، وهذا الوصف مأخوذ من قوله تعالى: ﴿محكمات﴾ كما مر بيانه في المعنى اللغوي وكلام المفسرين، وقد سبق ذلك ذكر كلام الأصوليين إذا أطلقوا القول: بأن النص محكم، فإن ذلك يفيد أنه محفوظ غير منسوخ.

وتطبيق أوصاف المحكمات على ما ورد في الآيات التي اختار ابن عباس رضي الله عنهما التمثيل بها كما يلي:

١ ـ **الوصف الأول**: كون المحكمات بينات واضحات وكذلك نجد هذه الأمور المذكورة في تلك الآيات في سورتي الأنعام والإسراء بينات واضحات، يسمح كل مكلف فهمها، وإدراكها والعمل بها ونختار مثالين:

المثال الأول: الأمر بعبادة الله وحده وتحريم الشرك.

فإن هذا المذكور في الآيات بين واضح لا غموض فيه والمكلف العاقل يدر ؛ ما معنى عبادة الله وحده ، بحيث يعلم أن عبادة الله تكون بالخضوع له ظاهراً وباطناً ، فالله وحده هو إلهه ومحبوبه الذي يخافه ويسجد له ويتعبد له بالصلاة والزكاة والحج . . . ، ولا يصرف شيئاً من هذه العبادة لغيره ، فلا يسجد لغير الله ، ولا يصوم ولا يحج لغيره ، ولا يطوف بغير بيته ، ولا يدعو غيره ، ولا يذبح إلا لله ولا ينذر إلا له ، ولا يستغيث إلا به ، ولا يحب إلا فيه ، ولا يوالي أعداءه ، ولا يتحاكم إلا إلى شريعته[1] .

المثال الثاني. تحريم الفواحش ومنها الزنا .

فإن هذا المذكور في الآيات بين واضح لا التباس فيه على أحد والمكلف العاقل يدرك معنى تحريم الزنا وكذا سائر الفواحش ، ويعلم أن هذه الفواحش ممقوتة عند الله سبحانه ، وأنها فساد في الأرض ، فيتجنبها ويمقتها ويُحْذِرُ منها ويُحذّرُ منها .

٢ ـ **الوصف الثاني.** كون المحكمات أصلاً وأساساً لغيرها .

وبيان ذلك : أن المحكمات هي معظم الشريعة ـ كما قال أهل العلم في تفسير الآيات من سورة آل عمران ، ونختار في هذا الموضع مثالين فقهيين لنبين من خلالهما كيف تكون المحكمات أصلاً وأساساً .

المثال الأول. حفظ الدين ، وهو الضروري من الضروريات الخمس ، ويدخل فيه الأمر بالتوحيد ، وإقامة بقية أركان الإسلام ، وإظهار أحكام الشريعة ، ومنع الارتداد عن الدين والتلاعب به كما يصنع المرتدون ، وذلك

---

(١) وكذا تحريم السحر والكهانة والتنجيم انظر الروض المربع شرح زاد المستنقع باب حكم المرتد (٣٥١ ـ ٣٥٥)

بإقامة حكم الردة، وكف الزنادقة عن الفساد، حفاظاً على دين المسلمين وأخلاقهم، وهذا كله مما أجمع عليه علماء الإسلام، فهو من المحكمات البينات، لأن ما ورد فيه من النصوص الشرعية هو الأصل والأساس لتحقيق مقاصد الشريعة من المكلفين.

ولهذا فإن الفقهاء يردون إلى هذا الأصل فروعاً كثيرة لا تحصى، كلها تجتمع على المقصد الأول، وهو حفظ الدين: تحققه، وتؤكده، وتقويه، وتحمي جنابه.

وكذلك هي أصل وأساس يرد المكلف إليه كل ما اشتبه عليه، فإذا فهم بعض المكلفين من قوله تعالى: ﴿لا اكراه في الدين﴾[1].

ان حرية التدين مطلقة غير مقيدة، وأن كل «متدين» له أن يفعل ما يشاء ولو أدى إلى الإخلال بالمقصد السابق وهو حفظ الدين وسألنا كيف يرتفع عنه هذا الاشتباه.

فالجواب: أن هذا الاشتباه الذي ورد على أذهان بعض المكلفين، إذا رددناه إلى الأصل السابق وهو المحكمات فإنه يزول الإشكال والاشتباه.

فنقول وبالله التوفيق: إن الشريعة جمعت بين أمرين:

. الأول: منح اليهود والنصارى ومن في حكمهم إذا كانوا تحت سلطاننا أي «أهل ذمة» حرية البقاء على دينهم أو اتباع الإسلام، والدليل هو قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(١) سورة التوبة، الآية ٢٩، انظر أحكام أهل الذمة لابن القيم (١/ ١ ـ ٢)

الثاني : أن هذه الحرية الممنوحة لهم مقيدة بذلك الأصل والأساس وهو حفظ الدين، لأن النصوص الواردة فيه محكمة أي محفوظة غير منسوخة ولا متبدلة ولا يداخلها تغيير، كما أنها بينة وواضحة.

فيرتفع الاشتباه عند المكلف إذا رجع إلى ذلك الأصل والأساس وعلم أن مقتضى حفظ الدين :

١ ـ تحريم «الالحاد» ومنع وسائله وكذا نشر الخرافة والضلالات والدعاء إليها

٢ ـ منع الإباحية ووسائلها ومنها اقتراف الفواحش ونكاح المحرمات.

٣ ـ تحريم الظلم والاعتداء على الآخرين وإقامة العدل الرباني.

وكل هذه الأمور هي من مقتضى حفظ الدين ونصوص الشريعة الإسلامية من أولها إلى آخرها تؤسس ذلك وتبينه وتحفظ الضروري الأول، وكذلك بقية الضروريات

فإذا فهم المكلف هذا ارتفع عنه الاشتباه الذي فهمه من الآية ﴿لا إكراه في الدين﴾ ذلك لأنه رد ما اشتبه عليه إلى المحكمات، فيتبين له حينئذ

أن منح «أهل الذمة» حرية البقاء على اعتقادهم لا يلزم منه إطلاق الحريات نحو الإباحية والإلحاد والخرافة والظلم والاعتداء[1]

وهذا واضح والحمد لله وهذا معنى قول أهل العلم أن المحكمات أصل وأساس ترد إليه الفروع، كما يرتفع بها الاشتباه.

المثال الثاني : حفظ النفس.

---

(١) قد شرعت في بحث بعنوان «حرية التدين وعلاقتها بمبادىء حقوق الإنسان»، وما زال تحت الإعداد نسأل الله النية الصالحة فيه، وتيسيره بتوفيق الله ومعونته

فإن النصوص المحكمة قد أمرت بحفظها من حديث الوجود. كما بينا سابقاً ـ ومن حيث العدم ومن أمثلة ذلك شريعة القصاص، فإنها تحافظ على النفوس حتى لا يتعدى على حرمتها أحد بغير حق[١]، فيجب قتل القاتل عمداً إذا لم يعف ولي الدم، كما يجب القصاص في الأطراف، فاليد باليد، والسن بالسن، والجروح قصاص، وهذه الأحكام أصل وأساس في المحافظة على مقصد الشارع.

قال الله تعالى: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾[٣].

ويرد إلى هذا الأصل جميع المسائل المتعلقة به، فما كان وسيلة لحفظ النفس فهو مطلوب، وما كان وسيلة لعدم المحافظة عليها فهو منهي عنه.

ومن فروع هذا الأصل: مسألة قتل الجماعة بالواحد، وذلك لو أن جماعة من الناس اشتركوا وتوطئوا على قتل نفس مسلمة إذا كان كل واحد منهم لو انفرد بفعله وجب عليه القصاص فإن مقتضى الأصل السابق هو وجوب القصاص، لأنه لا يمكن المحافظة على النفوس إلا بذلك، وإذا لم نقل بوجوب القصاص في مثل هذه الحالة، فإن حرمة الأنفس تهدر، فيقع الاختلال في حفظ هذا المقصد، ويقع الاختلال في أمن المجتمع، لأنه لا

(١) المغني لابن قدامة، (١١/ ٤٥٨).
(٢) سورة المائدة، الآية ٤٥.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٧٩.

يمتنع أحد أن يقوم بالجناية إذا وجد من يعينه على ذلك، ويسلم من القصاص، إذا لم نقتل الجماعة بالواحد.

فهذا مثال فقهي[1] لكون حفظ النفس، من المحكمات أي أن النصوص التي وردت بالمحافظة على الأنفس محكمة وهي أصل وأساس ترد إليه بقية الفروع المتعلقة بها.

الوصف الثالث: كونها تعصم المكلف من الفتنة والزيغ وبيان ذلك:

أن المكلف تشتبه عليه أمور إما بسبب قصور فهمه وإما بسبب شُبهة يدخلها عليه غيره، وفي كل الحالين يحمله ذلك التقصير وتلك الشبهة على مخالفة أمر الله سبحانه وتعالى فالمخرج له من ذلك أن يعتصم بطاعة الله ورسوله ﷺ، وأن يدفع ما ورد عليه من الاشتباه بالاعتصام بتلك المحكمات، فيسلم حينئذ من الافتنان بالشبه ويثبت على الطاعة ولا يزيغ قلبه عنها.

والفتنة كما ورد تفسيرها في الشرك، ويدخل فيها جميع الأهواء[2]، قوله تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾[3]، قال ابن كثير: «أن تصيبهم فتنة أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة»[4].

---

(١) راجع حكم هذه المسألة بالتفصيل في كتاب المغني لابن قدامه وقد اخترنا هذا القول هنا لأنه يصلح مثالاً لما أردنا بيانه المغني (١١/ ٤٩٠ ـ ٤٩١)

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢٢٧)، وتفسير ابن عطية (٢/ ٣٣٨)، وانظر رسالة الفتنة وموقف المسلم منها (٢٩ ـ ٣٤)

(٣) سورة النور، الآية ٦٣

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٨)

وقوله تعالى: ﴿واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾[١]، أي يصدوك ويردوك.

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني﴾[٢] أي فتنتم أنفسكم وأوقعتموها في النفاق بسبب المعاصي والملذات[٣].

وقد حرر الإمام الشاطبي ضابطاً للفتنة فقال: «وضابط الفتنة ما صد عن طاعة الله»[٤].

ولا ريب أن من لم يبن عقيدته ومنهجه على أساس متين محكم فإنه يفتتن بالأهواء التي تتجارى بأصحابها، وأنه مع تغير الأحوال والعصور وكثرة الضلالات والمخالفات عن الشريعة الإسلامية ينخدع فيقع الشك في قلبه فيزيغ عن الحق ويقع في فتنة الأهواء.

فإننا نعلم أن المكلف لا يسلم من الشرك والأهواء إلا إذا اعتصم بالشريعة الإسلامية.

وتأمل افتتان كثير من الخلق بالخرافة والشرك والسحر والكهانة فإنه لا يتصور أن يسلموا من ذلك إلا إذا اعتصموا بالكتاب والسنة، وتركوا ما هم فيه، فإن غاية ما عند المشركين إنما هو شبه افتتنوا بها، ولو اتبعوا المحكمات ومنها الآيات الآمرة بالتوحيد وصرف العبادة لله سبحانه والناهية عن الشرك والخرافة والسحر والكهانة لسلموا مما وقعوا فيه[٥].

---

(١) سورة المائدة، الآية ٤٩.

(٢) سورة الحديد، الآية ١٤.

(٣) انظر تفسيرابن كثير (٤/ ٣١٠).

(٤) الاعتصام (١/ ٤٣٨) تحقيق الأستاذ سليم الهلالي.

(٥) انظر تفسير ابن عطية (٢/ ٣٣٨).

٤ ـ الوصف الرابع. كونها حجة قوية في مخاصمة أهل الباطل

وبيان ذلك: أن أهل الباطل يتبعون المتشابهات ويحتجون بها على باطلهم كما صنع الزنادقة والحلولية والمشركون والنصارى والذين يستحلون المحرمات، وقد قام عليهم علماء السنة وكشفوا باطلهم وأقاموا عليهم الحجة القوية التي لا يستطيع أحد أن يضعفها، وقاعدة علماء السنة الاحتجاج بالمحكمات[١].

وعلى هذه الطريقة السنية سار جميع المجددين في الإسلام ومن قواعده في المجادلة بالتي هي أحسن:

١ ـ الاحتجاج في تفسير القرآن بالسنة، ولذلك تميز أهل السنة بهذا الوصف الحميد، وحفظوا السنة وعملوا بها ودعوا إليها، وبنوا تفكيرهم ومنهجهم في الاستدلال عليها[٢].

٢ ـ انهم أبرزوا للناس ـ وللخصوم ـ المحكمات الأساسية البينات التي استبانت واتضحت وعمل بها سلف هذه الأمة، وجعلوها حجة لهم، وحجة على خصومهم، طالبين في ذلك نجاتهم ونجاة الناس أجمعين.

٣ ـ انهم سلكوا في ذلك طريقاً سهلاً ميسوراً، يتسم بالوضوح ويتسم باليسر، رغبة منهم في إظهار الحق بأيسر الطرق مراعاة لأحوال المكلفين وقدراتهم.

---

(١) انظر كيف يشبه أهل الزندقة وأهل البدع على أنفسهم، وكيف يرد عليهم علماء السنة ويحتجون عليهم بالمحكمات، انظر أنموذجاً في ذلك رسالة الإمام أحمد رحمه الله الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على تأويله، الطبعة السلفية ١٣٩٣هـ، وانظر الاعتصام (١/ ٢٨١، ٢٩٤، ٣٠١، ٣١٢) وكتاب كشف الشبهات للإمام المجدد محمد عبد الوهاب.

(١) الموافقات (١٢/ ١٧).

وبهذا يتضح تعريف المحكمات عند أئمة التفسير رحمهم الله فهم ينظرون للمحكمات من حيث كونها جماع الكتاب وعموده وأساسه فهي توصف بأنها مرجع وأصل فإذا كانت كذلك فإن العناية بها في القرآن عظيمة ومنزلتها كبيرة وحاجة الناس لها في كل عصر ومصر.

ولهذا كان تفسير ابن عباس رضي الله عنهما إمام أهل التفسير للمحكمات بأمثلة هي أساس مشترك عند الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام كما أنها أصل وعماد لفروع كثيرة وجزئيات لا تنحصر.

وإن اختياره للايات من سورة الأنعام من ١٥١ ـ ١٥٣، ومن سورة الاسراء من ٢٣ ـ ٣٩، يدل على عظيم فقهه فهي نموذج واضح تنطبق عليه تلك الأوصاف التي ذكرها المفسرون بعده للمحكمات، وهذا هو الذي فهمه ابن عطية رحمه الله حيث قال: «وهذا عندي ـ أي قول ابن عباس ـ مثال أعطاه للمحكمات»[1] أي المثال الذي ذكره في سورتي الأنعام والإسراء.

ومثله ما قاله في كتابه التحرير والتنوير: قال بأن مقصد ابن عباس بالتمثيل بهذه الآيات: بأن المحكم ما لا تختلف فيه الشرائع كتوحيد الله، وتحريم الفواحش وذلك ما تضمنته الآيات من سورة الأنعام والآيات من سورة الإسراء[2].

وهذا الذي ذكرنا عن ابن عباس وبينا كيف استفاد منها أئمة التفسير من بعده، والذي نراه في غاية البيان، قد استغربه الإمام الشوكاني في

---

(١) تفسير ابن عطية (٢/ ٣٣٤)، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ١٠).
(٢) التحرير والتنوير (٣/ ١٥٥).

تفسيره، وتبعه عليه آخرون، ونحن نذكر في هذا الموضوع الإشكال ثم نجيب عنه، لأنه قد يظن القارىء كما ظنّ الإمام الشوكاني وغيره أننا هنا بصدد تعيين المحكمات على سبيل الحصر[1].

اعتراض وجوابه:

قال الشوكاني رحمه الله: «وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما نؤمن به ونعمل به، والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره، وأمثاله وأقسامه وما نؤمن به ولا نعمل به.

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردوية عن ابن عباس قال في قوله: «من آيات محكمات» قال: الثلاث آيات عن آخر سورة الأنعام محكمات «قل تعالوا» والآيتان بعدها، وفي رواية عنه أخرجها عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم في قوله «آيات محكمات» قال: من هنا «قل تعالوا» إلى ثلاث آيات، ومن هنا ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ إلى ثلاث آيات بعدها، وأقول: رحم الله ابن عباس ما أقل جدوى هذاالكلام المنقول عنه، فإن تعيين ثلاث آيات أو عشر

---

(١) وليس هذا هو مقصود البحث، بل مقصود البحث هو التعريف بها، وذكر خصائصها، وأثرها في حفظ المجتمع، أما تعدادها فهذا غير ممكن لأنها «معظم الكتاب» وما ذكرنا منها فإنما هو على سبيل التطبيق والمثال، وحتى لو قلنا أن الفقه مبناه على حفظ الضروريات الخمس فإن هذا ليس حصراً للمحكمات مهما استطاع الباحث أن يجري الاستقراء والتتبع لكثير من المحكمات، وذلك لأن هناك محكمات كثيرة لا تحصر تفوت عليه، فآل الأمر إلى مجرد التطبيق والمثال لا التتبع والحصر

أو مائة من جميع آيات القرآن ووصفها بأنها محكمات ليس تحته من الفائدة شيء فالمحكمات هي أكثر القرآن على جميع الأقوال حتى على قوله المنقول عنه قريباً من أن المحكمات ناسخه وحلاله . . الخ، فما معنى تعيين تلك الآيات من آخر سورة الأنعام، وأخرج عبد بن حميد عنه قال: المحكمات الحلال والحرام وللسلف أقوال كثيرة هي راجعة إلى ما قدمنا في أول هذا البحث» انتهى كلام الشوكاني[١].

وتابعه في ذلك الشيخ صديق حسن خان في تفسيره[٢].

ذكر الجواب عن هذا الإشكال:

ونذكر عدة أجوبة إضافة لما ذكرناه من قبل حين فسرنا كلام ابن عباس رضي الله عنهما وحاصل ذلك كما يلي:

١ ـ أن ابن عباس فسر المحكمات بالمثال، وهو تفسير معتبر، بل هو من أوضح أنواع التفسير، وقد ذكرنا أن هذا المثال هو أنموذج تطبيقي لكلام أئمة التفسير وقد نقلنا كلام ابن عطية رحمه الله في ذلك، وليس مقصود ابن عباس هو حصر المحكمات.

٢ ـ أن ما ذكره ابن عباس كما سبق في نقل الإمام الشوكاني[٣] على مراده رضي الله عنهما حيث قال: الثلاث آيات من آخر سورة الأنعام

---

(١) فتح القدير (١/ ٤٨٠ ـ ٤٨١).

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (٢/ ٩).

(٣) قد أشار الأستاذ سعيد محمد اللحام تعليقاً على كلام الشوكاني فقال في الهامش: إن ما ذكره ابن عباس إنما هو على سبيل المثال لا الحصر، فتح القدير (١/ ٤٨٠).

محكمات «وهذه جملة من مبتدأ وخبر، ومعناه صحيح، لأن هذه الآيات محكمات»[1] ولم يقصد ابن عباس أنها جميع المحكمات.

٣ـ إن المحكمات تشمل الحلال والحرام والناسخ أي المحفوظ وإنما خص آيات سورة الأنعام والإسراء لما بيناه من كونها جامعة، وأنها مما أجمعت عليها شرائع الأنبياء، حيث ترد إليه جميع شرائعهم، وهذا من أحسن التفسير والتأويل[2]، فيصبح أن توصف هذه الآيات بأنهن أم الكتاب بخلاف بعض الجزئيات من المحكم، وان وصفناه بأنه محكم غير منسوخ، فإنه لا يصلح لأن يكون أماً وأصلاً للكتاب، ذلك لأنه فرع، والفرع لا يكون أماً وأساساً وأصلاً.

وآية ذلك إذا قلنا: الآيات السبع في سورة الفاتحة أم الكتاب، فإن هذا الوصف يصدق كما ورد في الحديث الصحيح من حديث أبي سعيد بن المعلى حيث قال له رسول الله ﷺ. «لأعلمنّك سورة هي أعظم السور في القرآن.. الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»[3]، وحديث أبي هريرة مرفوعاً: «أم القرآن هي السبع المثاني»[4].

(١) الاتقان للسيوطي (٤١٣)

(٢) الشرائع الإسلامية عند الأنبياء جميعاً عليهم السلام جاءت بحفظ الضروريات الخمس، وإبن عباس أشار إلى هذه الايات لتلك المقاصد، وقد فصلنا القول في تحرير قول ابن عباس ودفع الإشكال عنه لأهمية البناء عليه وقد رأينا بعد ذلك من يذكر هذه الآيات الجامعة ويعتبرها من الأدلة القوية على حفظ ومراعاة المصالح والمقاصد الخمسة، كما صنع صاحب كتاب مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية (١٨٧) وهذا حسن وكان الأحسن من ذلك أن يستند على كلام ابن عباس، ولعله لم يطلع عليه. أو اعتبر الآيات واضحة في المقصود لا تحتاج إلى تفسير

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (٨/ ٦)

(٤) فتح البا ري (٨/ ٦)، (٨/ ٢٣٢)

وفي الحديث دلالة على أن السبع آيات هي أم الكتاب، ولا شك أنها محكمات، فإذا قال قائل: السبع آيات هذه محكمات أو سئل عن المحكمات فقال: السبع المثاني، فإنه يكون صادقاً وجوابه صحيحاً ولا يلزم من قوله هذا المحكمات هي السبع المثاني فقط، بخلاف ما إذا قلنا الآيات في تحريم الغيبة أم الكتاب فإن للسائل أن يسأل فيقول إذا كانت أصلاً وأما فما هو الذي يرجع إليها؟ والجواب أنها ليست بأم الكتاب بل هي فرع عن غيرها.

ونقول: إنها من المحكم أي غير منسوخة بل محفوظة، وكذلك فهي من البينات، لكن لا توصف بجميع أوصاف المحكمات فلا نقول: إنها مرجع لغيرها من آيات الكتاب، بخلاف الآيات السبع في سورة الفاتحة فإنها توصف بجميع أوصاف المحكمات، وذلك أن القرآن يرجع إليها ففيها ذكر التوحيد ووجوب العبادة لله وحده والاستعانة به، وذلك قوله سبحانه ﴿الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم﴾ وفيها الإيمان باليوم الآخر ﴿مالك يوم الدين﴾ وفيها ذكر الصراط المستقيم وفيها التحذير من السبل المضلة، وذلك في قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فإذا قلنا: إنها أم الكتاب فإنه يصدق عليها هذاالوصف[1]، ومثله قول ابن عباس للآيات من سورة الأنعام والإسراء بأنها محكمات.

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح باب ما جاء في فاتحة الكتاب قال ابن حجر: ومن أسمائها أم الكتاب، وأم القرآن، والكنز، والوافية، والشافية، والكافية، وسورة الحمد لله، وسورة الصلاة، وسورة الشفاء، والأساس، وسورة الشكر، وسورة الدعاء انظر (٨/ ٦).

وبهذا نكون ـ والحمد ـ انتهينا من تعريف المحمكات وبيان خصائصها وذكر نماذج لها وشرح كلام المفسرين، وكلام إمامهم ابن عباس رضي الله عنهما، والجواب عن الإشكال المذكور ونختم هذا الفصل ببيان اتجاهات الأصوليين في تفسير المحكم ولنبين سبب الاختلاف في ذلك، وهل هو من اختلاف التنوع أو اختلاف التضاد.

المبحث الثالث: الاتجاهات في تفسير المحكم

إن الإختلاف في تفسير المحكم عند الأصوليين سببه تعدد الوجوه التي ينتظمها اسم المحكم ونذكر هنا أبرز اتجاهين في تفسيره:

الاتجاه الأول. ويلاحظ هذا الاتجاه في المحكم أمور منها:

١ ـ كونه محفوظاً غير منسوخ.

٢ ـ كونه واضح الدلالة لا التباس فيه.

٣ ـ كونه يعصم صاحبه من الضلالة لأنه يرد الاشتباه إليه.

٤ ـ كونه أساساً وأصلاً وأماً للكتاب.

٥ ـ كونه يقوي بعضه بعضاً.

وبيان ذلك أن كلام المفسرين الذي نقلناه سابقاً ومنه كلام ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد، ومعمر، وابن جرير، وابن كثير وغيرهم يدل على أن من اتبع هذه المحكمات التي هي أصل الكتاب وأساسه، فإنه يكون على علم وعمل صحيح محفوظ واضح يحفظه من الالتباس ويعصمه من الضلالة ويجعله على صراط مستقيم، وسواء علم ذلك بالتفصيل كالعلماء الراسخين أو علمه إجمالاً بحسب حاله ودرجته.

ويمكن أن نربط بين كلام المفسرين في هذا الموضوع وبين ما ذكره بعض الأصوليين من أن المحكم أصل لا اختلاف فيه وقد سبق بيان ذلك عند بيان نظرة الأصوليين للمحكم، ومن المناسب أيضاً أن نلحق بهذا الموضوع كلام الأصوليين في الضروريات الخمس ذلك لأنها من أبرز الأمثلة التطبيقية للمحكمات والضرورات الخمس هي: حفظ الدين وحفظ العقل وحفظ النفس وحفظ العرض وحفظ المال، وهذه الأصول محكمة غير منسوخة بل ذكر بعض المحققين أنها محفوظة في كل ملة[1].

ونحن نذكر الأوصاف المشتركة بينها:

١ ـ كون الضروريات الخمس محفوظة غير منسوخة.

٢ ـ كونها واضحة لا التباس فيها.

٣ ـ أنها تعصم من حافظ عليها وحقق المقاصد التي شرعت من أجلها من الضلالة.

٤ ـ كونها أساساً وأصلاً.

٥ ـ كونها يقوي بعضها بعضاً ويشد بعضها بعضاً.

وبيان ذلك أن الإيمان قد أمر الله به عباده على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام وكذلك أركانه وكذا الأمر بالصلاة والصيام والزكاة . . وهذه الشرائع كلها مبنية على القول والعمل والاعتقاد وبها يحفظ الدين الذي هو الضروري الأول، وقل مثل ذلك في حفظ العقل والعرض والنفس والمال.

---

(١) وسيأتي بمشيئة الله تعالى ذكر الأدلة على ذلك عند الحديث عن أثر المحكمات في حفظ المجتمع.

ومعنى كونها محفوظة أي غير منسوخة، وكذلك نقول: إنها بينة واضحة لا التباس فيها، وإنها تعصم صاحبها من الضلالة وتحفظ المجتمع من الانحرافات، لأن الضروريات الخمس تحفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، والمجتمع قوامه سلامة دين أفراده ونفوسهم وعقولهم وأعراضهم وأموالهم[1].

وإذا كانت الضروريات كذلك فهي بلا ريب أساس وأصل في الشريعة ترجع إليها الأحكام الجزئية، وبها تتحقق مقاصدها الكلية، وأما الوصف الأخير للمحكمات، فإنه منطبق على الضروريات الخمس، لأن الضروريات يقوي بعضها بعضاً ويشد بعضها بعضاً، لأن الخلل الذي يرد على حفظ النفس يكون خللاً في الدين، وكذلك ضياع العقل والعرض والمال مؤد إلى الإخلال بالضروري الأول الذي هو حفظ الدين، وهكذا بالنسبة للضروريات مع بعضها، لأن كل ضروري يشد الآخر ويقويه والإخلال بواحد منها يؤثر على الآخر[2]، ولذلك يصح أن نقول: إن الضروريات هي من المحكمات أو تدخل الضروريات عند الأصوليين تحت كلام المفسرين الشارح للمحكمات وذلك أن الضروريات محفوظة غير منسوخة، وغير متبدلة، وأنها جماع الدين، وأنها عماده وأساسه.

وبهذا نستطيع أن نقول: إن اتجاه الأصوليين في فهم الضروريات الخمس وبيان منزلتها مشابهة لمنهج المفسرين في بيان خصائص المحكمات، وتعد هذه النظرة الشاملة بخصائص المحكمات من أبرز الاتجاهات وأشملها

---

(١) سيأتي بيان أثرها في حفظ المجتمع بمشيئة الله في بحث مستقل.
(٢) انظر الموافقات (٢/ ١٦ ـ ١٨).

الاتجاه الثاني: تفسير المحكم بالنظر لبعض خصائصه.

فسر بعض الأصوليين والمفسرين المحكم بأنه الناسخ ويقصدون أنه محفوظ يجب العمل به، وهم في هذا يلاحظون أحد الوجوه التي ينتظمها هذا الاسم[1].

ولذا قال بعض المفسرين إن المحكم هو الحلال والحرام. ولا منافاة بين هذا الاتجاه والاتجاه الذي قبله، إذ إن الاتجاه الأول يلاحظ خصائص المحكم وصفاته جميعاً، والاتجاه الثاني لاحظ صفة من صفات المحكم وهو كونه محفوظاً غير منسوخ.

وسبب ذلك فيما يظهر لي أن الاتجاه الأول يتحدث عن المحكمات من خلال مجموع خصائصها ملاحظاً السياق الذي وردت فيه في آية آل عمران، كما بينا سابقاً في كلام المفسرين. وهذه نظرة شاملة تحقق المقاصد من سياق الآية.

أما بالنسبة لاتجاه الأصوليين في النظر في النص الجزئي فهم تارة يلاحظون مفردات الألفاظ وطريقة الاستباط منها وتارة يلاحظون سياق الآية وينظرون للمحكم من جميع الوجوه فإذا نظروا للفظ نظراً جزئياً ووجدوه يتصف بالظهور وصفوه بأنه محكم، وإذا اتسم بالخفاء كالمجمل والمشترك اعتبروه متشابهاً، لأنه يحتاج إلى بيان، ومثله القول في تفسيره

(١) أشار إلى تعدد الوجوه التي ينتظمها اسم المحكم الجصاص في كتابه أحكام القرآن (٢/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) دار إحياء التراث، والشوكاني في تفسيره (١/ ٤٧٤)، ومن الأصوليين أبو يعلي حيث وصفه بأنه أصل انظر ما سبق ص ٣٠، وابن ابراهيم حيث روى عن الإمام أحمد بأنه الذي لا اختلاف فيه انظر ما سبق ص ٣٠.

من حيث كونه عاصماً من الضلالة، لأنه يعصم المكلف إذا استطاع أن يقوم برد ما اشتبه عليه الى المحكمات فيسلم من الضلالة ويحتاج في كثير من الأحيان[1] إلى العلماء الراسخين في رفع الاشتباه الوارد عليه وهنا يمكن أن يقال: إن المحكم هو العاصم من الاشتباه، وأعلم الناس به على الفصيل هم الراسخون.

وعليه فلا مانع أن يلاحظ المفسر والأصولي خاصية من خصائص المحكم ويقصد الحديث عنها بحسب الموضع وبحسب السياق.

ولهذا جعلوا المحكم مقابل المتشابه، وقالوا: المحكم مالا يحتاج إلى بيان، والمتشابه ما يحتاج إلى بيان، وبيانه يكون برده إلى المحكم.

وكل من لاحظ معنى خاصاً بالمحكم جاز له أن يعرفه من خلال ذلك، وإن كان النظر في ذلك جزئياً فلا بأس به، إذ ذلك مقصد كلامه، فالمناسب أن يفسر بحسب المقصد والوجوه التي لاحظها، ولذلك نجد في كلام الواحد من العلماء من المفسرين والأصوليين اختلاف عبارة في تفسير المحكم، والاختلاف في كلامه ليس من قبيل التضاد بل من قبيل التنوع، فهو ينوع العبارة بحسب نظرته للمحكم، فإن كان السياق يناسب الكلام عنه من حيث مجموع خصائصه فإنه يتحدث عنه حديثاً شمولياً، وإن كان السياق يناسب الحديث عنه من خلال بعض خصائصه كان الحديث عنه بحسب تلك الخاصية والله أعلم.

---

(١) هذا بحسب درجات المكلفين في العلم وبحسب المسألة التي عرضت للمكلف، والملكفين يتفاوتون في العلم كما أن العلماء يتفاوتون فيه ويحتاج بعضهم إلى بعض

والذى يناسب مقاصد البحث هو الاتجاه الأول لأنه يجمع جميع خصائص المحكمات، وينظر إليها من جميع الوجوه التي ينتظمها الاسم، وننتقل بعد ذلك إلى بيان أثر المحكمات في حفظ وحدة الأمة وحفظ المجتمع والله الموفق.

الفصل الثالث: المحكمات وأثرها في وحدة الأمة وحفظ المجتمع

المبحث الأول: المحكمات وأثرها في وحدة الأمة

إن بيان منزلة المحكمات في الشريعة يكشف لنا عن أثرها الحسن في تحقيق وحدة المسلمين. ونتعرف على منزلتها من خلال تلك الأوصاف التي وصفها بها أهل العلم، ومن تلك الأوصاف قولهم:

إن المحكمات هي أصل الدين، وهي عماد الإسلام، والمقصود أن الشريعة تقوم على تلك المحكمات، وكلام المفسرين هذا يماثل كلام الأصوليين من أن الشريعة تقوم على حفظ الضروريات الخمس، فالنصوص المحكمة الواردة في حفظ الضروريات عليها مدار الشريعة.

ولهذا قال الإمام الشاطبي في الموافقات: إن الضروريات محفوظة في كل ملة[1]، وكذا قال المفسرون إن المحكمات مكتوبات في جميع الكتب المنزلة، وليس من أهل دين من المسلمين اتباع الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام إلا يرضى بهن.

---

(١) الموافقات (٢/ ٢٥) قال رحمه الله: قسم الضروريات مراعي في كل ملة بحيث لم تختلف فيه الملل كما اختلفت في الفروع فهي أصول الدين وقواعد الشريعة وكليات الملة انظر (٢/ ٤١٠).

وإذا كانت كذلك يصدق عليها ما قال ابن زيد أنهن جماع الكتاب[١] وهي كذلك أساس متين لوحدة المجتمع صغيراً كان أم كبيراً، كما أنها جامعة للمسلمين في كل زمان ومكان على اختلاف ألوانهم وأجناسهم إذا صدقوا في العمل بها قوام المجتمع الإسلامي، ولهذا ربط الله بها الفلاح والصلاح وحذر المسلمين من التفرق عنها.

وقد حرص الكفار والمشركون على أن يفرقوا المسلمين عنها لأنهم يعلمون أن المسلمين إذا تفرقوا في المحكمات، فإنهم يضلون، ويضيعون مجتمعاتهم، لأنه لا يمكن حفظ المجتمع إلا بحفظ الضروريات الخمس المعروفة، ولا يمكن أن يكون المسلمون أمة واحدة على عقيدة صحيحة وشريعة واحدة إلا باتباع المحكمات، ولم ينحرف الكفار والمشركون إلا بسبب تفرقهم عنها من بعد ما جاءهم العلم، ولما جدد الله سبحانه لهم البلاغ على لسان الرسول ﷺ كبر عليهم أن يدعو إلى تلك المحكمات.

ونورد في هذا الموضوع كلام أهل العلم من المفسرين ثم نتبعه بذكر الأدلة الدالة على أن المحكمات هي الأساس لوحدة الأمة في جميع العصور والأحوال.

قال سعيد بن جبير في تفسير معنى المحكمات الوارد ذكرها في قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منها آيات محكمات هن أم الكتاب﴾ قال: لأنهن مكتوبات في جميع الكتب المنزلة»[١].

وقال مقاتل بن حيان: «لأنه ليس من أهل دين إلا يرضى بهن»[٢].

---

(١) سيأتي عرض الأدلة على ذلك إن شاء الله تعالى.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٥٣).

(٣) المرجع السابق.

وقال يحيى بن يعمر: «محكمات هن أم الكتاب: هن الآتي فيهن الفرائض والأمر والنهي وهن عماد الدين وعماد كل شيء أمة»[1].

وقال ابن زيد: «هن أم الكتاب هن جماع الكتاب»[2].

وسماها ابن كثير وشيخ الإسلام «الدين المشترك عند الأنبياء»[3].

ويؤكد هذا قول القرطبي: «فالمحكم أبداً أصل ترد إليه الفروع»[4]، ولا شك أن المحكمات البينات هي الأصل والعماد الذي بنيت عليها مقاصد الشرائع الإسلامية التي أنزلها الله سبحانه على أنبيائه، وعليها اجتمعت عليه الكتب المنزلة[5]، فإذا كانت هذه المحكمات هي أساس الوحدة بين الأنبياء وأبتاعهم من المسلمين فهي كذلك الأساس الذي تقوم عليه الوحدة الإسلامية بين المسلمين في هذا العصر، وإليك الأدلة على ذلك.

الدليل الأول:

قال الله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب * وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت

---

(١) جامع البيان (٣/ ١٧٥).

(٢) جامع البيان (٣/ ١٧٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٢-٥٩٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١١٠)، ولعل الله ييسر أن نفرد بحثاً لبيان المشترك بين شرائع الأنبياء عليهم السلام.

(٤) انظر ما سبق ص ٥٤.

(٥) فما من أصل في الشرائع السابقة إلا تضمنته الشريعة الإسلامية، من ذلك حفظ الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعرض، والأخلاق.

من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب﴾[١].

روى ابن جرير رحمه الله بسنده عن مجاهد قال: ﴿ما وصى به نوحاً﴾ قال: «ما أوصاك به أنبياءه كلهم دينهم واحد»، وعن السدي في قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾ قال: «هو الدين كله» وهو قتادة قال: «بعث نوح حين بعث بالشريعة بتحليل الحلال وتحريم الحرام»[٢].

وقال السدي في تفسير قوله تعالى: ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ قال «اعملوا به ولا تختلفوا في الدين الذي أمرتم بالقيام به».

وقاله تعالى: ﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ أي كبر على المشركين بالله ما تدعوهم إليه من اخلاص العبادة لله وإفراده بالألوهية والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد

﴿وما تفرقوا إلاّ من بعد ما جاءهم العلم . . ﴾.

قال ابن جرير: «وما تفرق المشركون بالله في أديانهم فصاوروا أحزاباً إلا من بعد ما جاءهم العلم بأن الذي أمرهم الله به وبعث به نوحاً هو إقامة الدين الحق وأن لا تتفرقوا فيه»[٣].

﴿وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب﴾.

---

(١) سورة الشورى، الآيتان ١٣ ـ ١٤

(٢) جامع البيان ١١٠/ ١٣٤ ـ ١٣٥)ـ دار الكتب العلمية

(٣) المرجع السابق نفسه (١١/ ١٣٦)

يقول: لفي شك من الدين الذي وصي الله به نوحاً وأوحاه إليك يا محمد وأمركما بإقامته مريب»[1]

قال ابن كثير رحمه الله: «يقول الله تعالى لهذه الأمة ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك﴾ فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم وهو محمد ﷺ، ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهو إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية الآحزاب عليهم في قوله تبارك وتعالى: ﴿وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم﴾[2]، والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال عز وجل: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[3]، وفي الحديث (نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد)[4]، أي القدر المشترك بينهما هو عبادة الله وحده لا شريك له وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم كقوله جل جلاله ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾[5]، والذي اختص به كل نبي إنما هو في بعض الشرائع الجزئية، أما المحكمات والأساسيات والضروريات فهي الدين الواحد عند جميع الأنبياء عليهم السلام ولهذا قال الله تعالى ههنا: ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ أي: أوصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم

(١) المرجع السابق نفسه (١١/ ١٣٦)

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٧

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٢٥

(٤) صحيح البخاري مع الفتح أحاديث الأنبياء (٦/ ٤٧٨) أي أبوهم واحد وأمهاتهم شتى.

(٥) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١١٠).

الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف وقوله عز وجل: ﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ أي: شق عليهم وأنكروا ما تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد، ثم قال جل جلاله: ﴿الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ أي هو الذي يقدر الهداية لمن يستحقها ويكتب الضلالة على آثرها على طريق الرشد ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ أي إنما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه إليهم وقيام الحجة عليهم وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد والمشاقة».

ثم قال عز وجل: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى﴾ أي لولا الكلمة السابقة من الله تعالى بإنظار العباد بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد لعجل عليهم العقوبة في الدنيا سريعاً وقوله جلت عظمته: ﴿وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم﴾ يعني الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذب للحق ﴿لفي شك منه مريب﴾ أي ليسوا على يقين من أمرهم وإيمانهم وإنما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا برهان وهم في حيرة من أمرهم وشك مريب وشقاق بعيد»[١].

قال الإمام الشوكاني في تفسيره: «إن الخطاب في قوله: ﴿شرع لكم من الدين﴾ لأمة محمد ﷺ أي بين وأوضح لكم من الدين ﴿ما وصى به نوحاً﴾ من التوحيد ودين الإسلام وأصول الشرائع التي لم يختلف فيها الرسل وتوافقت عليها الكتب ﴿والذي أوحينا إليك﴾ من القرآن وشرائع الإسلام والبراءة من الشرك والتعبير عنه بالموصول لتفخيم شأنه، وخص

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١١٠).

ما شرعه لنبينا ﷺ بالإيحاء مع كون ما بعده وما قبله مذكوراً بالتوصية للتصريح برسالته ﴿وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾ مما تطابقت عليه الشرائع . ثم بين ما وصي به هؤلاء فقال : ﴿أن أقيموا الدين أي توحيد الله والإيمان به وطاعة رسله وقبول شرائعه ، وأن هي المصدرية ، وهي وما بعدها في محل رفع الخبرية لمبتدأ محذوف ، كأنه قيل ما ذلك الذي شرعه الله؟ فقيل هو إقامة الدين ، أو هي في محل نصب بدلاً من الموصول ، أو في محل جر بدلاً من الدين ، أو هي المفسرة ، لأنه قد تقدمها ما في معنى القول ، قالمقاتل : يعني أنه شرع لكم ولمن قبلكم من الأنبياء ديناً واحداً ، قال مقاتل : يعني التوحيد قال مجاهد : لم يبعث الله نبياً قط إلا وصاه بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاةوالإقرار لله بالطاعة ، فذلك دينه الذي شرع لهم ، وقال قتادة يعني تحليل الحلال وتحريم الحرام ، وخص إبراهيم وموسى وعيسى بالذكر مع نبينا ﷺ لأنهم أرباب الشرائع ثم لما أمرهم سبحانه بإقامة الدين ، نهاهم عن الاختلاف فيه فقال : ﴿ولا تتفرقوا فيه﴾ أي لا تختلفوا في التوحيد والايمان بالله وطاعة رسله وقبول شرائعه ، فإن هذه الأمور قد تطابقت عليها الشرائع وتوافقت فيها الأديان ، فلا ينبغي الخلاف في مثلها ، وليس من هذا فروع المسائل التي تختلف فيها الأدلة وتتعارض فيها الإمارات وتتباين فيها الأفهام ، فإنها من مطارح الاجتهاد ومواطن الخلاف ، ثم ذكر سبحانه أن ما شرعه من الدين شق على المشركين فقال : ﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ أي عظم وشق عليهم ما تدعوهم إليه من التوحيد ورفض الأوثان ، قال قتادة : كبر على المشركين واشتد عليهم شهادة أن لا إله إلا الله وحده وضاق بها إبليس وجنوده ، فأبى الله إلا أن ينصرها ويعليها ويظهرها ويظفرها على من ناوأها . ثم خص أولياءه فقال :

﴿الله يجتبي إليه من يشاء﴾ أي يختار والاجتباء الاختيار، والمعنى: يختار لتوحيده والدخول في دينه من يشاء من عباده ﴿ويهدي إليه من ينيب﴾ أي يوفق لدينه ويستخلص لعبادته من يرجع إلى طاعته ويقبل على عبادته[١].

الدليل الثاني:

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم * يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾[٢].

قال ابن جرير رحمه الله عند تفسير هذه الآيات «وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله.

«ولا تفرقوا: أي ولا تفرقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ـ تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني ـ مكتبة أم القرى (٤/ ٢٣٠ ـ ٢٥٩)

(٢) سورة آل عمران، الآيات ١٠٢ ـ ١٠٧.

كتابه من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله ﷺ والانتماء إلى أمره»[1].

«ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا . . أي لا تكونوا يا معشر الذين آمنوا كالذين تفرقوا من أهل الكتاب واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه من بعد ما جاءهم البيانات من حجج الله فيما اختلفوا فيه وعلموا الحق فيه فتعمدوا خلافه وخالفوا أمر الله . . فلا تفرقوا يا معشر الموقنين في دينكم تفرق هؤلاء في دينهم ولا تفعلوا فعلهم وتستنوا في دينكم بسنتهم فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم»[2].

وقال ابن كثير رحمه الله: «ينهى الله تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضية في افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم»[3].

ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ قال: يعني يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة»[4].

فأهل الأهواء والبدع تركوا السبيل الواحد والصراط المستقيم الذي يؤدي إلى وحدة الأمة وهو لزوم المحكمات وترك المتشابهات ولذلك لم

---

(١) جامع البيان (٤/ ٣٠-٣٢).

(٢) جامع البيان (٤/ ٣٩)

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٩١) وما ذكره ابن كثير إنما هو مثال واحد في المحكمات وسيأتي بيان كونه من الضروريات التي اتفقت عليها شرائع الأنبياء عليهم السلام

(٤) أخرجه الإمام اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٧٢)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٩١)

يتحقق لهم الاجتماع على السنة، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾[١].

وهذه الآية الكريمة جاءت بعد ذكر بعض المحكمات في سورة الأنعام[٢] ثم جاء التوجيه الرباني بلزوم تلك المحكمات لأنها هي الصراط المستقيم.

قال الإمام الشاطبي: «فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه، وهو السنة والسبل هي سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم، وهم أهل البدع، وليس المراد سبل المعاصي لأن المعاصي من حيث هي معاصي لم يضعها أحد طريقاً تسلك دائماً على مضاهاة التشريع، وإنما هذا الوصف خاص بالبدع المحدثات»[٣].

ولم يفرق الأمة إلا اجتماع طوائف منها على المحدثات، ووقوعها في التشريع من دون الله، فاتخذت طرقاً مخالفة للشرع، وتركت المحكمات البينات، فوقعت في الذم الذي ورد في سورة آل عمران فقد وصف الله سبحانه وتعالى أهل الأهواء بأنهم:

١ ـ وقعوا في الفتنة[٤].

٢ ـ أنهم تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاء العلم.

ولذا فإن الوحدة لا تتحقق إلا بالاجتماع على السنة، وترك تشريع

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٣

(٢) انظر ما سبق ص ٤١.

(٣) الاعتصام (١/ ٧٦).

(٤) انظر ما سبق ص ٦١.

المحدثات والبدع، ولزوم الصراط الذي دعا الله سبحانه إليه وهو الصراط المستقيم.

وقد ذكر عبدالرحمن بن مهدي الإمام الناقد الحافظ أن مالك بن أنس سئل عن السنة؟ قال «هي مالا اسم له غير السنة، ولا «وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»[١].

فلزوم السنة واتباع المحكمات، وهي هجر البدع والمحدثات والشبهات هو الطريق لوحدة المسلمين في كل زمان ومكان.

الدليل الثالث:

قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حرب بما لديهم فرحون﴾[٢].

قال ابن كثير: «فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنفية ملة إبراهيم الذي هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره . . »[٣].

وقال ابن جرير رحمه الله. «ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم» قال: معناه من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً أحزاباً . . «كل حزب

(١) الانتقاء لابن عبدالبر (٣٥)، والاعتصام (١/ ٧٧).
(٢) سورة الروم، الآيات ٣٠ ـ ٣٢
(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٤٣).

بما لديهم فرحون: كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحق فأحدثوا البدع التي أحدثوا . . .»[١].

والمعنى كما ذكر ابن كثير: لا تكونوا من المشركين وكونوا من الموحدين المخلصين له العبادة لا يريدون بها سواه، فلا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم أي: بدلوه وغيروه، وآمنوا ببعض وكفروا ببعض، وقرأ بعضهم: فارقوا دينهم أي: تركوه وراء ظهورهم، فلا تكونوا مثلهم، وكذلك وقع في هذه الأمة فاختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة، وهم الفرقة الناجية «أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسول ﷺ وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه كما رواه الحاكم في مستدركه أنه سئل ﷺ عن الفرقة الناجية من هم؟ فقال: «ما كان على ما أنا عليه اليوم والصحابي»[٢].

وفي هذه الآيات تنبيه إلى طريق الوحدة الإسلامية وهو طريق واحد لا يختلف من عصر إلى عصر، وقد كان الأنبياء عليهم السلام هم أقوم الناس به، وكذلك أتباعهم الصادقون ولهذا من الله على عباده ببيان المحكمات التي هي أساس هذا الطريق المستقيم، وأولها التوحيد وأصول الشرائع وهي ما وصى به الرسل عليهم السلام وأممهم من قبل، وذلك أن التوحيد وأصول الشرائع لم يختلف فيها الرسل عليهم السلام وتوافقت عليها الكتب المنزلة.

---

(١) جامع البيان (٢١/ ٣٢ـ٤٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٤٧)، والاعتصام للشاطبي (٢/ ٦٩٨ـ٦٩٩، ٧٧٢) وصحيح الترمذي برقم (٢٦٤١) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، وهو حديث حسن انظر «درء الارتياب عن حديث ما أنا عليه والأصحاب» للأستاذ سليم الهلالي، نشر دار الراية، الرياض.

وهذا الذي أوحى الله به إلى رسوله محمد عليه الصلاة والسلام وهو الذي وصى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وأمرهم جميعاً أن يقيموا الدين وأن لا يتفرقوا فيه، وأعلمهم أن المشركين كبر عليهم أن يدعوا إلى التوحيد ولله من ينيب ويرجع إلى طاعته ويقبل على عباته، أما المعرضون فقد ضلوا وأضلوا بسبب زيغهم وإعراضهم وتفرقهم عن المحكمات من بعد ما جاءهم العلم، ولذلك وصى الله المسلمين أتباع محمد ﷺ بلزوم هذا العلم البين والاجتماع عليه والحذر من المشركين وهديهم وشرائعهم وقوانينهم وأحكامهم، وهذا هو الطريق الوحيد لجمع كلمة المسلمين في كل زمان ومكان، ويشمل ذلك اتباع كل رسول في زمانه، كاتباع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام، فإنه لم يتحقق لهم الاجتماع على وحدة الكلمة إلا باتباع تلك الأوامر القرآنية التي حددت الطريق إلى وحدة الأمة المسلمة في كل عصر، وكذلك نقول في حال المسلمين اليوم في جميع أقطار الدنيا، فإنه لا يتصور زوال الخلاف والشتات الذي وقع بينهم إلا باتباع تلك الأوامر القرآنية.

الدليل الرابع:

روى الترمذي وصححه وأبو داود وغيرهما من العرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فيما تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعيش منكم يرى اختلافاً كثيراً،

وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»[١].

ومحدثات الأمور هي البدع وسبب الوقوع في البدع هو اتباع المتشابهات وترك المحكمات، وهكذا يقع الخلاف وتزول الوحدة بسبب هذه المحدثات.

الدليل الخامس:

حديث عبدالله بن عمرو بن العاص في الصحيحين:

أنه قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رءوساً جهالاً فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[٢].

والجهل سبب التفرق، وسبب الإعراض عن العلم، وهذا كله مؤد إلى الاختلاف، لأن الرءوس الجهال يفتون بغير علم، أي بجهل، يدعون المحكمات ويفتون بما يخالفها مما وقع لهم الاشتباه فيه بسبب قبض العلماء[٣]، ولا ريب أن هذا من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى الافتراق وترك الاجتماع على السنة

الدليل السادس:

حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية

---

(١) أخرجه الترمذي بهذا اللفظ في كتاب العلم (٥/ ٤٤ ـ ح ٢٦٧٦)، وأبو داود في كتاب السنة (٥/ ١٣ ـ ح ٤٦٠٧).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١/ ٢٣٤)، وصحيح مسلم (١٦/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤)

(٣) قبض العلماء يكون بموتهم فيقل علماء السنة ويكثر علماء البدع فتكثر الأهواء فينتشر الاختلاف.

﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . . . إلى قوله أولوا الألباب﴾ قالت قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم»[(١)].

وفي رواية أخرى قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية . . قال: «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم»[(٢)].

قال الإمام الشاطبي: «الذم إنما لحق من جادل فيه ـ أي القرآن ـ بترك المحكم ـ وهو أم الكتاب ومعظمه ـ والتمسك بمتشابهه»[(٣)].

ولا ريب أن هذا من أعظم أسباب الاختلاف المذموم الذي نهى الله عنه، وتحذير الرسول ﷺ لأمته هو دلالة لها على طريق الوحدة وأسبابها وإنذارها من سبل الاختلاف وأسبابه، وحديث عائشة وراد كما سبق في تفسير هذه الآية وفي ذلك دلالة واضحة على أن لزوم المحكمات واتباعها هو الطريق المستقيم الذي يجمع هذه الأمة ويوحد كلمتها وأن الإعراض عنها واتباع السبل المتفرقة.

ونختم هذا المبحث بأن هذه الأوامر الوردة في الكتاب والسنة هي أساس الوحدة بين المسلمين، وتتصف كما سلف بأنها بينات واضحات لا التباس

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٢٠٩).
(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم (٤٥٩٨)، وابن ماجة وصححه الألباني كما في صحيح ابن ماجة (/ ١٤١).
(٣) الاعتصام (١/ ٧١) ثم ذكر أوصاف الفرق وأهل الأهواء ومنها هذا الوصف المذكور انظر (١/ ٧٠) وما بعده.

فيها، وهي من الأمور الضرورية التي جعل الله سبحانه الطريق إلى فهمها والعمل بها ميسوراً وسهلاً لمن أراد الله به الخير والهداية[١] كما تتصف بالشمولية لحياة الفرد والجماعة، وكما أنها أساس لوحدة المسلمين في الأرض كلها، فكذلك هي أساس لحفظ كل مجتمع إسلامي سواء كان صغيراً أو كبيراً وهذا ما سنبينه في المبحث القادم بعون الله وتوفيقه.

المبحث الثاني: أثر المحكمات في حفظ المجتمع

إن المحكمات كما بينا سابقاً هذا أساس الشريعة، ومعظم الكتاب وبها تتحقق مصالح المسلمين ويحفظ مجتمعهم ذلك أن الشارع قصد بالتشريع إقامة المصالح الأخروية والدنيوية . .[٢].

والمجتمع كما هو معلوم يتكون من أفراد، ومن مقاصدهم حفظ دينهم ونفوسهم وأعراضهم وعقولهم وأموالهم[٣]، وقد جاءت الشريعة الإسلامية بحفظ هذه المقاصد، وتحقيق مصالح المكلفين فلا غرابة أن تحيط هذه المقاصد بالفرد والمجتمع من كل جانب لا فرق بين حالة الفرد المادية، ولا منزلته

(١) نشير هنا إلى أن المجددين في الإسلام قد جعلوا من أسس دعوتهم إلى وحدة الأمة وجمع كلمتها إلى تلك المحكمات وتحذير الأمة من سبل الافتراق وكانت طريقهم في ذلك بينة وميسرة ومس المناسب أن ندعو أهل العلم لدراسة هذا الأسلوب لدى المجددين وبيان ما تضمنته من فوائد تربوية يستفيد منها الدعاة في هذا العصر.

(٢) انظر الموافقات (٢/ ٣٧) وفيه بيان أن الشارع قصد بالتشريع إقامة المصالح الأخروية والدنيوية بحيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى لا من حيث أهواء النفوس.

(٣) حفظ الضروريات الخمس مجمع عليها بين علماء الإسلام فلا حاجة للاستدلال على ذلك فنحن نأخذه هنا أصلاً ثم نبني عليه، وانظر الموافقات (٢/ ٨)، وانظر الأدلة مفصلة على إثبات المقاصد الشرعية في كتاب مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية (١٠٥ ـ ١٢١).

العلمية، وكذلك لا فرق بين حالة المجتمع الرعوية أو الزراعية أوالصناعية.

ولا يقال إن المحكمات إنما يعلمها الخاصة من الناس نظراً لأن مستوياتهم الثقافية متقدمة، فكيف يقال إنها تحيط بالمجتمع والأفراد في جميع حالاتهم وأكثرهم من العامة.

فالجواب: أن ما يتعلق بحفظ الدين من حيث إقامة أركانه كالتوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج وهي من الأمور المعلومة التي لا يسع أحد جهلها ما دام يعيش في مجتمع المسلمين.

وأما ما يتعلق بحفظ النفس من حيث تحريم قتلها أو الحاق الضرر بها، وما يتعلق بذلك من وجوب القصاص، كل ذلك من الأمور الضرورية التي يعلمها العامة قبل الخاصة، وكذلك حفظ العرض، وتحريم الزنا واللواط، وسائر الفواحش والسبل الموصلة إليها، كل ذلك من العلم العام في الأمة الذي لا يسع أحد جهله.

وأما ما يتعلق بحفظ العقل من المسكرات والمخدرات فهو من المعلوم الذي انتشر علمه بين العامة والخاصة.

وكذا حفظ أموال الناس وممتلكاتهم وحرمة الاعتداء عليها كل ذلك مما علم ولا يسع أحداً جهله.

ويترتب على حفظ هذه المقاصد ـ كما هو معلوم ـ المنع من الفساد في الأرض وكف الفرد والمجتمع عن الفساد الذي يعيشه الكفار والمشركون، وتمييز هذه الأمة بمنهجها الرباني، ومن ذلك تحريم الشرك والأهواء المضلة لأنها معارضة للتوحيد، وكذا تحريم الردة والعقوبة عليها، وتحريم ترك الصلاة والزكاة والصيام والحج ـ لمن قدر عليه ـ والعقوبة على ذلك كل فعل

بحسبه، وكذا تحريم الاعتداء على النفوس، والأعراض، سواء كان هذا الاعتداء مادياً أو معنياً، ومن ذلك منع جميع السبل المؤدية إلى الإباحية واستحلال المحرمات، سواء التي تضر بالنفس أو العرض أو العقل. ويدخل فيما يضر بالعقل الأفكار الهدامة والبدع والضلالات وجميع الأهواء والعقائد والملل والمذاهب التي تنتجها البشرية ويحسن أن نؤكد في هذا الموضع على أمرين:

الأول: أن حفظ هذه المقاصد هو حفظ للمجتمع من جميع جوانبه.

الثاني: أن تحقيق هذه المقاصد يجب أن يشارك فيه العامة والخاصة، أي جميع المكلفين، لأن هذه المقاصد مبنية على العلم العام الذي لا يسع أحداً جهله.

ولا ريب أن هذا من سماحة الإسلام ويسر شريعته فهو دين عام للناس أجمعين على جميع مستوياتهم وبه تحفظ مجتمعاتهم، وتتحقق مصالحهم الدينية والدنيوية[1].

قال الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه الرسالة: قال لي قائل: ما العلم؟ وما يجب على الناس في العلم؟ فقلت له: العلم علمان: علم عامة لا يسع أحداً ـ غير مغلوب على عقله ـ جهله، وقال ومثل ماذا؟ قلت مثل الصلوات الخمس وأن لله على الناس صوم شهر رمضان وحج البيت إذا استطاعوه، وزكاة أموالهم، وأنه حرم عليهم الزنا، والقتل والسرقة،

---

(١) نلاحظ هنا أن المجددين في الإسلام يبينون منهجهم في الإصلاح ودعوة المكلفين على هذه الأسس البينات ثم تربيتهم عليها وعلى المشاركة في نشرها والدفاع عنها.

والخمر، وما كان في معنى هذا، مما كلف العباد أن يعقلوه ويعملوه ويعطوه من أنفسهم وأموالهم وأن يكفوا عنه ما حرم عليهم منه.

وهذا الصنف كله من العلم موجود نصاً في كتاب الله وموجود عاماً عند أهل الإسلام ينقله عوامهم عن من مضى من عوامهم، يحكونه عن رسول الله ﷺ ولا يتنازعون في حكايته ولا وجوبه عليهم وهذا العلم العام الذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر ولا التأويل ولا يجوز فيه التنازع.

قال: فما الوجه الثاني؟ قلت له: ما ينوب العباد من فروع الفرائض وما يخص به من الأحكام وغيرها مما ليس فيه نص كتاب ولا في أكثره نص سنة، وإن كانت في شيء منه سنة فإنما هي من أخبار الخاصة لا أخبار العامة وما كان منه يحتمل التأويل ويستدرك قياساً.. قال الشافعي: وهذه درجة من العلم ليس تبلغها العامة ولم يكلفها كل الخاصة..»[1].

ومقصود الإمام الشافعي: أن أساسيات الدين مثل: أركان الإسلام وتحريم القتل، والزنا، والسرقة، والخمر.. كما أنها من علوم الخاصة، أي يعلمونها ويعلمون أدلتها والحكمة منها على التفصيل فكذلك هي من علوم العامة، وذلك لظهورها وإمكان العلم بها، وكونها محفوظة وموجودة عامة عند أهل الإسلام ينقلها عوامهم عمن مضى من عوامهم.

يحكونه عن رسول الله ﷺ ولا يتنازعون في وجوبه، وهذا العلم هو الذي لا يمكن الغلط فيه ولا التأويل ولا يجوز فيه التنازع.

ولا ريب أن هذا النوع من العلم لم يتصف بهذه الصفات إلا لأنه من المحكمات الأساسيات التي اتصفت كما سلف بكونها محفوظة وعاصمة

(١) الرسالة تحقيق الأستاذ أحمد شاكر (٣٥٧ـ ٣٦٠) مكتبة التراث.

للمسلمين من الزيغ، وجامعة لهم على تحقيق مقاصد الشريعة، ولذلك كان إدراكها والعلم بها من اليسر والسهولة بحيث لا يسع أحداً نشأ بين المسلمين جهلها، لأنها انتشرت بينهم وشملت جميع أحوالهم وأصبحت علماً عاماً فيما بينهم وعملاً ظاهراً يحيط في جميع العصور بمجتمعاتهم.

وأما تفاصيل العلم بالجزئيات المتعلقة بفروع الفرائض التي لم يرد فيها نص صريح ولم ينعقد عليها إجماع فهي ـ كما بين الشافعي رحمه الله من علوم الخاصة[1].

ويمكن أن ندخل في الخاصة ـ بناءً على ما ذكر الإمام الشافعي ـ المشتغلين بعلوم الآلة كعلم اللغة .. وسائر الفنون والعلوم التي يحتاج إليها المجتمع فإن علومهم تدخل في فروض الكفايات.

ولذا يمكن أن نقول:

إن المحكمات الأساسيات هي علم العامة، وهي الموجهة لمقاصد العلوم عند الخاصة.

فأما أثرها على العامة فمن حيث انها ثوابت في العقيدة والشريعة توجه حياتهم في شمولية ويسر، وأما أثرها على الخاصة وكذا توجه جميع الفنون سواء الشرعية أو اللغوية أو التربوية أو التطبيقية وسائر العلوم التي يحتاجها المسلمون، مثل العلوم السياسية وما يسميه علماؤنا الأحكام السلطانية أو الاقتصادية والاجتماعية.

---

(١) ويقصد أنها ليست من العلم العام الذي يعلمه كل أحد بل يحتاج هؤلاء إلى زيادة جهد وفكر حتى يطلعوا عليه، والغالب أن طريق معرفتهم له هو السؤال بحسب الحاجة.

وبيان ذلك كما يلي:

أن المجتمع يتكون من أفراد، وهؤلاء الأفراد منهم من يمثل العامة ومنهم من يمثل العلماء والمفكرين في جميع التخصصات، ومنهم من يمثل القادة والأعيان وهؤلاء جميعاً لهم الأثر الواضح في توجيه المجتمع، والارتباط بينه وثيق.

والمحكمات الأساسيات هي الثوابت التي يجب أن تؤثر في سلوك أولئك الأفراد بمختلف مراتبهم، وهي التي توجه فكرهم، وتؤسس معتقداتهم.

أما أثرها على علماء والمفكرين والباحثين فمن ناحيتين العلم والعمل، وتدخل هنا جميع مجالات البحث العلمي في جميع التخصصات

ومن المفيد أن نقول إن الإسلام وضع الأسس والثوابت ودلّت على ذلك نصوص في الكتاب والسنة وأمر الناس جميعاً أن يدخلوا في السلم كافة، والسلم هو الإسلام قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾[1].

وقد جعل الشارع المحكمات أساس الدين، وألزم العلماء والمفكرين والباحثين في جميع تخصصاتهم بها وحذرهم أن يخالفوها ويتبعوا خطوات الشيطان، وإذا كانت هذه القاعدة الراسخة قاعدة أساسية في الشريعة المباركة فإن الحث على الاجتهاد في العلوم المادية أساسية في الشريعة المباركة فإن الحث على الاجتهاد في العلوم المادية - المنضبط بهذه القاعدة - في جميع

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٨

أنواع التخصصات التي يحتاجها المسلمون هو مجال الابداع والانطلاق إلى جميع آفاق العلوم النافعة لبناء الحضارة الإسلامية.

كما أن الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية للمستجدات والحوادث هو مجال علماء الشريعة.

والجميع واقعون تحت الابتلاء الرباني، ذلك أنهم مسلمون مكلفون يختبرهم ربهم عز وجل أيطيعون أمره ويتبعون شرعه أم لا؟ وقد أكرمهم بالعلم والفكر والقدرة على الإبداع والاجتهاد فهل يشكرون نعمه ويعبدونه ويحققون مقاصد شريعته.

وقد أشار إلى ذلك الإمام الفقيه الأصولي ناصر السنة الإمام الشافعي المطلبي رحمه الله في كتاب الرسالة[1].

حيث جعل من حكمة الاجتهاد الابتلاء ذلك أن الله سبحانه وتعالى أنزل وحيه لكي يبتلي عباده، فينظر كيف يعملون، كيف يعمل علماء الشريعة في استنباط الأحكام؟.

وكيف يعمل العلماء والمفكرون والباحثون في جميع التخصصات؟ وهل سيلتزم هؤلاء وهؤلاء، كل في تخصصه بطلب الحق والصواب وتوجيه علومه كما أمره ربه عز وجل مبتعداً عن الشبهات والشهوات أم لا؟ وهنا يتميز الإسلام بأن الطاقات الاجتهادية عند أهل العلم والفكر والاختراع موجهة لصالح البشرية، لإحياء فطرتها، وحفظ حقوقها،

(١) مسألة رقم (٥٩) وانظر الثبات والشمول في الشريعة فصل «حكم الاجتهاد» (٢١٠ ـ ٢٢٧).

وجمعها على كلمة سواء، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

بخلاف علماء الكفر والضلال والزيغ والجهل، فطاقتهم الاجتهادية والإبداعية ليست موجهة لصالح البشرية اللهم إلا في القليل النادر، ولذلك كان نتاج الفكر الأوربي - إذا استثنينا ذلك القليل - يمثل محورين:

المحور الأول: توجيه العلوم إلى الإباحية وإلى مصادمة الدين في كثير من العلوم النظرية كما هو معلوم.

المحور الثاني: توجيه القوة المادية - التي سخرها الله للإنسان من خلاف منحه القدرة على الإبداع والاختراع - لتدمير البشرية كما وقع في أحداث عالمية كبرى معروفة.

ولهذا فإن المحكمات عندنا أهل الإسلام التي توجه الفكر والعلم - في مجال إبداعه البشري - ربانية المصدر شرعها الله سبحانه لحفظ الفرد والمجتمع في عقيدته وعبادته ومعاملاته وأخلاقه وتوجه جميع طاقاته التي أنعم الله بها عليه والموجه - لمجال الاجتهاد والإبداع - عند الأمم الأخرى تصورات بشرية، شرعها البشر أنفسهم، ولذلك اتجهوا إلى الإباحية والشرك، والخرافة والضياع والشقاء، والمجتمعات الغربية - على سبيل المثال - تشكو من ذلك كله[1] ولا مخرج لها إلا باتباع ما شرعه الله سبحانه وأمر به عباده بالعمل به والاستقامة عليه.

---

(١) انظر شكوى الدكتور الكسس كاريل في كتابه «الإنسان ذلك المجهول» ص ١١٧، تعريب شفيق أسعد، مكتبة بيروت الطبعة الثالثة، أما الدليل على توجيه العلوم إلى الإباحية فانظر نظريات فرويد ودوركايم وغيرهما وأثرهما في نشر الإباحية في كتاب مذاهب فكرية معاصرة (٩٣، ٢٩٣) للأستاذ محمد قطب - وأما علوم التشريع والقانون فقد اتجهت فيما يخص الحريات إلى نشر الحرية الجنسية انظر كتابنا حكم الزنا في القانون وصلته بمبادىء حقوق الإنسان في الغرب

وإن من المناسب أن نؤكد على هذه الحقيقة الساطعة ـ التي لا يكون الإنسان مسلماً مؤمناً إلا بالتزامها والحرص عليها، ولذا فإن المسلم يسأل الله يوم أكثر من سبع عشرة مرة وهو يقف بين يديه في الفريضة أن يهديه الله لها.

إن المحكمات هي أم الكتاب أي أصله وأكثره ولهذا سمى الرسول ﷺ «الفاتحة» أم القرى وإنما كانت كذلك لأنها تضمنت الإشارة المعجزة لما ورد في القرآن، ففيها ذكر التوحيد بأنواعه، واليوم الآخر، والأمر بالعبادة وبيان كونها الصراط المستقيم.

ثم فيها توجيه الطاقة البشرية إلى الطريق المستقيم ومتابعة أهله الذين أنعم الله عليهم، إن كل عالم ومفكر وباحث مسلم يسأل الله في كل يوم سبع عشرة مرة يقول: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ ويحدد وجهته فيتحقيق العبادة الصحيحة، كما يحدد وجهته في صرف طاقاته العلمية والمادية لنصرة دينه، وتحقيق مقاصده، وهؤلاء امتدحهم الله عز وجل في كتابه وجعلهم ممن أنعم عليهم، بسبب لزومهم للمحكمات وهذا هو الصنف الأول وهم الفرقة المهتدية.

أما الصنف الثاني: فهم علماء ومفكرون وباحثون ومتخصصون في جميع العلوم يوجهون علومهم وجهة غير صحيحة ويجعلونها في صراع مع الدين، وتعطيلاً لمقاصده.

أما الصنف الثالث: فهم عباد يتعبدون لربهم على غير هدى وعلم ولهم رهبان يقودونهم على غير مضرة، شعارهم الجهل ومطلبهم رهبانية

ابتدعوها من عند أنفسهم، فضلوا وأضلوا وتقطعوا في أودية الشرك، وفي شعاب البدع جزاء تركهم للعلم الصحيح[1].

وهؤلاء وأولئك لم يجتمعوا على المحكمات

أما الصنف الثاني فأعرض عنها جهلاً بها.

فالأول: هم المغضوب عليهم وهم اليهود.

والثاني. هم الضالون وهم النصارى[2].

ولهذا شرع الله عز وجل خمس صلوات مفروضات توجه الأمة جمعاء سبع عشرة مرة في اليوم والليلة بين يدي الله عز وجل، وإن التوجيه الأخير فيها لكل من يقرؤها من المسلمين في أقطار الأرض بدون استثناء هو أن يدعو بذلك الدعاء الكريم ثم يقول آمين: أي اللهم استجب

ومن هنا أشرنا إلى أن مكونات المجتمع بطبيعته يمثلها العامة ـ والعلماء والمفكرون والمثقفون والمشاركون في جميع التخصصات ـ والقادة والأعيان .. وهؤلاء جميعاً بمقتضى الإسلام يجب أن يعملوا بمقتضى هذه الآيات الكريمة، ويدعوا الأمة للعمل بالمحكمات التي هي أساس لحفظ المجتمع.

وأمّا إذا تفرقت الأمة عن المحكمات واتبعت طوائف منها الأهواء والمذاهب الأرضية، فإن المجتمعات يصيبها الخلل، ويصدِّق هذا ما نلمسه في واقع هذه الأمة من تفرق كثير من أهل الأهواء عن تلك المحكمات،

---

(١) انظر الاعتصام وقد بين كيف دخلت الأمم الأخرى في التحليل والتحريم مخالفين للشريعة ومعطلين مقاصدها إما عناداً أو جهلاً (١/ ٦٦ ٧١، ٨٩، ٣٦٣، ٣٦٩، ٤٢٤)

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٧ ـ ٣١)

أشبه تفرق علماء أهل الكتاب فهذا يفكر ويتعلم بطريقة خرافية، وآخر يفكر ويكتب بطريقة علمانية، وثالث يفتي ويعارض النصوص الشرعية وينقض المحكمات، ورابع يبدأ بحثه واختراعه بدون اسم الله، ويختمه ويوجهه بوجهة غير إسلامية.

وهؤلاء يُلبسون على العامة أمر دينهم، ويوقعونهم في الفتنة التي لا يقع فيها إلا من زاغ عن المحكمات، أو بعضها، وهي فتنة واضحة السبب في كتاب الله ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ والفتنة والشرك والأهواء والزيغ، وأشد ما يكون ضرر الانحراف على العامة والخاصة إذا تلبّس الانحراف بـ(العلم) و(الفكر) ولنضرب لذلك أمثلة ونسأل أنفسنا :

١ ـ من الذي وجه أنظار كثير من العامة إلى الخرافة والشرك والرهبانية وصرف العبادة لغير الله، إنهم علماء البدعة المفتونون، الذين أباحوا الشرك الأكبر والخرافة بأسم التوسل، يزعمون التقرب إلى الله عن طريق عبادة الصالحين.

وهذا هدم للمحكم الأول الذي هو التوحيد وإعراض عنه وإفساد للعامة بالخرافة والجهالات ولو سَلِم العامةُ من فتنة هؤلاء المتفقهة الضلال لخرج كثير منهم أو أكثرهم من تلك الفتن والبدع والخرافات. ولذهبوا يبحثون عن مصالحهم الدنيوية في الحفاظ على مجتمعهم وعن مصالحهم الأخروية وفيها نجاتهم وفوزهم وفلاحهم.

٢ ـ ومنهم من عزل الدين ومقاصده عن الحكم والسياسة والفكر والإبداع . . . واستبطن العَلْمانية منهجاً وغاية اغتراراً بفتنة الدنيا وشهواتها،

وعارض النصوص المحكمات، وهي الآمرة بالحكم بالشريعة الإسلامية والتحاكم عليها

وهكذا وقع الخلل في بناء الأمة الإسلامية المعاصرة، ذلك أن عزل المحكمات دخل بالتدريج على مكونات المجتمع، وانخدع بذلك كثير من الخلق حتى طمع فينا الأعداء وأخذوا يطورون فكرهم واتجاهاتهم وانجازاتهم على حساب عقيدتنا وشريعتنا وأمتنا، ويطعنون في أحكام الإسلام[1].

وهم اليوم ينشرون الإباحية في العالم عن طريق القنوات الفضائية وعن طريق التشريع ممّا سمّوه (القوانين الوضعية) حيث أجمعت القوانين في العالم على إباحة الزنا عند التراضي وعن طريق ما سموه مبادئ حقوق الإنسان ومحاولة غزو جميع بقاع العالم بنشر المبدأ الرئيسي (الحرية الشخصية) ومعها (الحرية الجنسية) وذلك لتعميم الإباحية عالمياً، ونستطيع أن نقول : إن تعميم الإباحية عالمياً هو من خصائص الجاهلية الغربية دون الجاهليات السابقة في التاريخ[2]

وهم يدعون هذه الأيام إلى (عَوْلَمة) الثقافة ووحدة الأديان وكل ذلك يبغون من ورائه إزالة تلك المحكمات وإبعاد الأمة عنها[3].

---

(١) لا يزال دعاة الإباحية والعلمانيون يطعنون في أحكام التشريع الجنائي الإسلامي باسم المحافظة على حقوق الإنسان انظر الرد عليهم مفصلاً في كتابنا حكم الزنا في القانون وصلته بمبادئ حقوق الإنسان في الغرب

(٢) انظر المرجع السابق، ص ١٢٢ ـ ١٢٥

(٣) انظر فتوى اللجنة الدائمة التابعة لهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية والتي صدرت برقم (١٩٤٠٢) في ٢٥/ ١/ ١٤١٨هـ، مجلة البيان، العدد ١٢٠، عام ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م

ولا ريب أن طلاب العلم والعلماء والمفكرين والباحثين في جميع التخصصات والعامة أيضاً يجب عليهم المشاركة كل بحسب طاقته في الإصلاح والدعوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعم جهاد الكلمة والعمل، ولم يخص الله طائفة من أهل العلم الشرعي بهذه التكاليف دون غيرهم، بل جاءت النصوص عامة في أمثال قوله تعالى : ﴿ياأيها الذين ءامنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم «١٠» تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾[1].

إن المتأمل في طريق الإصلاح يجد أن كثيراً من المفكرين، والباحثين، والأطباء، والمهندسين، والصحفيين، والأدباء، وغيرهم من ذوي التخصصات الأخرى نفع اللهُ به المسلمين وأبلى بلاءً حسناً في نصر تلك المحكمات علماً وعملاً من خلال تخصصه، لأن كل من شارك في نصرة تلك المحكمات والدعوة إليها ولاحظ مقاصدها في إنتاجه العلمي والعملي فإنه يكون حينئذ مشاركاً في إصلاح مجتمعه وحمايته متميزاً عمن انزوى بعيداً عن المشاركة في مجال الإصلاح والدعوة والتعليم والتربية.

وهنا ـ من خلال هذا العرض العملي الواقعي ـ تظهر بجلاء خاصية الشمول واليسر في تلك المحكمات كما يظهر أثرها الطيب على المجتمع والفرد.

وأما المقاصد العليا لتطبيق الشريعة الإسلامية فهي ثمرة للعمل بتلك المحكمات.

فالعامة يعملون بها، والعلماء يحافظون عليها كل في مجاله، والقادة

---

(١) سورة الصف، الآيتان ١٠ ـ ١١.

يَحْكمُون بها في جميع مجالات الحياة، وهكذا يجب أن يكون المسلمون في الأرض كلها أمة واحدة ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأتقون﴾[1] ولهذا سمى اللّه دينه الحنيفية السمحة، ولكن لا يدرك بركته ويسره وسهولته وخيره ونفعه إلا الصادقون من عباده. ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون «٣» والذين يؤمنون بما أنزل إليه وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يؤقنون «٤» أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون «٥»﴾[2].

وعلى هذه الصفات الحميدة تجتمع كلمة الأمة وتتوحد، وعلى هذا تصلح التربية ويصح التوجيه، وهكذا نشأ المجتمع الإسلامّي الأول، والأمة تنظر إلى قادتها ومفكريها وعلمائها وأدبائها . . . وهم يوجهونها إلى صورة واحدة لا التباس فيها، إنهم جميعاً يحافظون على المحكمات ويحققون في مجتمعاتهم مقاصد الشريعة من خلال طاقاتهم العلمية والعملية، ففازوا بالسعادة في الدنيا والآخرة، ولهذا أمرنا اللّه أن نكون على طريقهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿يأيها الذين ءامنوا اتقوا اللّه وكونوا مع الصادقين﴾[3]، جعلنا اللّه ممن اتبعهم بإحسان إنه جواد كريم.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ٥٢.
(٢) سورة البقرة، الآيات ٣-٥
(٣) سورة التوبة، الآية ١١٩

الخاتمة

بعد دراسة موضوع (المحكمات في الشريعة) يمكن لنا أن نصل إلى هذه النتائج التالية:

١ ـ أن اسم المحكمات في الشريعة الإسلامية ينتظم وجوهاً عدة، ولهذا اختلفت تعريفات الأصوليين بسبب ملاحظة بعضهم لجميع الأوجه، ومنهم من لاحظ بعضها دون بعض.

٢ ـ أن تعريف (المحكم) الجامع لخصائص المحكمات هو (ما كان أصلاً بنفسه مستغنياً عن غيره لايحتاج إلى بيان).

٣ ـ أن خصائص المحكمات هي كونها محفوظة وبينات، وأصلاً وأساساً تعصم المكلف، ومرجعاً يرجع إليها عند الاشتباه، وحُجةً على المخالفين.

٤ ـ أن المحكمات تحيط بالفرد والمجتمع من جميع جوانبه، وبالعمل بها وتطبيقها يُحفظ المجتمع والفرد وتتحقق فيه مقاصد الشريعة.

٥ ـ أن المحكمات علم العامة وموجهات العلوم عند الخاصة. فالواجب على الجميع العلم والعمل بها لتحقيق مقاصد الشريعة في المجتمع.

٦ ـ أن المحكمات هي الأصل والأساس لوحدة الأمة، وهي العاصم من الاختلاف والفرقة.

٧ ـ أن (المحكمات) هي القاعدة الأساس لتحقيق المقاصد الشرعية من الدعوة الإسلامية، وكذا في الاحتجاج على الخصوم، ورفع الاشتباه الذي يَرد على المكلفين، وأمّا مسائل الاجتهاد السائغ والمسائل الخلافية المبنية عليه فلا يجوز أن تكون قاعدة للدعوة والتربية، فالواجب على المصلحين

الحذر من جميع (الأساليب) التي تخالف تلك المحكمات، أو تُدْخِلُ اللبسَ على العامة؛ ذلك أن مخالفة المحكمات مؤد إلى الفتنة والزيغ عن الحق، وذلك منافٍ لمقاصد الشريعة الإسلامية، في حفظ المجتمع، وتحقيق وحدة الأمة.

المراجـــــع

ـ اتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر، عبدالكريم النملة، الرياض: دار العاصمة ١٤١٧هـ.

ـ الاتقان في علوم القرآن، السيوطي عبدالرحمن بن أبي بكر، ت محمد إبراهيم أبو الفضل، القاهرة، مكتبة التراث.

ـ الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي سيف الدين، ت إبراهيم العجوز، بيروت، دار الكتب العلمية.

ـ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، مصر، مطبعة مصطفى البابي، الطبعة الأولى وبهامشه شرح الورقات.

ـ أصول الخصاص، الجصاص أحمد بن علي، ت محمد الصادق قمحاوي، بيروت، دار إحياءالتراث العربي، ١٤٠٥هـ.

ـ أصول السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر.

ـ كشف الأسرار عن أصول البردوي، علاء الدين البخاري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٤هـ.

ـ أصول الفقه، محمد بن زكريا البرديسي، ت أبو الفداء الأفغاني، مكة، مكتبة الفيصلية ١٤٠٧هـ.

ـ أصول الفقه، د. حسين حامد حسان، القاهرة، المطبعة العالمية.

ـ أصول النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٣م.

- أصول مذهب الإمام أحمد، عبداله بن عبدالمحسن التركي، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة ١٣٩٧هـ، الطبعة الثانية.
- الاعتصام، لأبي اسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت سليم الهلالي، الخبر، دار ابن عفان ١٤١٢هـ، الطبعة الأولى.
- الإنسان ذلك المجهول، تأليف الكسيس كاريل تعريب شفيق أسعد، بيروت، مكتبة المعارف، الطبعة الثالثة.
- البحر المحيط، بدر الدين الزركشي، ت محمد أبو الفضل، الكويت، وزارة الأوقاف ١٤١٣هـ، الطبعة الثانية.
- البرهان في أصول الفقه، عبدالملك بن عبدالله الجويني، ت عبدالعظيم الديب، المنصورة، دار الوفاء ١٤١٢هـ، الطبعة الثالثة
- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، محمود بن عبدالرحمن الأصفهاني، ت محمد مظهر، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، ١٤٠٦هـ.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، بيروت، دار الفكر ١٤٠١هـ.
- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، ت أسعد محمد الطيب، مكة، مكتبة نزار الباز، ١٤١٧هـ
- تفسير النحاس، معاني القرآن، أبو جعفر النحاس، ت محمد علي الصابوني، مكة، جامعة أم القرى ١٤١٠هـ.
- تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، د. محمد أديب الصالح، بيروت، المكتب الإسلامي ١٤٠٤هـ، الطبعة الثالثة

ـ التمهيد في أصول الفقه، محفوظ بن أحمد الكوذاني، ت د. مفيد أبو عمشة، ود. محمد علي إبراهيم، مكة، جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ.

ـ تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، ت عبدالسلام هارون، مصر، الدار القومية ١٣٨٤هـ.

ـ تيسير التحرير على كتاب التحرير في أصول الفقه، محمد أمين المعروف بأمير بادشاه، مصر مطبعة البابي الحلبي ١٣٥٠هـ.

ـ الثبات والشمول، عابد بن محمد السفياني، مكة، مكتبة المنار ١٤٠٨هـ، الطبعة الأولى.

ـ الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.

ـ الجامع الصحيح، لأبي عيسى الترمذي، ت أحمد شاكر، مكة، المكتبة التجارية.

ـ حكم الزنا في القانون وعلاقته بمبادىء حقوق الإنسان في الغرب، عابد بن محمد السفياني، مكة، مؤسسة المؤتمن، ١٤١٨هـ، الطبعة الأولى.

ـ دوء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ت رشاد سالم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٩هـ. الطبعة الأولى.

ـ الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، ت أحمد شاكر، القاهرة، دار التراث، ١٣٩٩هـ، الطبعة الثانية.

ـ روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة المقدسي، بيروت، دار الكتاب العربي.

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دراسة وإكمال يوسف الحوت، دارالكتاب، ١٤٠٩هـ، الطبعة الأولى.
- شرح الكوكب المنير، محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار، ت حمد الزحيلي، نزيه حماد، دمشق، دار الفكر ١٤٠٠هـ.
- شرح المنار وحواشيه من علم الأصول، عز الدين عبداللطيف، مطبعة عثمانية ١٣١٥هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت أحمد عبدالغفور، دار العلم للملايين ١٤٠٤هـ الطبعة الثالثة.
- صحيح البخاري مع الفتح، أحمد بن علي بن حجر، ت عبدالعزيز بن باز، القاهرة، المكتبة السلفية.
- صحيح مسلم بشرح النووي، مسلم بن الحجاج النيسابوري، بيروت، دار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ.
- صحيح ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الثالثة.
- فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان، القاهرة، أم القرى للطباعة والنشر.
- فتح القدير/ الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تعليق سعيد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٩٣م.
- الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن، عبدالحميد بن عبدالرحمن السحيباني، الرياض، دار القاسم للنشر، ١٤١٧هـ، الطبعة الأولى.

ـ القاموس، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٧هـ، الطبعة الثانية.

ـ العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلي، ت أحمد بن علي سيد المباركي ١٤١٠هـ، الطبعة الثانية.

ـ لسان العرب، ابن منظور، ت مكتب تحقيق التراث، بيروت، دار إحياء التراث العربي ١٤١٣هـ، الطبعة الثانية..

ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام، أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم النجدي، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبدالحق الغرناطي بن عطية، ت أحمد صادق الملاح.

ـ المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد، ابن اللحام البعلي، ت محمد مظهر بقا، مكة، جامعة الملك عبدالعزيز ١٤٠٠هـ.

ـ مذاهب فكرية معاصرة محمد قطب، دار الشروق، الطبعة السادسة.

ـ المستدرك، أبو عبدالله الحاكم، ت مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١١هـ.

ـ المسنصفى من علم الأصول، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، ت محمد بن مصطفى أبو العلا، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

ـ المسودة في أصول الفقه ـ جمعها أحمد بن محمد بن عبدالغني الحراني المتوفى ٧٤٥هـ، القاهرة، مطبعة المدني، تقديم محمد محيي الدين عبدالحميد.

- المغني، لابن قدامة المقدسي، ت د. عبدالله التركي، د. عبدالفتاح الحلو، القاهرة ١٤١٠هـ، الطبعة الثانية.
- المغني في أصول الفقه، عمر بن محمد الخبازي، ت محمد مظهر بقا، مكة جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ.
- الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تعليق عبدالله دراز، بيروت، دار المعرفة.
- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، د. محمد سعد اليوبي، الرياض، دار الهجرة ١٤١٨هـ، الطبعة الأولى.
- نهاية السول في شرح منهاج الأصول، عبدالرحيم بن الحسن الأسنوي، بحاشية محمد نجيب المطيعي، بيروت، عالم الكتب

إسهام الصحافة العربية في تحقيق الأمن البيئي العربي

دراسة ميدانية تحليلية

أ.د.أديب خضور(*)

مدخـــل

ترسَّخ وتوطدَ مفهوم الأمن بمعناه الشامل والكامل وغير القابل للتجزئة. الأمر الذي أدى إلى تزايد التحام وتماسك وحدة الجوانب المختلفة للأمن الشامل. ووجدت المجتمعات المعاصرة نفسها في مواجهة مهام بالغة الإلحاح والخطورة والتعقيد، لم تكن مطروحة من قبل؛ مثل تحقيق الأمن الغذائي، والحفاظ على الأمن الثقافي، وضمان الأمن الإعلامي، وتحقيق الأمن البيئي .... الخ.

• هذه الجوانب (المجالات) المختلفة، توجد في الواقع الموضوعي في علاقات تأثير وتأثر (وبالتالي هي تتنوع وتتكامل في آن)، الأمر الذي يؤكد تعثر عزلها، كما يؤكد أيضاً أن وسائل وسبل تحقيقها أيضاً تتعدد وتتباين، ولكنها تتكامل أيضاً.

بات مؤكداً أن نشر الوعي البيئي هو الشرط الأساس لتحقيق الأمن البيئي. يساهم في نشر هذا الوعي، الذي يقع ضمن السياق العام لمفهوم

(*) أستاذ الإعلام بجامعة دمشق ـ الجمهورية العربية السورية

التربية أو التنشئة الاجتماعية، مؤسسات وأجهزة متعددة؛ الأسرة والمدرسة والمنظمات الشعبية والهيئات الأهلية والدوائر الرسمية ووسائل الإعلام . . . الخ .

يقع هذا البحث ضمن الإطار العام لهذا المفهوم الشامل للأمن البيئي، ويهدف أساساً إلى التعرف على واقع التغطية الصحفية العربية لمسألة البيئة، كخطوة لتشخيص الممارسة الصحفية العربية في هذا المجال، وتقييمها، كمدخل للتعرف على مدى مساهمتها في تحقيق الأمن البيئي العربي .

١ ـ مقدمة

الإطار العام لموضوع البحث

يأخذ الإعلام البيئي مشروعيته وأهميته انطلاقاً من الفهم الجديد والمتطور للبيئة كقضية للجميع، ورعايتها تهم الجميع، ومشكلاتها تهم الجميع . بمعنى أن القوانين والتشريعات والمؤسسات والمنظمات البيئية المختلفة، على ضرورتها وأهميتها، لا تكتمل فاعليتها ولا تحقق خططها وأهدافها إلا بمشاركة الفرد الطوعية والواعية .

وضعت هذه الحقيقة مسألة التربية البيئية في مقدمة المهام التي تسعى المجتمعات المعاصرة إلى إنجازها . وتبحث هذه المجتمعات عن المنهاج الأكفأ والأجدى للاستقادة من وسائل التربية النظامية ـ التقليدية (المدرسة، الأسرة، المنظمة الجماهيرية . . . ألخ)، ومن وسائل التربية العفوية ـ غير النظامية (الصحافة، الإذاعة، التلفزيون . . . ألخ) .

تؤكد الأبحاث المعاصرة أن وسائل الإتصال، باعتبارها وسائل تربية

غير نظامية ـ وكغير تقليدية، تتفوق من حيث الفعالية والتأثير والجدوى على الوسائل النظامية ـ التقليدية، وذلك لعدة اعتبارات أهمها :

- القوة الذاتية لهذه الوسائل الناتجة عن خصائصها وأساليبها ومناهج عملها . تلك القوة الناجمة عن جاذبية هذه الوسائل، وتنوع عناصر التجسيد الفني فيها، ومعايير اختيارها لموضوعاتها، وأساليب معالجتها لهذه الموضوعات، وطرق تقديمها وعرضها لهذه الموضوعات

- نظرة الفرد ـ الملتقي لهذه الوسائل . إنه يقبل عليها بشكل طوعي وعفوي، معتقداً (أو موهماً) أنه حر في اختياره، وتعوضه، واستقباله لرسائل هذه الوسائل، وأنه ليس ثمة أي طابع قسري (على عكس وسائل التربية النظامية ـ التقليدية) . وهو يقبل على هذه الوسائل، أساساً، بدافع المتعة والترفيه والتسلية . وذلك فإنه ليس مطالباً بدرجة تركيز معينة تلزمه بأخذ قدر ما من مضمون الرسائل التي تقدمها هذه الوسائل . وثمة قناعة (أو وهم) أخرى مفادها أن هذه الوسائل ليست معنية بمشاريعها الخاصة، بمعنى ليست معنية بإيصال رسالة معينة إلى المتلقي، والتأثير به بطريقة محددة .

تتمتع الصحافة المقروءة بقدر من الخصوصية والتميُّز داخل المنظومة الإعلامية، ناجمة عن المعطيات التالية :

إن قارىءالصحيفة هو غالباً أكثر تعليماً وثقافة واهتماماً من مستمع الإذاعة أو مشاهدة التلفزيون . وإن فعل القراءة بحاجة إلى قدر من الجهد والتركيز والإهتمام أكثر من فعل الاستماع والمشاهدة، كما أن القارىء أكثر مقدرة على السيطرة على ظروف التعرض (مكان وزمان القراءة، واستعادة القراءة) من المستمع أو المشاهد إن مجمل هذه المعطيات، بالإضافة إلى تفوق الإذاعة والتلفزيون في مجال السرعة في تقديم الأحداث والتطورات،

قد دفع الصحافة المعاصرة باتجاه تجنب منافسة الإذاعة والتلفزيون في مجال السرعة في تقديم المادة، والعمل على تغطية صحافية أكثر تفصيلية، وأكثر عمقاً وشمولية، وأكثر مقدرة على تقديم الأحداث والظواهر والتطورات في سياقها العام، وفي علاقتها المعقدة والمتشابكة. بمعنى تقديم تغطية ذات طابع تفسيري ـ تحليلي قادرة على أن تستجيب لمتطلبات الطابع المتزايد التعقيد والتشابك للأحداث والظواهر والتطورات من جهة، وللحاجات الإعلامية المتزايدة للقارىء المعاصر من جهة ثانية، ولتطوير الحرفية الصحفية من جهة ثالثة.

ما تقدم دفع نحو الاعتماد بأن وسائل الإعلام عموماً، والصحافة المقروءة خصوصاً، قادرة، كوسائل تربية غير نظامية، على انجاز مهام تربوية، مكن خلال التأثير على الأنساق المعرفية والفكرية والقيّمية للمتلقي، وبالتالي خلق الوعي لديه، ودفعه للسلوك في المجتمع باتجاه سليم في ضوء هذا الوعي المكتسب.

لا يشكل موضوع البيئة، بالرغم من طابعه الخاص، استثناء في هذا السياق عن الموضوعات الأخرى. كما لا يشكل الواقع العربي، أيضا بالرغم من خصوصيته، استثناء عن المجتمعات الأخرى. وذلك بات مبرراً ومطلوباً البحث في دور الإعلام كجزء من الاستراتيجية القومية للتربية البيئية، ونأمل أن يشكل هذا البحث خطوة على هذا الطريق.

تأخذ المشكلة البيئية راهنيتها وأهميتها في الوطن العربي انطلاقاً من عدة اعتبارات أبرزها:

ـ الطابع المعقد والمتشابك للمشاكل البيئية العربية بذاتها، وتزايد وضوح شدة ارتباط هذه المشاكل وتشابكها مع قضايا وظواهر ومشاكل في

مجالات أخرى ساسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وتقنية، وتزايد الادراك لحقيقة أن النظام البيئي ليس مجرد مجموعة من العوامل، ولكنه يتضمن أيضاً مجموعة من التفاعلات التي تحدث بين هذه العوامل[1].

- تزايد بروز البعد الاقليمي والبعد الدولي لكثير من المشاكل البيئية العربية، وتزايد الوعي باستحالة العزلة المحلية الضيقة، سواء في مجال تشخيص ودراسة هذه المشاكل ، أو في مجال حلها.
- تزايد إدراك حقيقة أن الكثير من المشاكل البيئة العربية الضخمة لا تعود بالضرورة إلى الحتمية البيئية، بمعنى أن هذه المشاكل ليست قدراً لا مهرب منه، بقدر ما هي أساساً، وفي الحقيقة، ناجمة عن خيارات وسياسات معينة تم اتخاذها واتباعها، وأدت، بالتالي، إلى ظهور واستفحال، تفاقم هذه المشاكل بحيث بات ممكناً ومفهوماً القول ان البيئة العربية ليست في الحقيقة سوى مجموعة من الأزمات.
- تزايد الوعي بأهمية تأهيل الكادر العلمي الخبير والمختص، والقادر من خلال مراكز الأبحاث والدراسات، على متابعة المشاكل البيئية، وتشخيصها، ودراستها، بإتجاه إيجاد الحلول المناسبة لها.
- إيجاد المؤسسات والأجهزة، ووضع القوانين و التشريعات الفعالة والمناسبة لإنشاء بنية تحتية، ووضع أساس قانوني لحماية البيئة وصيانتها.
- تزايد إدراك حقيقة ان البيئة ليست قضية رسمية تهم المؤسسات والأجهزة والخبراء والمختصين فقط، بل هي قضية عامة تهم الجميع. وبالتالي فإن مشاركة الفرد مشاركة واعية وطوعية، شرط ضروري لمواجهة المشاكل البيئية.

---

(١) العودات، محمد مشكلات البيئة. ص ١٢.

هدف البحث

إن الهدف الرئيس لهذا البحث، هو تعرّف الجوانب المختلفة للتغطية التي تقدمها الموسسة الصحيفة العربية اليومية لموضوع البيئة.

يقيناً، ما زال الإعلام البيئي موضوعاً جديداً في حقل الدراسات الإعلامية، ولم يستطع البحث النظري الإعلامي أن يراكم أدبيات لهذا الموضوع، تساعد الباحث على فهم خصائصه، والتعرف على قوانينه ونظمه[1].

كما أن الدراسات الإعلامية البيئية الميدانية العربية مازالت محدودة ونادرة وحتى ما أنجز منها، غالباً ما تم على شكل رسائل وأطروحات جامعية، ما زالت محصورة ضمن أسوار الجامعات، أو على شكل أبحاث ميدانية، ذات طابع محلي، أو تقدم معالجات جزئية لجوانب معينة من القضية البيئية[2].

---

(١) تجدر الإشارة إلى المحاولات الجادة لدراسة وتأهيل الإعلام البيئي، والتي تمثلت في ندوة: الإعلام وقضايا البيئة في مصر والعالم العربي» التي عقدت في القاهرة (١٨ـ٢٣ أبريل-نيسان ١٩٩٢م)، بالتعاون بين كلية الإعلام وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة. وننوه على وجه الخصوص بالأبحاث الجادة في هذا الصدد: «الإعلام وقضايا البيئة» للدكتورة عواطف عبدالرحمن، والإعلام ودوره في تغيير السلوك تجاه قضايا البيئة» للدكتورة جيهان رشتي، والصحافة العلمية وقضايا البيئة» للدكتورة نجوى كامل، و«الإعلام المسموع والمرئي وقضايا البيئة في مصر» للدكتورة أميمة كامل، و «دور الإعلام في نشر الوعي البيئي» للدكتور سامي طابع، هذه الأبحاث التي صدرت في كتاب يحمل عنوانه عنوان الندوة.
كما تجدر الإشارة إلى ندوة تونس «الإعلام العربية ومشكلة البيئة، وخاصة بحث الإعلام العربي، ومشكلة البيئة للدكتور حسن صعب.

(٢) انظر على سبيل المثال بحث الدكتورة نجوى كامل «الصحافة العلمية وقضايا البيئة، الذي درس صفحة البيئة في صحيفة الأهرام (كتاب ـ الإعلام وقضايا البيئة في=

نعتقد أن ما يمكن أن يميز هذا البحث هو شموليته، بمعنى أنه يحاول تعرّف الجوانب المختلفة للتغطية التي تقدمها المؤسسة الصحفية العربية عموماً لقضية البيئة.

تساؤلات بمثابة فرضيات:

هل تنطلق المؤسسة الصحفية العربية اليومية من إستراتيجية محدودة ومتماسكة في تغطيتها للمسألة البيئية تأخذ بعين الإعتبار الفهم الجديد للبيئة وتدرك الخصائص الاتصالية للصحافة؟! وهل تمتلك هذه الصحافة الكادر المختص و المؤهل لمعالجة المشاكل البيئية معالجة تستجيب لدرجة تعقيد هذه المشاكل، وتشبع الحاجات الإعلامية لقارئها النوعي؟! وما مقدار اهتمام الصحف العربية اليومية بموضوع البيئة، وهل يعادل هذا الإهتمام وزن المشكلة في الواقع العربي ؟! هل تمتلك الصحف العربية وعياً بخصاذص الأنواع الصحفية المختلفة، وهل تستخدم هذه الأنواع بشكل متناسق ومتكامل؟! وهل تستخدم هذه الصحف أساليب المعالجة المناسبة للموضوعات والوظائف المختلفة؟! وهل تقدم تغطية متوازنة للموضوعات البيئية المختلفة؟! وهل تعتمد على خبراء ومختصين، وعلى مصادر نوعية متميزة؟!

تشكل الإجابة عن هذه الأسئلة ـ وأسئلة أخرى كثيرة غيرها، الهاجس الرئيسي للبحث.

= مصر والعالم العربي)، وكذلك بحث محمد الرفاعي، «أثر وسائل الإعلام في تكوين الوعي البيئي»، والذي درس الوعي البيئي في أوساط الشباب المصري» (المستقبل العربي ـ عدد ٢٥٠ ، ١/ ١٩٩٧م)، وكذلك دراسة مطلق الساقان «استجابة برامج التوعية البيئية» رسالة ماجستير في جامعة الكويت.

وتحدد إشكالية البحث في التساؤل التالي : هل تقدم المؤسسة الصحفية اليومية العربية تغطية لموضوع البيئة تستجيب لمتطلبات الموضوع واحتياجاته، وتراعي خصائص الاعلام البيئي، وحاجات القارىء النوعي، وتسهم بالتالي في التربية البيئية الهادفة إلى إيجاد وعي بيئي يشكل القاعدة الصلبة لانطلاق الفرد باتجاه المشاركة الطوعية الواعية في حل مشاكل البيئة؟

المنهج ووحدة وفئات التحليل:

استخدمنا المنهج الميداني (الوصفي ـ الاستكشافي) الذي يعتمد تحليل المضمون وسيلة للتعرف على المحتوى الظاهر (القابل للقياس) للمادة الإعلامية. يشكل مجتمع البحث جميع الصحف اليومية الصادرة في الدول العربية. ونظراً لعدم توفر مجموعات جميع هذه الصحف(*)، فقد تم اختيار عينة تمثيلية من الصحف المتوفرة، مؤلفة من ست صحف يومية، تعتبر من الأكثر نضجاً واحتراماً وانتشاراً، وهي : الأهرام ـ المصرية، السفير ـ اللبنانية، والقبس ـ الكويتية، والجزيرة ـ السعودية. وتشرين ـ السورية.

وتم اختيار الفترة الزمنية للبحث عام ١٩٩٦م، باعتباره كوحدة زمنية شهدت في اعتقادنا من خلال متابعتنا لهذه الصحف، أحدث وأكثف وأنضج تغطية لقضايا البيئة في الصحافة العربية. كما تم اعتماد الفصل الصناعي لتحديد العينة الزمنية الذي يضم شهراً من كل فصل من فصول السنة الأربعة (كانون الثاني ـ يناير، آذار ـ مارس، حزيران ـ يونيو، وأيلول

(*) لم نستطع أن نضمّن العينة صحفاً من دول عربية عديدة (المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، اليمن، السودان، موريتانيا، العراق ... الخ)، وذلك نظراً لعدم توفر هذه الصحف في محفوظات أية جهة سورية، ولتعذر الحصول عليها عن طريق سفارات هذه الدول في دمشق.

ـسبتمبر)، وذلك نظراً لاخلاف المشكلات البيئية التي تعالجها هذه الصحف من فصل إلى آخر.

أما وحدة التحليل التي اعتمدناها فهي كل مادة إعلامية مستقلة تعالج أي موضوع بيئي.

ووفيما يتعلق بفئات التحليل المتعلقة بالموضوع آثرنا استخدام التقسيم العلمي المعترف به علمياً لموضوع البيئة (بدلاً من اعتماد المشاكل البيئية المختلفة والمتفرقة)، وتم تقسيم الموضوع إلى قضايا، والقضايا إلى محاور وذلك على النحو التالي:

أولا: الموضوع: المحيط الحيوي.

القضايا:

١ـ المقومات الأساسية:

أ ـ الهواء: المحاور: تلوث الهواء، الأوزون، الغلاف الغازي ـ تدهور نوعية الغلاف الجوي

ب ـ الماء: المحاور: تلوث المادة، سواء استخدام المياه، تلوث الأنهار و البحار والمحيطات.

ج ـ الغذاء: المحاور: تلوث الغذاء، أنماط الاستهلاك، نوعية وكمية الغذاء، الملونات ومكسّبات الطعم.

٢ ـ الموارد الطبيعية

أ ـ تدهور البيئة الطبيعية: المحاور: الملوحة، التصحر، الجفاف.

ب ـ استنزاف الموارد الطبيعية: المحاور: أنواع الموارد: الثابتة والمتجددة، الصيد الجائر، البحث عن بدائل.

ثانياً : الموضوع: المحيط التقني:

القضايا:

١ ـ الصناعة المحاور: التلوث الصناعي. مخلفات الصناعة. التلوث الحراري والكيميائي والإشعاعي. الاستيراد العشوائي للتكنولوجيا الضوضاء. وضع المناطق الصناعية ضمن السكنية.

٢ ـ العمران: المحاور: الصرف الصحي، النفايات المنزلية، التوسع العشوائي، التلوث البصري.

٣ـ الزراعة: المحاور: الأسمدة، المبيدات، أنواع الزراعات، إنهاك الأرض.

٤ ـ الصحة: المحاور: التلوث البيولوجي انتشار الأمراض والأوبئة، المرافق الصحية ومخلفاتها.

ثالثاً : المحيط الاجتماعي:

القضايا:

١ ـ التربية والتوعية: المحاور توجيه، إعلام، قيم وسلوك.

٢ ـ قوانين وتشريعات: المحاور: قانون البيئة. الخطة القومية. الأنظمة المختلفة.

٣ـ المؤسسات: المحاور: المؤسسات والأجهزة البيئية الرسمية والجماهيرية، المحلية والإقليمية والدولية.

٤ ـ المناسبات. المحاور: مناسبات بيئية محلية، وأقليمية، ودولية.

٥ ـ عدم إشباع الحاجات: المحاور: الفقر، البطالة

٦ـعوائق برامج حماية البيئة: المحاور: نقص التكنولوجيا. أزمة التمويل. النمو المتساريع للسكان.

ولما كان البحث إعلامياً، واستكمالاً لأغراض البحث وتحقيق هدفه، كان ضرورياً استخدام فئات التحليل التي تمكننا من التعرف الدقيق على التغطية الصحفية المستخدمة لمعالجة هذا الموضوع البيئي كيفاً وكماً. وذلك استخدمنا فئات التحليل التالية:

الأنواع الصحفية، والكاتب، والمصدر، والمكان، والصفحة، والصورة، وأسلوب المعالجة والشخصيات الفاعلة، وطبيعة المادة والمسببات وزاوية النظر إلى مشكلة.

النتائج ـ التحليل الكمي ـ

حجم الاهتمام بالمشكلة

العدد العام والساحة الاجمالية:

نشرت صحف العينة خلال فترة الدراسة ٤٩٢ مادة تعالج قضايا وموضوعات ومحاور تتعلق بالبيئة ـ (٢٢٨ مادة نشرتها الأهرام، ٤١ السفير، و٨٤ الرأي، و٦٩ القبس، و ١٢٥ الجزيرة و ٤٥ تشرين). وبلغت المساحة الاجمالية التي خصصتها صحف العينة لهذه المواد ١١٥٩٢١ سم٢ (أي ما نستبه ٣٥, ٠٪ من مجمل مساحة أعداد العينة. ترتفع هذه النسبة لتصل في تشرين إلى ٧٢, ٠٪ بسبب قلة عدد صفحاتها، وتنخفض لتصل إلى ١٩, ٠ في الجزيرة). (انظر الجدول رقم ١).

الجدول رقم (١)
حجم الاهتمام بالمشكلة

المساحة / الصحيفة	المساحة الإجمالية لأعداد العينة فترة الدراسة (سم٢)	المساحة الإجمالية للمواد البيئيةفترة الدراسة (سم٢)	النسبة المئوية
الأهرام	٧٨٣٨٠٩٤	٣٢٤٥٧	٠,٤١٪
السفير	٣٣٤١٥٢٠	٩٠٣٠	٠,٢٧٪
الرأي	٨٢٠٨٤٦١	٢١٣٤٢	٠,٢٦٪
القبس	٨٢٦٥٢٠٠	٢٠٦٦٣	٠,٢٥٪
الجزيرة	٥٨١٥٢٦٣	١١٠٤٩	٠,١٩٪
تشرين	٢٩٧٠٢٤٠	٢١٤٠٠	٠,٧٢٪
المجموع	٣٦٤٣٨٧٧٨	١١٥٩٤١	٠,٣٥٪

ـ الأنواع الصحفية:

توزعت المواد الصحفية التي نشرتها صحف العينة خلال فترة الدراسة على الأنواع الصحفية المختلفة على النحو التالي . (أنظر الجدول رقم ٢).

الخبر. نشرت صحف العينة ٢٤١ خبراً (نسبة ٤٨,٩٪ . ترتفع في الأهرام إلى ٥٨,٣٪ . وتنخفض في تشرين إلى ٢٦,٦٪). وخصصت لهذه كأخبار مساحة بلغت ٢٠١٠٨ سم٢ (نسبة ١٧,٣٪ . تصل في السفير إلى ٢٩٪ وتنخفض في تشرين إلى ٦,٢٪). وبذلك يحتل الخبر المرتبة الأولى عدداً والثالثة مساحة .

التقرير: نشرت صحف العينة خلال فترة الدراسة ١٢١ تقريراً (نسبة ٥, ٢٥٪. ترتفع في السفير إلى ٩, ٤٣٪، وتنخفض في الأهرام إلى ٤, ١٤٪). وخصصت لهذه التقارير مساحة بلغت ٤٠١٣٩ سم٢ (نسبة ٦, ٣٤٪. ترتفع في الرأي إلى ٤, ٥٣٪، وتنخفض في تشرين إلى ١٩٪). وبذلك يحتل التقرير المرتبة الثانية عدداً والأولى مساحة.

المقال: نشرت صحف العينة ستة أحداث طوال فترة الدراسة (٣, ١٪)، وخصصت لها مساحة ٥٠٨٤ سم٢ (٣, ٣٪). يحتل الحديث بذلك المرتبة السابعة عدداً والخامسة مساحة.

التحقيق الصحفي: بلغ عدد التحقيقات التي نشرتها صحف العينة خلال فترة الدراسة ٤٧ تحقيقاً (بنسبة ٥, ٩٪، ترتفع إلى ٤, ٤٤٪ في تشرين، وتنخفض إلى ٣, ٤٪ في القبس، وتنعدم نهائياً في الرأي) خصصت لهذه التحقيقات مساحة قدرها ٣٣٩٢٠ سم٢ (٢, ٢٩٪، ترتفع في تشرين لتصل إلى ١, ٧٣٪، وتنخفض في السفير إلى ٥, ١٢٪، وتنعدم نهائياً في الرأي). وبذلك يحتل التحقيق المرتبة الثالثة عدداً والثانية مساحة.

التعليق الصحفي: نشرت صحف العينة ٤٣ تعليقاً (٧, ٨٪، ترتفع في القبس إلى ٢, ٢٠٪، وتنخفض في تشرين إلى٢, ٢٪، وتختفي نهائياً في السفير والرأي). خصصت لها مساحة ٦٥٦٠ سم٢ (٦, ٥٪، ترتفع في الأهرام والقبس إلى ٢, ١١٪، وتنخفض في تشرين إلى٢, ١٪، وتختفي تماماً في السفير والرأي). وبذلك يحتل التعليق المرتبة الرابعة عدداً ومساحة.

الجدول رقم (٢): الأنواع الصحفية المستخدمة

الصحيفة	النوع	خبر	تقرير	مقال	حديث	تحقيق	تعليق	رسائل	ندوة صحفية	تحليل إخباري	تعليق
الأهرام	عدد	١٣٣	٣٣	١	٢	١٧	٢٦	٢٦	-	-	٢٢٨
	نسبة	٪٥٨,٣	٪١٤,٤	٠,٤	٪٠,٨	٪٧,٤	٪١١,٤	٪٧	-	-	٪١٠٠
	مساحة	٦٤٠٠	٧٩٥٢	٣٠٠	١٢٤٠	١٠٧٠٢	٣٦٢٩	٢٢٣٤	-	-	٣٢٤٥٧
	نسبة	٪١٩,٧	٪٢٤,٥	٪٠,٩	٪٣,٨	٣٢,٩	٪١١,١	٪٦,٨	-	-	٪١٠٠
السفير	عدد	١٧	١٨	١	-	٣	-	٢	-	-	٤١
	نسبة	٪٤١,٥	٪٤٣,٩	٪٢,٤	-	٪٧,٣	-	٪٤,٨	-	-	٪١٠٠
	مساحة	٢٦٢٥	٤٥٠٥	٥٢٠	-	١١٣٠	-	٢٥٠	-	-	٩٠٣٠
	نسبة	٪٢٩	٪٤٩,٨	٪٥,٧	-	٪١٢,٥	-	٪٢,٧	-	-	٪١٠٠
الرأي	عدد	٤٦	٢٧	٢	-	-	-	٧	١	١	٨٤
	نسبة	٪٥٤,٧	٪٣٢,١	٪٢,٣	-	-	-	٪٨,٣	٪١,١	٪١,١	٪١٠٠
	مساحة	٦١٢٥	١١٤٠٩	٩٥٢	-	-	-	١٦٦٨	٩٣٦	٢٥٢	٢١٣٤٢
	نسبة	٪٢٨,٦	٪٥٣,٤	٪٤,٤	-	-	-	٪٧,٨	٪٤,٣	٪١,١	٪١٠٠

القبس	مساحة	٢٣٨٦	٩١٤٥	٢٤٥٠	١٧٠٤	٢٦٥٨	٢٣٢٠	-	-	-	٢٠٦٦٣
	نسبة	٪١١,٥	٪٤٤,٢	٪١١,٨	٪٨,٢	٪١٢,٨	٪١١,٢	-	-	-	٪١٠٠
الجزيرة	عدد	٩	٧	١	٢	٤	٢	-	-	-	٢٥
	نسبة	٪٣٦	٪٢٨	٪٤	٪٨	٪١٦	٪٨	-	-	-	٪١٠٠
	مساحة	١٢٣٦	٢٩٩١	٥٥٠	٢١٤٠	٣٧٩١	٣٤١	-	-	-	١١٠٤٩
	نسبة	٪١١,١	٪٢٧	٪٤,٩	٪١٩,٣	٪٣٤,٣	٪٣	-	-	-	٪١٠٠
تشرين	عدد	١٢	١٢	-	-	٢٠	١	-	-	-	٤٥
	نسبة	٪٢٦,٦	٪٢٦,٦	-	-	٪٤٤,٤	٪٢,٢	-	-	-	٪١٠٠
	مساحة	١٣٣٦	٤١٣٧	-	-	١٥٦٥٧	٢٧٠	-	-	-	٢١٤٠٠
	نسبة	٪٦,٢	٪١٩,٣	-	-	٪٧٣,١	٪١,٢	-	-	-	٪١٠٠
المجموع	عدد	٢٤١	١٢١	٧	٦	٤٧	٤٣	٢٥	١	١	٤٩٢
	نسبة	٪٤٨,٩	٪٢٤,٥	٪١,٤	٪١,٢	٪٩,٥	٪٨,٧	٪٥	٪٠,٢	٪٠,٢	٪١٠٠
	مساحة	٢٠١٠٨	٤٠١٣٩	٤٧٧٢	٥٠٨٤	٣٣٩٣٨	٦٥٦٠	٤١٥٢	٩٣٦	٢٥٢	١١٥٩٤١
	نسبة	٪١٧,٣	٪٣٤,٦	٪٤,١	٪٤,٣	٪٢٩,٢	٪٥,٦	٪٣,٥	٪٠,٨	٪٠,١٢	٪١٠٠

الجدول رقم (٣): الموضوعات والقضايا

الصحيفة		الموضوع البيئي	القضايا					تقني
			المقومات الأساسية			الموارد		
			هواء	ماء	غذاء	تدهور البيئة	المؤثرات الموارد	
الأهرام	عدد	٨٦						١٥
	نسبة	٥٨,٣٪						٣١,٢٪
	عدد		١١	١٨	١١	٢٤	٢٢	
	نسبة		١٢,٧٪	٢٠,٩٪	١٢,٧٪	٢٧,٩٪	٢٥,٥٪	
السفير	عدد	٢٢	٢	٦	-	٤	١٠	١٣
	نسبة	٥٣,٣٪	٩٪	٢١,٢٪	-	١٨,١٪	٤٥,٤٪	٣١,٧٪
الرأي	عدد	١٧	٢	٢	-	٣	١٠	٣٠
	نسبة	٢٠,٢٪	١١,٧٪	١١,٧٪	-	١٧,٦٪	٥٨,٨٪	٣٥,٧٪
القبس	عدد	٢٨	٧	٣	٢	٩	٧	٢٠
	نسبة	٤٠,٥٪	٢٥٪	١٠,٧٪	١,١٪	٣٢,١٪	٢٥٪	٢٨,٩٪
الجزيرة	عدد	٦	١	-	-	-	٥	١٢
	نسبة	٢٤٪	١٦,٦٪	-	-	-	٨٣,٣٪	٤٨٪
تشرين	عدد	١٥	٤	٢	-	٤	٥	٢٤
	نسبة	٣٣,٣٪	٢٦,٦٪	١٣,٣٪	-	٢٦,٦٪	٣٣,٣٪	٥٣,٣٪
المجموع	عدد	١٧٤	٢٧	٣١	١٣	٤٤	٥٩	١٨٤
	نسبة	٣٥,٣٪	٥,٤٪	٦,٣٪	٢,٦٪	٨,٩٪	١١,٩٪	٣٧,٣٪

القضايا				الاجتماعي				
صناعة	عمران	زراعة	صحة	٥٧ ٪٢٥	القضايا			
					تربية واعلام	قوانين وتشريعات	مؤسسات ومنظمات	مناسبات
٢٣	٤٨	١١	٣	٦	٣٩	٧	٧	٤
٪٢٧	٪٥٦,٤	٪١٢,٩	٪٣,٥	٪١٤,٦	٪٦٨,٤	١٢,٢	٪١٢,٢	٪٧
٥	٧	_	١	٣٧	_	٢	٤	_
٪٣٨,	٪٥٣,٨	_	٪٧,٦	٪٤٤	_	٪٣٣,٣	٪٦٦,٦	_
٢١	٩	_	_	٢١	١٢	٤	٩	١٢
٪٧٠	٪٣٠	_	_	٪٣٠,٤	٪٣٢,٤	٪١٠,٨	٪٢٤,٣	٪٣٢,٤
٧	٦	٣	٤	٧	١٤	٢	٥	_
٪٣٥	٪٣٠	٪١٥	٪٢٠	٪٢٨	٪٦٦,٦	٪٩,٥	٪٢٣,٨	_
١	٤	٥	٢	٦	٣	_	١	٣
٪٨,٢	٪٣٣,٣	٪٤١,٦	٪١٦,٦	٪٢٨	٪٤٢,٨	_	٪١٤,٢	٪٤٢,٨
٥	١٩	_	_	٦	٢	_	٢	٢
٪٢٠,	٪٧٩,١	_	_	٪١٣٣	٪٣٣,٣	_	٪٣٣,٣	٪٣٣,٣
٦٢	٩٣	١٩	١٠	١٣٤	٧٠	١٥	٢٨	٢١
٪١٢,	٪١٨,٩	٪٣,٨	٪٢	٪٢٧,٢	٪١٤,٢	٪٣	٪٥,٦	٪٤,٢

الرسائل: نشرت صحف العينة ٢٥ زاوية (٥٪ من مجمل عدد المواد) تتضمن كل زاوية عدداً من الرسائل الفردية والرسمية ـ (١٦ من هذه الزوايا نشرتها الأهرام. ولا تظهر الرسائل إطلاقاً في كل من القبس والجزيرة وتشرين). خصصت لهذه الرسائل مساحة ٤١٥٢ سم٢ (٥, ٣٪). بذلك تحتل الرسائل المرتبة الخامسة عدداً والسابعة مساحة.

الندوة: لم تنشر صحف العينة طوال فترة الدراسة سوى ندوة واحدة نشرتها الرأي الأردنية، وتحتل الندوة المرتبة الثامنة عدداً (٢, ٠٪) ومساحة (٨, ٠٪).

التحليل الإخباري: لم تنشر صحف العينة طوال فترة الدراسة سوى تحليل واحد نشرته صحيفة الرأي الأردنية، ويحتل التحليل الإخباري بذلك المرتبة الثامنة عدداً (٢, ٠٪) والتاسعة مساحة (٢, ٠٪).

الموضوعات والقضايا:

عالجت المواد ال ٤٩٢ التي نشرتها صحف العينة خلال فترة الدراسة الموضوعات والقضايا البيئية التالية:

(أنظر الجدول رقم ـ ٣ ـ)

المجال الحيوي: عالجت ١٧٤ مادة موضوعات وقضايا تقع ضمن المجال الحيوي (نسبة ٧, ٣٥٪ من مجمل عدد المواد، ترتفع هذه النسبة في السفير إلى ٣, ٥٣٪، وتنخفض في الرأي إلى ٢, ٢٠٪). ومن هذه المواد ٧١ مادة (٨, ٤٠٪) تدور حول قضايا المقومات الأساسية في المجال الحيوي ـ (الهواء ٢٧ مادة، والماء، والغذاء ١٣ مادة)، و ١٠٣ مواد (٢, ٥٩٪) تعالج قضايا تتعلق بقضايا الموارد البيئية (استنزاف الموارد ٥٩ مادة، وتدهور البيئة بشكل عام ٤٤ مادة).

المجال النفسي: ١٨٤ مادة عالجت موضوعات تقع ضمن المجال التقني (٣, ٣٧٪. ترتفع في تشرين إلى ٣, ٥٣٪، وتنخفض في القبس إلى ٩, ٢٨٪)، ٦٢ مادة منها (٦, ٣٣٪) تعالج قضايا تتعلق بتأثير الصناعة على البيئة، و٩٣ مادة (٥, ٥٠٪) بآثار البيئة للعمران والسكن عموماً، و ١٩ مادة (٣, ١٠٪) بالزراعة و ١٠ مواد (٤, ٥٪) بالصحة.

المجال الاجتماعي. عالجت ١٣٤ مادة موضوعات المجال الاجتماعي (نسبة ٢, ٢٧٪، ترتفع في الرأي إلى ٤٤٪، وتنخفض في تشرين إلى ٣, ١٣٪). ٦٨ مادة منها عالجت قضايا تتعلق بالتربية البيئية والإعلام البيئي (٧, ٥٠٪)، و١٧ مادة عالجت القوانين والتشريعات البيئية (٦, ١٢٪)، و ٢٤ مادة عالجت قضايا تتعلق بالمؤسسات والمنظمات البيئية (٩, ١٧٪)، و ٢٥ مادة تتعلق بالمناسبات البيئية المحلية الأقليمية الدولية (٦, ١٨٪).

الكاتب: كتب الصحفيون العاملون في صحف العينة ٣٣٠ مادة خاصة بهم (نسبة ٦٧٪، ترتفع في تشرين إلى ٧, ٩٧٪، وتنخفض في السفير إلي ٥, ٣٦٪) وكتب الخبراء والمختصون ١٢ مادة (٤, ٢٪)، وأتت ١٥٠ مادة (٣, ٣٠٪) من مصادر وجهات عامة. (أنظر الجدول رقم ٤).

المصدر. انفرد الصحفيون العاملون في صحف العينة بـ ٣٣٦ مادة (٢, ٦٨٪)، وحصلت هذه الصحف على ١١٩ مادة من وكالات الأنباء المحلية والعالمية، ونشرت ٣٧ مادة (٥, ٧٪) غير محدد مصدرها. (انظر الجدول رقم ٥).

الجدول رقم (٤)

كاتب المادة البيئية

الصحيفة	الكاتب	صحفي	خبير	عام	المجموع
الأهرام	عدد	١٤٩	٢	٧٧	٢٢٨
	نسبة	٪٦٥,٣	٪٠,٨	٪٣٣,٧	١٠٠
السفير	عدد	١٥	١	٢٥	٤١
	نسبة	٣٦,٥	٪٢,٤	٪٦٠,٩	٪١٠٠
الرأي	عدد	٥٩	٢	٢٣	٪٨٤
	نسبة	٪٧٠,٢	٪٢,٣	٪٢٧,٣	٪١٠٠
القبس	عدد	٤٢	٥	٢٢	٦٩
	نسبة	٪٧٠,٨	٪٧,٢	٪٣١,٨	٪١٠٠
الجزيرة	عدد	٢١	٢	٢	٢٥
	نسبة	٪٨٤	٪٨	٪٨	٪١٠٠
تشرين	عدد	٤٤	-	١	٤٥
	نسبة	٪٩٧,٧	-	٪٢,٣	٪١٠٠
المجموع	عدد	٣٣٠	١٢	١٥٠	٤٩٢
	نسبة	٪٦٧	٪٢,٤	٪٣٠,٤	٪١٠٠

الجدول رقم (٥)
مصادر المادة البيئية

الصحيفة	المصادر	خاص	وكالات	غير محدد	المجموع
الأهرام	عدد	١٤٦	٦٨	١٤	٢٢٨
	نسبة	٦٤,٨٪	٢٩,٨٪	٦,١٪	١٠٠
السفير	عدد	١٤	١٦	١٠	٤١
	نسبة	٣٤,١٪	٣٩٪	٢٤,٣٪	١٠٠٪
الرأي	عدد	٥٩	٢٣	٢	٨٤٪
	نسبة	٧٠,٢٪	٢٧,٢٪	٢,٣٪	١٠٠٪
القبس	عدد	٥٠	٩	١٠	٦٩
	نسبة	٧٢,٤٪	١٣٪	١٤,٤	١٠٠٪
الجزيرة	عدد	٢٣	٢	-	٢٥
	نسبة	٩٢٪	٨٪	-	١٠٠٪
تشرين	عدد	٤٤	١	-	٤٥
	نسبة	٩٧,٧٪	٢,٣٪	-	١٠٠٪
المجموع	عدد	٣٣٦	١١٩	٣٧	٤٩٢
	نسبة	٦٨,٢٪	٢٤,١٪	٧,٥٪	١٠٠٪

المكان: تتعلق ٤٢١ مادة بالمشاكل البيئية في الدول التي تصدر فيها الصحيفة (بنسبة ٥ , ٨٥٪، ترتفع في الجزيرة إلى ٩٦٪، وتنخفض في السفير إلى ٥٦٪). وتتعلق ١٤ مادة (٨ , ٢٪) بمشاكل بيئية ذات طابع عربي عام أو تتعلق بدول عربية أخرى، في حين أن ٥٧ مادة (٥ , ١١٪) تتعلق بموضوعات وقضايا بيئية ذات طابع دوني عام أو تعليق بإحدى الدول الأجنبية. (انظر الجدول رقم٦).

الصحيفة: نشرت صحف العينة جميع مواد البيئة على صفحاتها الداخلية باستثناء مادتين (٤١ , ٠٪) نشرتها على الصفحة الأولى. (انظر الجدول رقم ٧).

الصور: بلغ عدد الصور التي نشرتها صحف العينة مرافقة للمواد المتعلقة بالبيئة ٢٦٣ صورة (٤ , ٥٣٪) من المواد. ترتفع في تشرين إلى ٣ , ١٣٣٪، وتنخفض في السفير إلى ٨ , ٢٦٪)، ٩٢ صورة من هذه الصور شخصية (بنسبة ١ , ٣٧٪، ترتفع في الأهرام إلى ٤ , ٥٨٪، وتنخفض في تشرين إلى ٥٪)، و١٥٦ صورة (٩ , ٦٢٪) إخبارية وتوضيحية وتوثيقية . (انظر الجدول رقم ٨).

أسلوب المعالجة: استخدمت صحف العينة اسلوب السرد والعرض في ٣٤٥ مادة (بنسبة ١ , ٧٪ من مجمل عدد المواد)، وأسلوب التحليل والتفسير في ٨١ مادة (٤ , ١٦٪)، وأسلوب الحوار في ١١ مادة (٢ , ٢٪)، والأسلوب المختلط في ٥٥ مادة (١ , ١١٪) (انظر الجدول رقم ٩).

الشخصيات الفاعلة: الشخصيات الرسمية هي الفاعلة في ١٥٨ مادة (١١ , ٣٢٪)، والرسمية-الخبيرة هي الفاعلة في ٥٨ مادة (٢ , ١٧٪)، والخبراء والمختصون هم الشخصيات الفاعلة في ٩٧ مادة (٧ , ١٩٪)

الجدول رقم (٦)

المكانية: المحلية والإقليمية والعالمية

الصحيفة	المكان	محلي	عربي	دولي	المجمـوع
الأهرام	عدد	٢٠٦	٨	١٤	٢٢٨
	نسبة	٪٩٠,٢	٪٣,٥	٪٦,١	١٠٠
السفير	عدد	٢٣	١	١٧	٤١
	نسبة	٪٥٦	٪٢,٤	٪٤١,٤	٪١٠٠
الرأي	عدد	٧٦	١	٧	٪٨٤
	نسبة	٪٩٠,٤	٪١,١	٪٨,٣	٪١٠٠
القبس	عدد	٤٩	٤	١٦	٦٩
	نسبة	٪٧١	٪٥,٧	٪٢٣,١	٪١٠٠
الجزيرة	عدد	٢٤	ـ	١	٢٥
	نسبة	٪٩٦	ـ	٪٤	٪١٠٠
تشرين	عدد	٤٣	ـ	٢	٤٥
	نسبة	٪٩٥,٥	ـ	٪٤,٥	٪١٠٠
المجموع	عدد	٤٢١	١٤	٥٧	٤٩٢
	نسبة	٪٨٥,٥	٪٢,٨	٪١١,٥	٪١٠٠

الجدول رقم (٧)
الصحيفة ـ مكان النشر

الصحيفة	الصفحة	أولـــي	داخلي وأخيرة	المجمـوع
الأهرام	عدد	١	٢٢٧	٢٢٨
	نسبة	٪٠.٤	٪٩٩.٦	١٠٠
السفير	عدد	١	٤٠	٤١
	نسبة	٪٢,٥	٪٩٧,٥	٪١٠٠
الرأي	عدد	ـ	٨٤	٪٨٤
	نسبة	ـ	٪١٠٠	٪١٠٠
القبس	عدد	ـ	٦٩	٦٩
	نسبة	ـ	٪١٠٠	٪١٠٠
الجزيرة	عدد	ـ	٪٢٥	٢٥
	نسبة	ـ	٪١٠٠	٪١٠٠
تشرين	عدد	ـ	٤٥	٤٥
	نسبة	ـ	٪١٠٠	٪١٠٠
المجموع	عدد	٢	٤٩٠	٤٩٢
	نسبة	٪٠,٤١	٪٩٩,٥٩	٪١٠٠

الجدول رقم (٨)
استخدام المادة المصورة

الصحيفة	الصفحة	العدد الإجمالي للصور	الصور الشخصية	الصور الإخبارية
الأهرام	عدد	٨٩	٥٢	٣٧
	نسبة	٣٩٪	٥٨,٤٪	٤١,٥٪
السفير	عدد	١١	٤	٧
	نسبة	٢٦,٨٪	٣٦,٣٪	٦٣,٦٪
الرأي	عدد	٢٧	٨	١٩
	نسبة	٣٢,١٪	٢٩,٦٪	٧٠,٣٪
القبس	عدد	٤٥	١٤	٣١
	نسبة	٦٥,٢٪	٣١,١٪	٦٨,٨٪
الجزيرة	عدد	٣١	١١	٢٠
	نسبة	١٢٤٪	٣٥,٤٪	٦٤,٥٪
تشرين	عدد	٦٠	٣	٥٧
	نسبة	١٣٣,٣٪	٥٪	٩٥٪
المجموع	عدد	٢٦٣	٩٢	١٧١
	نسبة	٥٣,٤٪	٣٤,٩٪	٦٥٪

الجدول رقم (٩)

أساليب المعالجة الصحفية

الصحيفة	أسلوب المعالجة	سرد	تحليل	حوار	مختلط	المجموع
الأهرام	عدد	١٥٧	٣٩	٢	٣٠	٢٢٨
	نسبة	٦١,٨٪	١١,١٪	٠,٨٪	١٣,١٪	١٠٠
السفير	عدد	٣٢	٣	٥	١	٤١
	نسبة	٧٨٪	١,٣٪	١٢,١٪	٢,٤	١٠٠٪
الرأي	عدد	٧٨	٦	-	-	٨٤٪
	نسبة	٩٢,٤٪	٧,١٪	-	-	١٠٠٪
القبس	عدد	٤٨	١٢	٢	٧	٦٩
	نسبة	٦٩,٩٪	١٧,٣٪	٢,٨٪	١٠,١٪	١٠٠٪
الجزيرة	عدد	١٢	٥	٢	٦	٢٥
	نسبة	٤٨٪	٢٠٪	٨٪	٢٤٪	١٠٠٪
تشرين	عدد	١٨	١٦	-	١١	٤٥
	نسبة	٤٠٪	٣٥,٥٪	-	٢٤,٤٪	١٠٠٪
المجموع	عدد	٣٤٥	٨١	١١	٥٥	٤٩٢
	نسبة	٧٠٪	١٦,٤٪	٢,٢٪	١١,١٪	١٠٠٪

والمواطنون العاديون المعنيون بالمشاكل هم الشخصية الفاعلة في ٤٨ مادة (٧, ٩٪)، وبلغ عدد المواد التي توجد فيها أكثر الشخصيات فاعلة ٨٧ مادة (٦, ٧١٪). (انظر الجدول رقم ١٠).

طبيعة المادة: تخصص صحف العينة نسبة ٥, ٦٣٪ من مجمل المواد التي نشرتها عن البيئة للأحداث والمناسبات الآنية الرهنة. مقابل نسبة ٣, ٣٦٪ تخصصها لمعالجة الظواهر والقضايا. (انظر الجدول رقم ١١).

المسببات: نشرت صحف العينة خلال فترة الدراسة ٧٤ مادة (١٥٪ من مجمل عدد المواد) تعالج موضوعات وقضايا بيئية يعود سببها إلى المشاكل العامة للتخلف في المجتمع، و ٢٧٨ مادة (٥, ٥٦٪) يعود سببها إلى المشاكل العامة للتقدم الحاصل في المجتمع، و١٤٠ مادة (٤, ٢٨٪) تجمع بين أسباب التخلف والتقدم (انظر الجدول رقم ١٢).

الآثار: أبرزت صحف العينة الآثار السريعة الفورية والراهنة للمشاكل المعالجة في ١٧٦ مادة (٧, ٣٥٪، ترتفع في الأهرام و تشرين إلى ١, ٤٥٪ ، ٧, ٣٧٪ على التوالي وتنخفض في السفير ٧, ٩٪). في حين لم تنشر سوى ٧٩ مادة (١٦٪) تبرز الآثار الآجلة والبعيدة المدى للمشاكل التي تعالجها. ومن اللافت والايجابي أن تركز على كل من الآثار العاجلة في ١٣٧ مادة (١, ٤٨٪). (انظر الجدول رقم ١٣).

زاوية النظر: نشرت صحف العينة ٩٩ مادة (١, ٢٠٪) تم النظر فيها إلى الموضوعات (و القضايا من زاوية الآثار المادية، ٤٧ مادة (٥, ٩٪) من زاوية النطاق الجغرافي ، و٤٣ مادة ٧, ٨٪) من زاوية النطاق الزمني، و ٣٠٣ مواد (٥, ٦١٪) من زاوية البعد الإجتماعي - الإقتصادي - الصحي. (انظر الجدول رقم١٤)

الجدول رقم (١٠)

الشخصيات الفاعلة

الصحيفة / الشخصيات		رسميون	رسميون خبراء	خبراء	مواطنون عاديون	منظمات ومراكز أبحاث	أكثر من شخصية	المجموع
الأهرام	عدد	٨١	٣٨	٣٨	٨	٢٠	٤٣	٢٢٨
	نسبة	٪٣٥,٣	٪١٦,٦	٪١٦,٦	٣,٥	٨,١	٪١٨,٨	١٠٠
السفير	عدد	١٢	٧	١٠	-	٥	٧	٤١
	نسبة	٪٢٩,٢	٪١٧	٪٢٤,٣	-	٪١٢,١	٪١٧	٪١٠٠
الرأي	عدد	١٩	١٥	٢٤	٣	٩	١٤	٪٨٤
	نسبة	٪٢٢,٦	٪١٧,٨	٪٢٨,٥	٪٣,٥	٪١٠,٧	٪١٦,٦	٪١٠٠
القبس	عدد	١٩	١٤	١٣	٢	٦	١٥	٦٩
	نسبة	٪٢٧,٥	٪٢٠,٢	٪١٨,٨	٪٢,٨	٪٨,٦	٪٢١,٧	٪١٠٠
الجزيرة	عدد	١٨	٣	٢	-	٢	-	٢٥
	نسبة	٪٧٢	٪١٢	٪٨	-	٪٨	-	٪١٠٠
تشرين	عدد	٩	٨	١٠	٤	٦	٨	٤٥
	نسبة	٪٢٠	٪١٧,٧	٪٢٢,٢	٪٨,٨	٪١٣,٣	٪١٧,٧	٪١٠٠
المجموع	عدد	١٥٨	٨٥	٩٧	١٧	٤٨	٨٧	٤٩٢
	نسبة	٪٣٢,١	٪١٧,٢	٪١٩,٧	٪٣,٤	٪٩,٧	٪١٧,٦	٪١٠٠

الجدول رقم (١١)
طبيعـــــة المـــادة

الصحيفة	طبيعة المادة	حدث	ظاهرة	مناسبة	المجمـوع
الأهرام	عدد	١٢٠	٧١	٣٧	٢٢٨
	نسبة	٥٢,٦٪	٣١,١٪	١٦,٢٪	١٠٠
السفير	عدد	١٦	٢١	٤	٤١
	نسبة	٣٩٪	٥١,٢٪	٩,٧٪	١٠٠٪
الرأي	عدد	٤٣	٣١	١٠	٨٤٪
	نسبة	٥١,١٪	٣٦,٩٪	١١,٩٪	١٠٠٪
القبس	عدد	٢١	٢٨	٢٠	٦٩
	نسبة	٣٠,٤٪	٤٠,٥٪	٢٨,٩٪	١٠٠٪
الجزيرة	عدد	١٤	٩	٢	٢٥
	نسبة	٥٦٪	٣٦٪	٨٪	١٠٠٪
تشرين	عدد	١٧	١٩	٩	٤٥
	نسبة	٣٧,٧٪	٤٢,٢٪	٢٠٪	١٠٠٪
المجموع	عدد	٢٣١	١٧٩	٨٢	٤٩٢
	نسبة	٤٦,٩٪	٣٦,٣٪	١٦,٦٪	١٠٠٪

الجدول رقم (١٢)

المسـببات

الصحيفة	المسببات	تخلف	تقدم	مختلطة	المجموع
الأهرام	عدد	٣٢	١١٣	١٣	٢٢٨
	نسبة	٪١٤	٪٤٩,٥	٪٣٦,٤	٪١٠٠
السفير	عدد	٧	٢٨	٦	٤١
	نسبة	٪١٧	٪٦٨,٢	٪١٤,٦	٪١٠٠
الرأي	عدد	١٦	٤٩	١٩	٪٨٤
	نسبة	٪١٩	٪٥٨,٣	٪٢٢,٦	٪١٠٠
القبس	عدد	٥	٤٧	١٧	٦٩
	نسبة	٪٧,٢	٪٦٨,٢	٪٢٤,٦	٪١٠٠
الجزيرة	عدد	٦	٢٤	٥	٢٥
	نسبة	٪٢٤	٪٥٦	٪٢٠	٪١٠٠
تشرين	عدد	٨	٢٧	١٠	٤٥
	نسبة	٪١٧,٧	٪٦٠	٪٢٢,٢	٪١٠٠
المجموع	عدد	٧٤	٢٧٨	١٤٠	٤٩٢
	نسبة	٪١٥	٪٥٦,٥	٪٢٨,٤	٪١٠٠

الجدول رقم (١٣)
الآثار الآجلة والعاجلة

الصحيفة	الآثار	فورية	آجلة	مختلطة	المجموع
الأهرام	عدد	١٠٣	٢٧	٩٨	٢٢٨
	نسبة	٪٤٥,١	٪١١,٨	٪٤٢,٩	١٠٠
السفير	عدد	٤	٦	٣١	٤١
	نسبة	٪٩,٧	٪١٤,٦	٪٧٥,٦	٪١٠٠
الرأي	عدد	٢٧	١١	٤٦	٪٨٤
	نسبة	٪٣٢,١	٪١٣	٪٥٤,٧	٪١٠٠
القبس	عدد	١٩	٢٢	٢٨	٦٩
	نسبة	٪٢٧,٥	٪٣١,٨	٪٤٠,٥	٪١٠٠
الجزيرة	عدد	٦	٧	١٢	٢٥
	نسبة	٪٢٤	٪٢٨	٪٤٨	٪١٠٠
تشرين	عدد	١٧	٦	٢٢	٤٥
	نسبة	٪٣٧,٧	٪١٣,٣	٪٤٨,٨	٪١٠٠
المجموع	عدد	١٧٦	٧٩	٢٣٧	٤٩٢
	نسبة	٪٣٥,٧	٪١٦	٪٤٨,١	٪١٠٠

الجدول رقم (١٤)
زاوية النظر للمشكلة

الصحيفة / زاوية النظر		الآثار المادية	النطاق الجغرافي	النطاق الزمني	البعد الصحي الاقتصادي الاجتماعي	المجموع
الأهرام	عدد	٤٣	١٧	٢٣	١٤٥	٢٢٨
	نسبة	٪١٨,٨	٪٧,٤	٪١٠	٪٦٣,٥	١٠٠
السفير	عدد	٧	٣	٢	٢٩	٤١
	نسبة	٪١٧	٪٧,٣	٪٤,٨	٪٧٠,٧	٪١٠٠
الرأي	عدد	٢٢	١١	٤	٤٧	٪٨٤
	نسبة	٪٢٦,١	٪١٣	٪٤,٧	٪٥٥,٩	٪١٠٠
القبس	عدد	١٦	٤	٦	٤٣	٦٩
	نسبة	٪٢٣,١	٪٥,٧	٪٨,٦	٪٦٢,٣	٪١٠٠
الجزيرة	عدد	٣	٧	٢	١٣	٢٥
	نسبة	٪١٢	٪٢٨	٪٨	٪٥٢	٪١٠٠
تشرين	عدد	٨	٥	٦	٢٦	٤٥
	نسبة	٪١٧,٧	٪١١,١	٪١٣,٣	٪٥٧,٧	٪١٠٠
المجموع	عدد	٩٩	٤٧	٤٣	٣٠٣	٤٩٢
	نسبة	٪٢٠,١	٪٩,٥	٪٨,٧	٪٦١,٥	٪١٠٠

مناقشة النتائج

التحليل الكيفي

حجم اهتمام الصحف بالمشكلة :

ظهر الوعي (المحلي والاقليمي والعالمي) بمشكلات البيئة متأخراً، ولكنه أخذ ينمو بسرعة متفاوتة من دولة إلى أخرى. لم تكن كلمة (البيئة) معروفة ومستخدمة في الصحف في الأربعينات والخمسينات، ولكنها بدأت تبرز في الصحافة في الستينات والسبعينات. ومن المعروف أنه كلما ازداد الإحساس بمشكلة ما، وازداد، بالتالي القلق على وجودها، كلما ازداد وعي الجمهور بها، وكلما أدى هذا إلى تغطية صحفية أكبر لها. وزيادة التغطية الصحفية لأية قضية أو مشكلة تؤدي بدورها إلى ازدياد الوعي العام بها[(١)].

تعتبر الصحف أحد روافد خلق الوعي البيئي (بالإضافة إلى مؤسسات أخرى مثل الأسرة والمدرسة والمنظمات الجماهيرية . . . الخ)، ويُنظر إلى دورها هذا كجزء من الاستراتيجية القومية للتربية البيئية.

ويرى بعض الباحثين[(٢)]، ان صحف البلدان النامية (ومنها العربية طبعاً) مطالبة بأن تبذل جهداً مضاعفاً، وذلك لأن نظيرتها الغربية تعمل ضمن منظومة كبيرة ومستقرة وقادرة، في حين أن صحافة دول العالم الثالث (ومعها الإذاعة والتلفزيون) قد تكون الجهة الوحيدة التي تحمل مسؤولية التصدي لحماية البيئة.

(١) رشتي. مرجع سابق. ١٢٥

(٢) كامل مرجع سابق. ١٩٣

بدأت صحف العالم الثالث تولي موضوع البيئة قدراً من الاهتمام، ولكن هذا الاهتمام لم يزل قاصراً كماً وكيفاً عن الوفاء بالمتطلبات الحقيقية لقضايا البيئة.

تؤكد المعطيات الاحصائية لهذا البحث (انظر الجدول رقم ـ١ـ) أن الصحف العربية لا تهتم كمياً بمشكلة البيئة بشكل يتناسب وحجم وأهمية ووزن وآثار هذه المشكلة في حياة الفرد والمجتمع والبشرية جمعاء، ويؤكد هذا البحث أن هذه الصحف لم تخصص لموضوع البيئة سوى ٣٥, ٠٪ من مجمل مساحة صفحاتها. وتزداد الصورة قتامة حين توضح الأبحاث (ومنها هذا البحث) أنه وبالرغم من ضآلة ما ينتج لتنشيط الوعي البيئي والسلوك البيئي، فإن المشكلة الحقيقية ليست في الكم، بقدر ما هي في الكيفية التي يتم بها هذا الانتاج.

يعكس انخفاض حجم اهتمام الصحف العربية بالمشكلة البيئية كمياً، وتواضع هذا الكم كيفياً (على نحو ما سيوضح البحث لاحقاً)، ان المؤسسة الصحفية العربية لم تنظر إلى موضوع البيئة نظرة جدية، وبالتالي هي لا تقدم تغطية صحفية لمشكلات البيئة تستجيب للمتطلبات البيئية الموضوعية، وتسهم في نشر ثقافة بيئية، وخلق وعي بيئي، وذلك بالرغم من تحول موضوع البيئة إلى مشكلة راهنة تفرض اهتماماً رسمياً وشعبياً، محلياً وعالمياً.

الأنواع الصحفية المستخدمة :

تتيح القراءة المعمّقة للمعطيات الاحصائية التي يقدمها لنا الجدول رقم (٢) الوصول إلى الحقائق التالية :

١ ـ غلبة الطابع الأخباري على التغطية التي تقدمها الصحف العربية اليومية لموضوع البيئة:

من المؤكد أن المهمة المركزية للصحيفة اليومية هي تقديم الوقائع والمعلومات المتعلقة بالأحداث والظواهر والتطورات، التي تجعل القارئ مطلعاً على ما يحدث. ومن أجل تحقيق هذه الوظيفة المركزية تقوم الصحيفة اليومية بنشر مجموعة من الأنواع الصحفية ذات الطابع الأخباري أساساً (الخبر، التقرير، التحقيق، الحديث)، والتي تشكل الوقائع والمعلومات العنصر السائد فيها، بالرغم من تضمنها عناصر هامة أخرى (كالتحليل والتفسير والشرح والوصف وخاصة في التحقيق والحديث وربما التقرير)، ولكن، ومع ذلك تبقى المعلومات والوقائع هي العنصر السائد والغالب، وتبقى الوظيفة المركزية لهذه الأنواع هي الإعلام والأنباء.

تحتل الأنواع الصحفية ذات الطابع الإخباري نسبة ١ , ٨٤٪ من مجمل العدد الاجمالي للمواد التي نشرتها صحف العينة ـ موضوع الدراسة (والتي هي عبارة عن عينة تمثل الصحف العربية اليومية) ـ (ترتفع هذه النسبة في تشرين إلى ٦ , ٩٧٪، وفي السفير إلى ٧ , ٩٢٪، وتنخفض في القبس إلى ٥ , ٧٦٪، وفي الرأي إلى ٨ , ٨٦٪، وفي الجزيرة إلى ٨٨٪، وتبلغ في الأهرام ٩ , ٨٠٪).

أما من حيث المساحة، فقد خصصت هذه الصحف نسبة ٤ , ٨٥٪ من مجمل مساحة المواد التي نشرتها عن البيئة إلى الأنواع الصحفية والأخبارية (ترتفع هذه النسبة في تشرين إلى ٦ , ٩٨٪ وفي السفير إلى ٩٧٪، وفي الجزيرة إلى ٧ , ٩١٪، وتنخفض في القبس والرأي إلى ٧ , ٧٦٪، و٨٢٪، على التوالي، وتبلغ في الأهرام ٩ , ٨٠٪).

٢ ـ ضعف الطابع الفكري، التحليلي ـ التفسيري للتغطية التي تقدمها الصحف العربية اليومية لقضية البيئة:

تتضمن الوظيفة الدعائية للصحيفة تقديم مواد موجهة أساساً إلى ذهن القارئ، وتهدف أساساً إلى تعميق وعي القارئ، وتثقيفه، ورفع مستوى استيعابه وإدراكه للوقائع والأحداث والظواهر والتطورات، ومن أجل تحقيق هذه الوظيفة تستخدم الصحيفة أنواعاً صحفية معينة ذات طابع فكري ـ تحليلي ـ تفسيري (كالمقال، والتعليق. والتحليل الاخباري). تقوم هذه الأنواع باستكمال مهمة الإعلام والإخبار التي تقوم بها الأنواع الصحفية ذات الطابع الاخباري، وذلك باعتبار أن الوظائف المختلفة والمتعددة للأنواع الصحفية المختلفة والمتعددة هي وظائف متكاملة.

لم تُخصّص الصحف العربية اليومية للأنواع الصحفية ذات الطابع الفكري سوى نسبة ٥, ١٠٪ من مجمل عدد المواد التي نشرتها عن البيئة (ترتفع هذه النسبة في القبس إلى ٢٣٪ وفي الأهرام والجزيرة إلى ٨, ١١٪ و١٢٪ على التوالي، وتنخفض في تشرين إلى ٢, ٢٪ وفي السفير إلى ٤, ٢٪، وفي الرأي إلى ٤, ٣٪).

أما من حيث المساحة فلم تخصص هذه الصحف للأنواع الفكرية سوى نسبة ٧, ١٠٪ من مجمل المساحة التي حققها للمواد التي نشرتها عن البيئة (ترتفع هذه النسبة في القبس إلى ٢٣٪، وفي الأهرام إلى ١٢٪، وتبلغ في الجزيرة ٩, ٧٪، وفي السفير ٧, ٥٪، والرأي ٥, ٥٪، وتنخفض في تشرين إلى ٢, ٢٪).

أما بخصوص رسائل القراء، فباستثناء الأهرام (التي تخصص حيزاً

ثانياً في زاويتها الأسبوعية لرسائل القراء) تخلو الصحف العربية اليومية من رسائل القراء المتعلقة بشؤون البيئة (باستثناء بعض الشكاوى عن هموم فردية خدمية). وهذا يعني أن الصحف العربية تخلو من رأي المواطن في مشكلة أساسية تعنيه وتهمه وتؤثر على حياته.

وهذا ما يكرس الطابع الرسمي ـ البيروقراطي ـ المهني لتغطية المؤسسة الصحفية العربية لقضايا البيئة، ويزيد من تحييد المواطن وإبعاده عن المشاركة في مناقشة هذه القضايا. ومن المؤكد أن هذا من شأنه أن يضعف فاعلية ونفوذ وقوة تأثير هذه التغطية. يعكس التفاوت في درجة التركيز على كل من الأنواع الصحفية الاخبارية والفكرية خللاً في التغطية التي تقدمها الصحف العربية اليومية لقضية البيئة. ويعود هذا الخلل إلى مجموعة متعددة ومتداخلة من العوامل، نوجزها على النحو التالي:

- الافتقار إلى الكادر الصحفي المؤهل والمتخصص والقادر على المعالجة الصحفية المناسبة لمشكلات البيئة.
- معاناة الصحف العربية اليومية من خلل كبير في معايير اختيار الموضوعات البيئية، ويتجسد هذا الخلل في التركيز على الأحداث والمناسبات والنشاطات الرسمية والأزمات.
- ضعف، وأحياناً انعدام المتابعة الصحفية للحدث أو الظاهرة.
- سطحية المعالجة، والاكتفاء بالسرد المعلوماتي، والبعد أو العجز عن تقديم معالجة مناسبة للحدث أو القضية.
- عدم إدراك أهمية التنويع في وظائف المضمون في المادة الصحفية. لاشك أن المضمون الاخباري هام ومطلوب، ولكن هناك قضايا أخرى أيضاً هامة ومطلوبة (التثقيف والإقناع، وعرض وجهات النظر، واكساب

المهارات، والدعوة لاتخاذ موقف، والدعوة للتفكير والتفاعل والمشاركة . . . . الخ).

إن غلبة الطابع الاخباري على التغطية التي تقدمها الصحافة العربية اليومية لقضايا البيئة من شأنها أن تُرسخ طغيان الجانب المعلوماتي ـ المعرفي على الجانب الفكري ـ الثقافي الإدراكي ـ التوعوي. ولن يكون مستغرباً أن يؤدي ذلك إلى ما يلي :

١ ـ انخفاض اهتمام القارئ النوعي بالخيبة حين يدرك أن الصحافة لا تضيف جديداً إلى ما يقدمه التلفزيون والإذاعة، وربما في الليلة السابقة، خاصة وأن الموضوع البيئي موضوع واسع ومعقد ومتشابك، وأن القضايا البيئية لها طابعها العلمي، وبالتالي فإن أساليب التحليل والتفسير والحوار ضرورية، وخاصة بالنسبة لقارئ نوعي نسبياً ومتميز بدرجة أكثر من متوسطة من الاهتمام والثقافة وربما الاختصاص، إن الصحافة المقروءة هي الوسيلة الاتصالية الأنسب لتقديم معالجات صحفية تتميز بالدقة والعمق والشمولية (نسبياً طبعاً، وضمن الاطار العام للأسلوب الصحفي)، ولنشر واستخدام الأنواع الصحفية الطويلة، التي تقدم، بالإضافة إلى المعلومات، الأدلة والشواهد والبراهين ووجهات النظر، والحوار والتحليل والتفسير والمقارنات، وكل ما من شأنه أن يُعمق وعي قارئ الصحيفة، الأكثر جدية ومتابعة وخبرة وتركيزاً من مستمع الإذاعة ومشاهد التلفزيون، بموضوع البيئة، ويخلق لديه قناعات، واتجاهات، تتجسد في سلوكات عملية.

٢ ـ إن التركيز إلى درجة الاقتصار أحياناً على مجرد تقديم المعلومات (وغالباً ما تكون هذه المعلومات بسيطة ومن مصدر واحد، ومصاغة بطريقة

رسمية جامدة) مسألة قد يكون من شأنها أن تجعل القارئ يعتقد أن مسؤوليته تنحصر فقط في معرفة ماحدث (من باب العلم بالشيء فقط). ويتحول هذا القارئ بالتالي، إلى مجرد مُلاحظ لما يحدث، فهو ليس جزءاً من الظرف الاتصالي الذي توجد فيه الرسالة الإعلامية، وهو ليس مطالباً بالتفاعل أو المشاركة. ويُخشى أن تتحول المعرفة التي تقدمها له الصحافة عبر الأنواع الاخبارية إلى معرفة عميقة، وغير مجدية - ومقصودة لذاتها، وغير قادرة على أن تؤسس أو تدفع باتجاه سلوك مناسب، خاصة وأنه ثبت علمياً عدم ارتباط المعرفة بالسلوك، وأن الفرد قد تزداد معرفته من خلال التعرض لوسائل الإعلام، وان هذه المعرفة لا تؤدي بالضرورة إلى تغيير السلوك. وتسهم الصحافة بذلك بتكريس سلبية الفرد، الأمر الذي يتناقض جذرياً مع موضوع البيئة وحمايتها، الذي يتطلب أقصى قدر من فعالية وبالتالي مشاركة الفرد الواعي في مواجهة مشاكل البيئة والتصدي لها.

الموضوعات والقضايا:

حققت الصحف العربية اليومية أثناء تغطيتها لقضايا البيئة قدراً من التوازن في درجة التركيز على الموضوعات الثلاثة. فقد خصصت للمحيط الحيوي ٣,٣٥٪ من مجمل عدد المواد التي تنشرها عن البيئة فترة الدراسة، وللمحيط التقني ٣,٣٧٪ وللمحيط الاجتماعي ٢,٢٧٪. (انظر الجدول رقم ٣).

كما استطاعت أيضاً أن تحقق قدراً من التوازن في درجة التركيز على القضايا التي غطتها ضمن المجالين الحيوي (والاجتماعي إلى حد ما)، في حين أنها لم تحقق هذا التوازن في تغطية قضايا المحيط التقني.

برز محور التلوث في تغطية الصحف العربية لقضايا المقومات العربية لموضوعات المجال الحيوي، (تلوث الماء أولاً، والهواء ثانياً، والغذاء ثالثاً)، وسادت هـا المواد ذات الطابع العام (طبقة الأوزون، وتلوث مصادر ومجاري المياه، والمبيدات والأسمدة) والتي تفتقر إلى الطابع المحلي الذي يسعى إلى تحليل المشاكل البيئية الملموسة تحليلاً ملموساً يُقربها من فهم وتناول الفرد، ويقنعه بأنها تهمه وتعنيه شخصياً، وبالتالي تدفعه للمشاركة في التصدي لها وحلها. ان التركيز على ما هو بعيد، وإهمال المحلي يؤدي إلى زيادة الأحساس بالتباعد بين الجمهور والمشكلات البيئية (٦).

وبرز تأكيد الصحف على مصادر هذا التلوث أولاً، وعلى الآثار البيئية السلبية المترتبة عليه، في حين تراجع إلى المرتبة الأخيرة، الاهتمام بالسبل والحلول والطرق المطلوبة والمناسبة لمواجهة هذا التلوث.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار حقيقة أن معظم المواد تستخدم الأسلوب السردي (والذي يوحي بنوع من الحيادية)، وتعتمد غالباً على مصادر رسمية، وتخاطب غالباً جهات رسمية مسؤولة، أدركنا مدى مقدرة هذه التغطية التي تقدمها الصحف العربية لموضوع البيئة على "تحييد" المواطن، بدلاً من تحريضه، ودفعه للمشاركة

وبالرغم من كمية المواد التي نشرتها الصحف العربية عن قضايا الموارد ضمن المجال الحيوي (٩, ٢٠٪)، بشقيها. تدهور البيئة واستنزاف الموارد، فإن وحدة المشكلة عربياً، وفي ظروف البيئة العربية الهشة في المجالات الثلاثة (الحيوي والتقني والاجتماعي)، كان يتطلب أن تزيد الصحافة العربية درجة تركيزها على هذه القضايا.

إن محاور أساسية في قضيتي الموارد (تدهور البيئة واستنزاف الموارد)

لم تبرز كما يجب في هذه التغطية. التصحر على سبيل المثال مشكلة بيئية مركزية في الوطن العربي (٦٠٠ كم٢ من الأراضي الزراعية في الوطن العربي تتحول إلى صحاري كل عام، وما يخص الوطن العربي من المساحة المتصحرة على مستوى العالم يبلغ ١٣ مليون كم٢، أي ما يزيد عن ٢٨٪ من جملة المناطق الصحراوية في العالم، وتشكل الصحاري ٨٩٪ من مساحة الوطن العربي[1].

ويشكل الجفاف أيضاً مشكلة بيئية عربية متزايدة الخطورة والأهمية، كما تشكل العشوائية والمزاجية والفوضوية في استخدام موارد المياه مشكلة ثالثة تزيد من تفاقم وتعقيد المشكلتين السابقتين[2].

لم تقدم الصحف العربية لهذه المشاكل التغطية التي تناسب وزنها وأهميتها في الحياة البيئية العربية.

أما من حيث الكيف، فقد ساد أسلوب السرد، والتجريد، والتركيز على العموميات، في هذه التغطية. مرة أخرى يغيب التحليل الملموس للواقع الملموس، ويغيب هاجس البحث عن حلول واقعية وعملية وممكنة لمواجهة الخطر، ويغيب استخدام الاستمالات المناسبة للإفهام والاقناع والتأثير، من أجل خلق استجابات، وتكوين اتجاهات، قادرة على أن تدفع باتجاه سلوك سليم إزاء فهم المشاكل البيئية، والمشاركة في حلها، وحماية البيئة.

---

(١) الإعلام البيئي، مرجع سابق، ص ٥١ وانظر أيضاً العودات، مرجع سابق، ص ١١٧.

(٢) تستخدم سورية على سبيل المثال نسبة ٨٥٪ من مواردها المائية لدعم نظم اقتصادية زراعية لا تشكل أكثر من ١٥٪ من مجموع الإنتاج القومي د أنور الخطيب، ندوة البيئة والتنمية، دمشق، آذار/ مارس ١٩٩١م

احتلت القضايا المتعلقة بموضوعات المجال التقني (الصناعة، والزراعة، والصحة) المرتبة الأولى في تغطية الصحف العربية اليومية لمسألة البيئة. ويلاحظ (انظر الجدول رقم ـ٣ـ) قدر من عدم التوازن في التركيز على هذه القضايا.

تحتل القضايا البيئية المتعلقة بالعمران (السكن، والبناء، وما يترتب عليهما) المرتبة الأولى (٩ , ١٨٪) أي حوالي ستة أضعاف القضايا المخصصة للزراعة، وتسعة أضعاف القضايا المخصصة للصحة.

تناولت الصحف محاور قضية العمران والتوسع العشوائي، والضجيج، والتلوث السمعي والبصري، ولكن المحورين الأكثر بروزاً في هذا المجال هما النفايات ـ القمامة، والصرف الصحي (انظر تركيز بعض الصحف، كتشرين السورية مثلاً، في هذا المجال، على هذين المحورين. إذ لم تنشر سوى ١٩ مادة عن قضية العمران طول فترة الدراسة، ١٢ منها تناولت محور الصرف الصحي و٧ القمامة، وكذلك الرأي : ٩ مواد عن القمامة، و٢ عن الصرف الصحي).

ويوضح الباحث أن هذا الاهتمام ليس ناجماً عن سياسة مدروسة لمعالجة هذه المشاكل والبحث عن حلول ممكنة لها في هذه المرحلة، وفي تلك الأمكنة، كما أنه لا يُركز على الجذور العميقة للمشكلة، والبحث المشترك عن حلول لها، بل كان غالباً الدافع لإثارة هذه المشاكل البيئية انفجار أو تفاقم المشكلة، ومخاطبة الجهات المسؤولة للتحرك بإجراء عاجل وسريع، ليس للحل الجذري للمشكلة، بل لمواجهة الآثار السلبية الفورية والجزئية.

إن قضية القمامة لم تعد مجرد مسألة تهم الدوائر الإدارية والبلدية المسؤولة اجرائياً عن العملية التنفيذية ـ الإجرائية للجمع والترحيل، بل أصبحت إحدى القضايا الهامة في المجتمع، والمرتبطة بالاقتصاد والاجتماع والثقافة والسلوك، وبالتالي أصبح مطلوباً فهمها، ومعالجتها، وحلها على هذا المستوى ووفق هذه الرؤية. وكذلك الأمر بالنسبة لمحاور أخرى كالصرف الصحي، والتوسع العشوائي للمدن . . . . الخ.

وهذا ما لم تفعله الصحف اليومية العربية على الوجه المطلوب.

وفي مجال قضية الزراعة برز محور استخدام الأسمدة، واستخدام المبيدات. ولوحظ قدر من التهويل في مخاطر استخدام الأسمدة والمبيدات، كما لوحظ غياب المعالجة التي تُقدم البدائل.

منذ عدة عقود، والجهات الوصائية الإرشادية تسعى لإقناع الفلاح باستخدام الأسمدة والمبيدات من أجل زيادة الانتاجية وحماية المحصول. وفجأة، وعبر أقلام ليست خبيرة، ومعالجات متسرعة وغير مقنعة، يزداد الحديث عن الآثار البيئية السلبية (وخاصة الصحية)، لاستخدام الأسمدة والمبيدات، دون أن يرافق ذلك نشاط توجيهي وإرشادي للفلاحين، يوضح لهم الاستخدامات السلبية لهذه المواد. وبدأ الأمر في كثير من الأحيان وكأن المزارعين يتعمدون الخطأ المتمثل في سوء الاستخدام، الأمر الذي خلق حساسية بينهم وبين المستهلكين.

تطرح قضية التصنيع والمشكلات البيئية التي ترتبت عليه مسألتين أساسيتين ومركزيتين: الأولى نوعية التنمية المتبناة، والثانية نموذج التصنيع المُتبع.

غاب طويلاً مفهوم التنمية المتواصلة عن الساحة العربية، وسادت مفاهيم التنمية الوقتية، والسريعة، وحتى الخاطفة. التنمية المتواصلة هي التنمية غير المتناقضة مع البيئة، والتي لا تتم على حساب الاستنزاف العاصف للموارد (وخاصة غير المتجددة). ولقد قدم مؤتمر استكهولم (١٩٧٢) جواباً سليماً عن سؤال: كيف يمكن أن تتم التنمية في إطار بيئة صالحة؟.

عانت البيئة العربية كثيراً من تأخُر، وتعثُر تبني سياسات تنموية تتفق مع قوانين البيئة ولا تعاكسها.

ساد طويلاً أيضاً مفهوم أن التصنيع هو المحرك الوحيد لتحديث اقتصاديات مفككة وتابعة، ولتجاوز التخلف الذي لا يعدو كونه مجرد تأخر زمني عن الغرب المتقدم. وترتب على ذلك تبني النموذج الغربي في التصنيع رغم اختلاف السياق التاريخي، الأمر الذي أدى إلى تبديد الموارد وتدهور البيئة العربية[1].

غابت هذه المحاور عن تغطية الصحف العربية اليومية للمشكلات البيئية الناجمة عن التصنيع في الوطن العربي. إن حقيقة أن هذه الصحف خصصت نسبة ٦ , ١٢٪ من مجمل المواد التي نشرتها من البيئة للآثار البيئية للتصنيع لا تخفي حقيقة أخرى وهي أن هذه الصحف أهملت المحاور الأساسية للعلاقة ما بين البيئة والتنمية، وركزت على محاور تتعلق بالآثار الآنية والفورية (والجزئية وربما الهامشية أحياناً) للصناعات القائمة (التلوث

(١) انظر مناقشة هذا الرأي في كتاب «البيئة من أجل البقاء» للدكتور محمد سعيد الحفار، ص ١٧٧ ـ ١٨٠.

الناجم عن الصناعات التحويلية والاستخراجية وآثاره المباشرة والمرئية على المقومات الأساسية للمجال الحيوي، والموارد والماء والغذاء. وخاصة مصانع الاسمنت، ومصافي النفط ومعامل الأسمدة).

بقي هذا الاهتمام أيضاً ضمن حدود المعالجة السريعة لمسائل راهنة، بحثاً عن حلول جزئية مؤقتة تتعلق ببعض الآثار الجانبية لعملية التنمية والتصنيع.

وغابت المحاور الأساسية المتعلقة بمفهوم التنمية والتصنيع، والطاقة والبحث عن بدائل، والموارد غير المتجددة والبحث عن مصادر كما غابت المعالجات الجادة التي تسهم في إيضاح وتشخيص وحل هذه المشاكل، وبالتالي تقدم ثقافة بيئية، تسهم في خلق وعي بيئي، في الأوساط الرسمية والشعبية، ضروري وحاسم لصيانة البيئة.

أبرزت الصحف العربية اليومية أربع قضايا أساسية في المحيط الاجتماعي (التربية والإعلام، والقوانين والتشريعات البيئية، والمؤسسات والمنظمات البيئية، والمناسبات المحلية أو العالمية). وأهملت العديد من القضايا الاجتماعية التي تعتبر قضايا بيئية أساسية (كالفقر، والجوع، والمرض والأمية، والبطالة، وأنماط الاستهلاك . . . . الخ).

خصصت هذه الصحف نسبة ١٤,٢٪ من موادها البيئية لقضايا تتعلق بالتربية والإعلام البيئي، ولكن من الملاحظ أن غالبية هذه المواد تركزت على النشاطات الرسمية المتعلقة بهاتين القضيتين، ولذلك أتت على شكل تغطية إخبارية سريعة، أقرب ما تكون إلى نشاط العلاقات العامة، منها إلى الإعلام والتربية.

حدَّد مؤتمر استكهولم مفهوم التربية البيئية (عملية تكوين القيم والاتجاهات والمهارات والمدركات الضرورية لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التي تربط الإنسانْ وحضارته بالبيئة التي يحيا فيها)، وحددت اليونسكو أهداف التربية البيئية (تعزيز الوعي البيئي والاجتماعي بترابط المسائل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية في المناطق المدنية والريفية، وإتاحة الفرصة لكل شخص لاكتساب المعرفة والقيم والمواقف وروح الالتزام والمهارات الضرورية لحماية البيئة وتحسينها، وخلق أنماط جديدة من السلوك تجاه البيئة لدى الأفراد والجماعات والمجتمع ككل[1]. ودعت اليونسكو إلى ضرورة أن تسترشد التربية البيئية بمبادئ أساسية (البيئة وحدة متكاملة، التربية عملية متواصلة، النظرة الشمولية المتوازنة، النظرة المحلية والقومية والدولية وتعزيز التعاونْ الدولي، والتركيز على الحالي والمحتمل وتأكيد السياق التاريخي، والاهتمام بعامل البيئة في التنمية).

لا ترقى المواد البيئية التي نشرتها الصحف العربية ضمن قضية التربية البيئية إلى هذا المستوى من الفهم والمعالجة وذلك لأنها تفتقر إلى الفهم العميق والشامل للتربية البيئية، الأمر الذي جعلها تزدحم بمعلومات عادية بسبب ضعف الاعتماد على الخبراء المختصين ومراكز الأبحاث كمصادر أساسية للمعلومات، وضعف تقويم واختيار الصحفيين غير المؤهلين لهذه المعلومات، واللجوء أحياناً إلى أسلوب الوعظ، والتعليم، والخطابة. الأمر الذي جعلها مجرد معلومات جزئية ومتوقعة، مجهضة وضعيفة، غير قادرة على تكوين أراء واتجاهات وقيم، وبالتالي وعي، وغير قادرة على أنْ تدفع باتجاه سلوك محدد ومناسب.

(١) لمزيد من التوسع في هذا الموضوع، انظر كتاب «البيئة ومشكلاتها» تأليف رشد الحمو ومحمد صابر بني، ص ٢١٥.

تعتبر المشاركة، بمعنى توعية الفرد ليسهم في حماية البيئة، حجر الزاوية في التوعية البيئية. وتؤكد الممارسة عجز القوانين والتشريعات لوحدها عن حل مشاكل البيئة، وأن المشاركة الطوعية الفردية والجماعية شرط ضروري وفعال.

وهذه المشاركة لا تأتي من خلال الوعظ أو الخطابة أو التخويف والترهيب، بل من خلال تطوير قيم بيئية عامة ووطنية وإيجاد نوع من التوازن بين مفهوم شعبي أساسي للعلاقات الإنسانية والتفاعلات البيئية، وتوفير معلومات دقيقة وجديدة عن البيئة، وتوفير الحوافز والتدريب اللازمين لتمكين المواطنين من استيعاب المعلومات والمهارات وتعلمُها بما يساعد على حل مشاكل البيئة المتشابكة، والبحث عن التوازن بين احتياجات المدى القريب واحتمالات المدى البعيد، ودفع المجتمع إلى الاحساس بحق كل مواطن في اتخاذ القرارات بشكل أو بآخر.

لم تستخدم المواد التي نشرتها الصحف عن التربية البيئية نوعية معلومات، وأساليب معالجة، ومستويات معالجة، واستمالات، قادرة على تحقيق الأهداف المتوخاة من إسهام وسائل الاتصال في التربية البيئية.

لاشك أن وسائل الإعلام العربية (ومنها الصحف اليومية) أسهمت بقدر ملموس في توسيع دائرة الإحساس بالمشاكل البيئية، ولكن هذا لم يكن (بالتأكيد لم يعدُ) كافياً. ولذلك وحتى تستطيع الصحافة العربية أن تسهم بقدر أكبر في التوعية البيئية لابد من أن تعيد النظر بممارستها، وخاصة ما يتعلق منها بالمبالغة في تركيزها على الوظيفة الاخبارية (المعتمدة أساساً على معلومات بسيطة)، على حساب الوظائف الأخرى، كالتوعية والتثقيف، والتحليل والتفسير، بقصد تشكيل الآراء وخلق الاتجاهات

الأكثر عمقاً إزاء البيئة، ومن المؤكد أن هذه الوظائف لا يستطيع أن يحققها سوى صحافة تمتلك استراتيجية بيئية محددة، وكادراً صحفياً مؤهلاً ومختصاً، وصحافة تبني جسوراً عريضة مع الخبراء والمختصين في مجال البيئة.

ولا تعطي الصحف العربية قضية التشريعات المتعلقة بالبيئة الأهمية التي تستحقها، ولا تسهم بفعالية من أجل بلورة تشريعات عصرية ديمقراطية، عملية، وكذلك من أجل بلورة خطة قومية للبيئة تقوم على أساس فهم شامل وعميق لمسألة البيئة غالباً ما تكتفي الصحف العربية بنشر المعطيات الرسمية المتعلقة بهذا الموضوع. فهي لا تمتلك رؤية خاصة، ولا تفسح صفحاتها للخبراء والمواطنين العاديين من أجل إجراء حوار هادف إلى بلورة قوانين وتشريعات بيئية تستجيب للمشكلات البيئية بأبعادها المحلية والأقليمية والدولية.

إننا نرى أن من واجب الصحافة العربية الإسهام الفعال وخاصة في مجال الانتقال من مرحلة التشريعات المتعددة والمتنوعة في المجالات المختلفة (الصناعة، المياه، الغذاء، الثروات الوطنية، والهواء، والشواطئ والأحياء البرية والبحرية) إلى مرحلة إيجاد قانون مُوحد وشامل ومتكامل لحماية البيئة، يأخذ بعين الاعتبار أهداف ومتطلبات التنمية، ولا يتعارض مع القوانين الأخرى.

تعكس ظاهرة تشكيل منظمات وجمعيات أهلية محلية لحماية البيئة ازدياد الوعي البيئي، والرغبة في المشاركة في حماية البيئة (جمعية حماية البيئة في الكويت والجمعية الملكية للمحافظة على البيئة في الأردن، على سبيل المثال). لا تعطي الصحف العربية اهتماماً كافياً لهذه الجمعيات،

ونشاطاتها وبرامجها، وشخصياتها. هنا أيضاً تكتفي الصحف بالتغطية الاخبارية السريعة والموجزة لنشاطات وأعمال هذه الجمعيات، أما الفلسفة التي تقوم عليها هذه الجمعيات، والبرامج التي ترسمها، وحملات التثقيف والتوعية التي تقوم بها، فنادراً ما تهتم بها الصحافة العربية.

مقابل ذلك تعطي الصحافة العربية اهتماماً بالمناسبات البيئية وخاصة العالمية منها، ولكن، وبدلاً من أن تكون المناسبة (كيوم البيئة العالمي مثلاً) فرصة لمعالجة أشمل وأعمق لجوانب جديدة في مجال البيئة، نجد الصحف العربية تهتم بتغطية الجانب الإخباري الرسمي والبروتوكولي لهذه المناسبات. الأمر الذي يُحول هذه المناسبات إلى فرصة لإبراز المسؤولين والأجهزة والمؤسسات الرسمية، بدلاً من أن تكون فرصة لتعميق الوعي بمضمون المناسبة ذاتها.

وتتكرر هذه الظاهرة ذاتها بالنسبة للندوات والمؤتمرات وحلقات البحث المتعلقة بالبيئة. تغيب القضايا المطروحة للنقاش، وتغيب آراء الخبراء والمختصين وتغيب نتائج الأبحاث الهامة، وتزدحم تغطية الصحف العربية بالجانب الرسمي ـ البروتوكولي من هذه المناسبات.

يسهم هذا كله في تعذر إيجاد وعي بيئي، وفي تكريس انطباع أن قضية البيئة لا تهم الفرد، وإنما هي قضية خاصة بالجهات المسؤولة، وأن دور الفرد يقتصر على متابعة النشاط الرسمي في هذا المجال. بذلك تتم عملية تغريب الصحافة العربية عن واقعها، وتغريب المواطن العربي عن مشاكله البيئية وعن صحافته أيضاً. وتكون النتيجة معالجة سطحية وجزئية لقضايا البيئة، وتقديم معلومات بسيطة وعادية ورسمية للقارئ، تقتل لديه أي إحساس بالمشكلة، وأي دافع للمشاركة في حلها.

كاتب المادة البيئية :

تؤكد حقيقة أن الخبراء والمختصين لم يسهموا سوى بكتابة ٤ , ٢٪ من مجمل المواد التي نشرتها صحف العينة خلال فترة الدراسة (مقابل ٦٧٪ للصحفيين و٤ , ٣٠٪ للمواد الجاهزة ذات المصدر العام)، عدم وجود جسور بين الخبراء والمختصين في مجال البيئة وبين الصحافة العربية اليومية. (انظر الجدول رقم ٤).

ومن المؤكد أن هذه الحقيقة تسهم في تكريس تغطية إخبارية ـ سردية وترسيخ معالجة جزئية وسطحية ومتسرعة، وخاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار حقيقة افتقار الصحف العربية اليومية إلى كادر صحفي بيئي مؤهل ومختص.

يفرض ارتفاع المستوى الثقافي والتعليمي للقارئ، وخصوصية الموضوع البيئي العلمية المتشابكة والمعقدة، وخصوصية الصحافة المقروءة كوسيلة اتصال مناسبة للمعالجات التفصيلية والشاملة والعميقة للأحداث والظواهر والتطورات، نقول يفرض ذلك كله وجود كادر صحفي بيئي مؤهل ومختص، قادر على فهم واستيعاب ومتابعة قضايا البيئة، وتقديم التغطية المناسبة لها. وإلى أن يتوفر هذا الكادر (الذي لم يجر بعد التفكير في إيجاده) نرى من الضروري أن تتعاون الصحافة العربية مع المختصين والخبراء، والباحثين في قضايا البيئة، وجذبهم للكتابة في الصحف، والإسهام في معالجة قضايا البيئة المعقدة بالأسلوب الصحفي المناسب.

مصادر المادة البيئية :

تسعى الصحيفة المعاصرة إلى التمايز وامتلاك شخصية صحفية مستقلة بوسائل متعددة أهمها الاعتماد على كادرها الخاص لتقديم تغطية متميزة " خاصة " للظواهر والأحداث والتطورات .

لاشك أنه من الإيجابي جداً أن تغطي الكوادر الصحفية الخاصة العاملة في الصحف نسبة ٢ , ٦٨٪ من مجمل المواد التي نشرتها هذه الصحف عن البيئة . (انظر الجدول رقم ـ ٥ ـ) حتى أن هذه النسبة ترتفع في تشرين إلى ٧ , ٩٧٪ وفي الجزيرة إلى ٩٢٪ .

ويُظهر البحث أنّ ارتفاع هذه النسبة يعود إلى جملة أسباب أبرزها : غلبة الطابع المحلي على التغطية ، وضعف الوكالات المحلية ، وكثرة المواد المتعلقة بالمناسبات الرسمية ، وارتفاع نسبة الأنواع الصحفية التي يتعذر اعدادها بدونّ حضور ومتابعة شخصيتين (كالتقرير والتحقيق ، والحديث والموضوع الاخباري) .

ولكن البحث يُظهر من جهة أخرى أنّ ارتفاع نسبة مساهمة الكادر الصحفي في الحصول على المادة البيئية ومعالجتها وتقديمها ، لم تؤد دائماً إلى تقديم مادة بيئية متطورة علمياً وفنياً الأمر الذي جعل الخصوصية (المصدر الخاص) شكلية ، لا تتعدى الصياغة ، أو ذكر اسم المحرر ـ المخبر في مقدمة مادة غير خاصة بل موجودة في الصحف الأخرى كافة .

يوضح البحث أنّ ذلك يعود أساساً إلى الافتقار غالباً إلى كادر صحفي بيئي مؤهل ومختص ، وقادر على تقديم معالجات متميزة ، وإلى كون الجهات الرسمية هي غالباً المصدر الرئيس للصحفيين ، وأن الاعتبارات الرسمية هي أهم ما تحسب حسابه المعالجات السائدة .

المكانية : المحلية والاقليمية والعالمية :

يوضح البحث وجود عدم توازن في درجة التركيز على تغطية القضايا البيئية المحلية والعربية ـ الأقليمية والعالمية في الصحف العربية اليومية .

إنّ تخصيص هذه الصحف لنسبة ٥ . ٨٥٪ من موادها للقضايا المحلية (مقابل ٨ . ٢٪ للعربية و٥ . ١١٪ للدولية ـ انظر الجدول رقم ـ ٦ ـ) ظاهرة يؤكد البحث تعذر تفسيرها بنوعية اهتمام هذه الصحف بالمشاكل البيئة المحلية ، وانهماك هذه الصحف في تطبيق استراتيجية بيئية وتنفيذ برامج وخطط بيئية ، تتضمن رصد المشاكل البيئية وتشخيصها ، ومعالجتها ، وخلق موقف عام إزاءها ، ونشر وعي بيئي ، وإجراء حوار حول المشاكل البيئية .

لذلك نرى أن ارتفاع نسبة المواد المحلية يعود أساساً إلى سيادة المجانية ، والعفوية في العمل الصحفي ، ووفرة المواد المحلية ، وسهولة الحصول عليها ، وضرورة نشرها ، وإذا ما استثنينا بعض التحقيقات ، المتعلقة بمشاكل بيئية مُلحة وراهنة ، فإن المادة الإخبارية المباشرة والسريعة والرسمية (والأخبار والتقارير) والتي تغطي نشاطات تحدث في العاصمة ، هي المادة الصحفية السائدة . هذا النوع من التغطية يُفقر الموضوع البيئي ، ويحرمه من سياقه ويعزله عن علاقاته المتشابكة بالموضَوعات الأخرى ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وهذا يتنافى مع حقيقة أن أزمة البيئة تعكس جملة من الأزمات المحتدمة في مجالات أخرى من حياة المجتمع ، وأن هذه الأزمة لا تفسرها الحتمية البيئية كما يزعم البعض ، بل هي تعكس خيارات وسياسات ومفاهيم اقتصادية وثقافية وسياسية معينة ونتائج مؤتمر نيويورك تؤكد ذلك .

ثمة ارتباط بين المشاكل البيئية المحلية والأقليمية والعالمية. ولهذا فإن ثمة قدراً من التعاون بين الدول العربية يتجسد في منظمات معينة (منظمة المدن العربية، والمركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة، والمركز الأقليمي للتدريب على مصائد الأسماك)، كما ترتبط الدول العربية باتفاقيات أقليمية ودولية لحماية البيئة (شرعة برشلونة لحماية المتوسط، واتفاقية الكويت الاقليمية لحماية وتنمية البيئة البحرية والمناطق الساحلية). ويعكس هذا التعاون ويفرضه تشابك المشاكل البيئية، واتساع نطاقها، وتعذر حلها محلياً، وقد عكست هذه الروح المؤتمرات الدولية المتعلقة بالبيئة (استكهولم، البرازيل، نيويورك وغيرها).

لانجد صدى لهذه الرؤية العلمية لقضايا البيئة في الصحافة العربية. تغيب القضايا البيئية الملحة في البلدان العربية الأخرى، كما تغيب المشاكل البيئية العربية المشتركة. وتقتصر معالجة القضايا البيئية الدولية على نتَف من الأخبار المحرومة من سياقها، والمتعلقة بمشاكل كونية كارتفاع حرارة الكون، وطبقة الأوزون، وانقراض بعِض الأحياء، ومجازر قطع الغابات وتأثيرها على المناخ العالمي. . . . الخ.

تعكس هذه التغطية فقراً في فهم المشاكل، وسطحية في معالجتها، ومجانية وعفوية في اختيار وتقويم نشر المعلومات والمواد.

الصفحة ـ مكان النشر :

يغيب موضوع البيئة تماماً تقريباً (إلا نادراً نسبة ٤ ,٠٪) عن الصفحة الأولى في الصحف العربية اليومية، ويوجد بقدر محدود في الصفحة الأخيرة المخصصة للطرائف والغرائب والمنوعات، ولكنه يكثر ويحتشد

في الصفحات الداخلية، حسب النوع الصحفي، وذلك باستثناء الصحف العربية التي تخصص زاوية أسبوعية ثابتة للبيئة (الأهرام والقبس) تنشر فيها كل ما يتعلق بالبيئة من مواد وأنواع صحفية.

تعكس هذه الظاهرة أن موضوع البيئة ما زال بعيداً عن أن يحتل في الصحف العربية اليومية الأهمية التي يستحقها، والوزن الذي يحتله في الحياة الواقعية.

ما زالت صحفنا العربية تنشر معظم موادها البيئية في صفحة الأخبار والتقارير المحلية، وكأنها نشاط رسمي، وتفعل ذلك بقدر كبير من الرتابة والرسمية والعفوية والمجانية. وما زال الموضوع البيئي يظهر بشكل نادر، وعلى استحياء شديد على صفحات الصحف العربية اليومية. وحتى الصحف التي بادرت إلى تخصيص حيز ثابت للبيئة ـ شغل هذا الحيز مجرد زاوية أسبوعية محدودة (الأهرام) أو صفحة غير منتظمة (القبس). ويحدث ذلك في الوقت الذي تُخصّص فيه هذه الصحف عدة صفحات يومية للرياضة والمنوعات والأزياء والماكياج وغيرها.

استخدام المواد للصورة :

لم تنشر الصحف العربية اليومية مادة بيئية مصورة (صور فوتوغرافية ورسوم وخرائط جغرافية وطبيعية وبيئية، وجداول ومنحنيات بيانية) تسهم في إغناء المواد البيئية ـ وفي استكمال رسالتها، وفي تقوية أثرها.

غابت الخرائط بأنواعها، والرسوم والجداول نهائياً عن المادة البيئية بالرغم من ضرورتها، وأهميتها لإيضاح وتجسيد الكثير من القضايا والمواقع والآثار البيئية. ولم يعد مقبولاً في الصحافة الحديثة أنْ تقتصر عناصر

التجسيد الفني الصحفي على النصوص والعناوين والصور الفوتوغرافية فقط ـ وخاصة في المواد العلمية الدقيقة. وذلك نظراً لمقدرة هذه العناصر على تجسيد وتوضيح المضمون من وقائع معلومات وأفكار ومواقف من جهة، وتسريع وتسهيل عملية إيصال الرسالة إلى القارئ من جهة أخرى.

اقتصرت المادة البيئية المصورة في الصحف العربية اليومية على الصور الفوتوغرافية. وتتميز هذه المادة المصورة بالسمات التالية:

١ ـ لم يبرز في هذه المادة المصورة الطابع التوضيحي ـ التوثيقي ـ الاخباري للأحداث والظواهر والتطورات، بل ساد الطابع الاحتفالي ـ البروتوكولي ـ الرسمي للأحداث والمناسبات ـ ولم تستطع المادة المصورة أن تشكل إضافة للنص وتحولت، وبالتالي، إلى عبء عليه. وحتى في الصور التي تم نشرها مع التحقيقات الصحفية البيئية لم نشاهد الصورة الصحفية القادرة على نقل (أو المساهمة في نقل وتوضيح) رسالة.

٢ ـ ارتفعت نسبة الصور الفوتوغرافية الشخصية في هذه المادة المصورة (٩, ٣٤٪)، ومعظم هذه الصور لشخصيات مسؤولة عامة أو في مجال البيئة، ولم يتم التقاطها في مواقع العمل والمسؤولية، بل عبارة عن صور رسمية جامدة، خالية من أي انطباع أو حركة، ولم تنشر لهدف اتصالي، وذلك لأنها خالية من أي مضمون اتصالي، وعاجزة عن الإسهام في استكمال أية رسالة اتصالية.

٣ ـ تميزت نسبة عالية من الصور غير الشخصية بعموميتها (موضوع عن التلوث الصناعي تُنشر معه أية صورة من أية منطقة وعن أي تلوث)، ويقدمها، وفي كثير من الأحيان لا تكون هذه الصور جديدة، بل تؤخذ من أرشيف الصحيفة.

٤ ـ من الواضح أن معظم الصور تخلو من "رؤية" ومن "تصور ذاتي" للحدث أو الظاهرة. الأمر الذي يعكس عدم إحساس المصور بالحدث أو الظاهرة، وبالتالي فهو يلتقط صورته كحرفي تصوير، وليس كمصور صحفي يسهم (مع المحرر) بتغطية الحدث بالكاميرا.

وهكذا نجد أن المادة البيئية المصورة في الصحافة العربية قليلة جداً من حيث الكم، وبعيدة عن أن تكون فاعلة ومؤثرة اتصالياً من حيث الكيف. الأمر الذي يوضح أن دوافع النشر لا تعود إلى وعي وإدراك الأهمية الاتصالية للصورة، وإنما ناجمة عن الأهداف التزيينية الاخراجية والاعتبارات الرسمية الاحتفالية.

أساليب المعالجة الصحفية:

تعكس هيمنة أسلوب السرد (٧٠٪) على تغطية الصحف العربية لقضايا البيئة، التركيز الشديد على الوظيفة الاخبارية للعملية الاتصالية، التي تؤدي إلى الافراط في استخدام الأنواع الصحفية الاخبارية. (الجدول رقم ٩)

إن صحافة لا تخصص لأسلوب التحليل والتفسير سوى ١٦,٤٪ من مجمل موادها البيئية، صحافة غير قادرة على القيام بمهام التوعية والتربية والتوجيه والتثقيف، وبالتالي صحافة غير قادرة على نشر وعي بيئي يقوم على أرضية صلبة من المعلومات الدقيقة والعلمية والنوعية، وعلى تحليل وتفسير منهجين عميقين وشاملين لهذه المعلومات.

كما أن صحافة لا تخصص لأسلوب الحوار سوى ٢,٢٪ من مجمل المواد التي تنشرها عن البيئة، هي صحافة غير مهتمة بإقامة حوار موسّع بين

أصحاب الخبرة والاختصاص والمعنيين عموماً بمشكلة البيئة. يبرز الصوت الواحد الرسمي ـ البيروقراطي غالباً، وتختفي الأصوات الأخرى الأكثر غنى وخبرة وحتى الحوارات القليلة التي نشرتها صحف العينة، أجرتها مع مسؤولين عن شؤون البيئة، وخلت في أغلب الأحيان من الحوار، وتحولت إلى فرصة يتحدث فيها المسؤول عن انجازاته، وإنجازات إدارته. علاقات عامة وليس إعلاماً. أو إعلام رسمي، إعلام موظفين، ليس هاجسه معالجة وحل المشاكل، بل التحول إلى صدى لرغبات المسؤولين.

إنَ الأسلوب المستخدم في المعالجة مسألة اتصالية بالغة الأهمية، وهي ليست مسألة حرَفية شكلية، بل هي قضية فكرية أساساً ترتبط عضوياً بموضوع المادة الإَعلامية وطبيعة هذا الموضوع، والهدف من المعالجة، ونوعية الجمهور المستهدف، وكذلك نوعية الاستمالات المستخدمة لإيصال الرسالة بشكل فعّال ومؤثر.

يوضح البحث عدم إحساس الصحف العربية بهذه المتطلبات، الأمر الذي يعكس ليس فقط تواضع المستوى الفكري المتمثل في فهم القضايا والمشكلات، بل تدني المستوى الحرَفي القادر على استخدام أسلوب المعالجة المناسب، للمادة المناسبة، لتحقيقَ الهدف المناسب، في الوقت المناسب.

الشخصيات الفاعلة:

تسعى الصحيفة المعاصرة لأن تتميز في اعتمادها على شخصيات فاعلة ومؤثرة في تغطيتها الصحفية. والمقصود بالشخصية الفاعلة الشخصية صانعة الحدث، وحاملة الرأي والمعلومة ووجهة النظر، أو الشخصية التي يتم نقل وإيضاح وتفسير الحدث أو الظاهرة أو الموقف من خلالها أو على

لسانها. وهذه الشخصية الفاعلة قد تكون شخصاً طبيعياً (ورسمياً أو خبيراً أو مواطناً عادياً) وقد تكون شخصية اعتبارية (جامعة أو منظمة أو مركز أبحاث أو تقارير دراسات).

برزت في الصحف العربية اليومية ظاهرة الاعتماد على الشخصيات الرسمية، البيروقراطية (انظر الجدول رقم ـ ١٠ ـ)، ويفسر ذلك بكثافة الوجود الرسمي في الصحافة العربية وبكون معظم المصادر والمراجع والمنظمات والنشاطات البيئية في البلدان العربية ذات طابع رسمي شبه كامل.

وهكذا تغيب إلى درجة التلاشي (٤ , ٣٪) شخصية المواطن ـ الفرد المعني بالمشكلة كشخصية فاعلة في المادة البيئية في الصحافة العربية. إن هذه الصحافة لا تخاطب هذا المواطن ـ الفرد، ولا تسعى إلى توعيته وتحفيزه للمشاركة في حل المشاكل البيئية. تبدو غالبية المشكلات التي عالجتها الصحافة العربية مشكلات أوجدتها مسببات التقدم الذي أنجزته الدولة ومؤسساتها، وبالتالي فإن المادة الإعلامية البيئية تخاطب هذه الجهات الرسمية باعتبارها الجهة الوحيدة القادرة على حل هذه المشاكل. ولا وجود للمواطن ـ الفرد، سواء في عملية اتخاذ القرار أو تنفيذه.

المعلومات البسيطة التي تقدمها الصحافة العربية للمواطن ـ الفرد لا تهدف، كما أشرنا سابقاً، إلى إيجاد وعي بيئي عميق، يقوم على أساس صلب من فهم المشاكل. ولذلك فإن المطلوب من القارئ مجرد الاطلاع على ما يحدث وملاحظته. إنها المعرفة غير المجدية التي تحوّل القارئ إلى مراقب وملاحظ بدلاً من مساهم ومشارك، المعرفة التي تبقى في حدود الاطلاع والتي لا ترتبط إطلاقاً بسلوك بيئي سليم.

وتقل نسبة الاعتماد على الخبراء والمختصين ومراكز الأبحاث والدراسات والجامعات المحلية والعربية. وتكتفي هذه الصحف بنشر نتف من المعلومات المجتزأة من أبحاث وتقارير، تنقلها وكالات الأنباء العالَمية، بعد إبراز جوانب الطرافة والغرابة فيها، وتنشرها الصحف العربية في صفحاتها الأخيرة.

ليس ثمة جسور متينة ومتسعة بين الصحف العربية وبين خبراء البيئة العرب، وتزداد الصورة قتامة حين يتوحد الرسمي والخبير في شخصية واحدة، تتحدث باسم المنصب وهواجسه الرسمية، وليس باسم العلم ودوافعه الموضوعية.

إن اعتماد الصحيفة على شخصيات فاعلة ذات وزن وشأن في مجال اختصاصها، مسألة تزيد من مصداقية التغطية الصحفية، وتزيد من فعالية المادة الصحفية، ومن مقدرة الرسالة الاتصالية على الوصول والتأثير. يفضل القارئ الصحفي المعاصر أن يتواصل مع الأحداث والظواهر والتطورات من خلال الناس وعبر الشخصيات الفاعلة المختصة والمحترمة، وتؤكد الأبحاث نفور هذا القارئ من التعامل مع الأفكار النظرية والمجردة والعامة. نتمنى على صحافتنا العربية إدراك هذه الحقائق والقوانين والاسترشاد بهديها في ممارستها الصحفية.

طبيعة المادة.

تقل نسبة المواد الإعلامية البيئية التي تدور حول معالجة القضايا والظواهر والتطورات والمشاكل البيئية الجذرية والمتشابكة والمعقدة وترتفع في المقابل نسبة المواد التي تغطي الأحداث البيئية الآنية واللحظية والمؤقتة،

أو التي تغطي المناسبات والنشاطات البيئية المحلية أو العالمية (انظر الجدول رقم ـ ١١ ـ).

يوضح البحث شدة ارتباط تغطية الصحف العربية لقضايا البيئة بوقوع حدث مثير أو مناسبة هامة، أو كارثة بيئية، أو تطور ما جعل قضية ما ملحة وعاجلة، تتم التغطية بشكل عرضي ومؤقت وآني للمعطيات الراهنة للحدث. ليس ثمة متابعة، وغالباً ليس ثمة بحث عن الاسباب والظروف والآفاق المتوقعة لهذا الحدث أو لهذه القضية. تغيب التغطية التفسيرية الهادفة إلى التنقيب في الطبقات الأعمق للحدث أو القضية، والساعية إلى ممارسة دور فاعل في تشخيص وحل المشكلة وإيجاد وعي عميق بها. وتسيطر التغطية السطحية، التي هي أقرب إلى مفهوم العلاقات العامة منها إلى مفهوم الصحافة، والتي تقدم تغطية احتفالية ـ بروتوكولية ـ رسمية للحدث أو المناسبة، وبعد ذلك يسود الصمت. تغطية "بالوبية" بنتُ لحظتها. لا تسهم في حل مشاكل، ولا في إيجاد وعي بيئي.

ويعود ذلك إلى الطابع الاخباري للصحيفة اليومية، وإلى الافتقار إلى استراتيجية (أو فلسفة أو سياسة) لتغطية قضايا البيئة، تتجسد في برامج وخطط، والافتقار أيضاً إلى كادر صحفي بيئي مؤهل ومختص، قادر على نقل الاهتمام بالبيئة من دائرة المسؤولين الرسميين إلى دائرة أوسع وهي المواطن ـ الفرد، وقادر على تقديم ثقافة بيئية عبر معالجة الأحداث والقضايا والظواهر والمشاكل البيئية بقدر من الشمولية والعمق، يوضح سياقها التاريخي، ويكشف علاقتها المتشابكة بغيرها من الظواهر.

إن طغيان تغطية الآني والفوري واللحظي تغطية إخبارية مباشرة سطحية ومتعجلة، ظاهرة تجد تفسيرها في الطابع العفوي والمجاني

للممارسة الصحفية وفي الدور المنفعل لا الفاعل للممارسة الصحفية. وتكون النتيجة هشاشة وعقم هذه التغطية ـ وعجزها عن مواكبة ما يتطلبه وضع المشكلة في الواقع وكونها متخلفة عن متطلبات القارئ وإشباع حاجاته الإعلامية.

المسببات :

الظاهرة البيئية ـ كما أشرنا سابقاً ـ ظاهرة متشابكة ومعقدة ومرتبطة بغيرها من المشاكل في مجالات أخرى. وتؤكد النظرة البيئية الحديثة أن غالبية المشاكل البيئية ناجمة عن خيارات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية أكثر مما هي ناجمة عن حتمية بيئية.

تبالغ الصحف العربية في تقديم المشاكل البيئية المحلية وكأن مسبباتها تعود فقط (أو بدرجة أساسية) إلى التقدم (والتنمية عموماً، وخاصة التصنيع)، وتتراجع إلى درجة الضعف والشحوب مسببات التخلف والسياسات والخيارات غير السليمة. مع أن الثابت علمياً أن التخلف الاقتصادي والاجتماعي والتقني سبب من الاسباب الرئيسية لتدهور البيئة. (انظر الجدول رقم ـ ١٢ ـ).

وهكذا تقدم الصحافة العربية معظم المشاكل البيئية وكأنها ضريبة التطور والتقدم والتنمية في العمران والصناعة والزراعة ونمط الحياة عموماً، وهي ناجمة عن قدرية وحتمية بيئية، وليس عن الخيارات الخاطئة التي تم اتخاذها.

وبما أن الجهات الرسمية هي التي حققت هذا التقدم، وهي التي تمتلك أو تحتضن المؤسسات المعنية بالبيئة، فإنها، بالتالي الجهة الوحيدة المؤهلة والقادرة على معالجة المشاكل (سياسات التصنيع، والخيارات التكنولوجية،

وتدريب وتأهيل الكوادر) وتغيب العلاقات المتشابكة والمتداخلة مع قوى ومشاكل في مجالات أخرى (سياسية واقتصادية وثقافية)، وتختفي الرغبة في دفع الفرد للإسهام في حل هذه المشاكل .

يتم تغريب المشكلة البيئية عن واقعها الملموس ، وتُقدّم بشكل تجريدي ـ لحظي ، وتُستدعى الإرث البيروقراطي لاتخاذ القرار المناسب وحل المشاكل .

الآثار العاجلة والآجلة :

يبرز في تغطية الصحف العربية لقضايا البيئة تركيزها على الآثار الفورية والملحة والعاجلة للمشكلة المعالجة . وتضعف كثيراً درجة التركيز على الآثار الآجلة وذات المدى البعيد، وتشكل نسبة جيدة المعالجات التي تقيم نوعاً من التوازن بين الآثار الآجلة والعاجلة (انظر الجدول رقم ـ ١٣ ـ) .

أشرنا سابقاً إلى أن معالجة المشاكل البيئية في الصحافة العربية لا تتم وفق سياسة (أو فلسفة متكاملة) تتحقق عبر خطط وبرامج ، بل تتم ، غالباً ، بشكل عفوي ومجاني تتحكم به معطيات اللحظة ، وحرارة وضغط ما هو مُلّح وفاقع ، حتى لو لم يكن أساسياً وجوهرياً . وبالتالي غالباً ما تكون المشاكل المطروحة ليست هي المشاكل الجذرية والأساسية والهامة . يتم التركيز أحياناً على قضية واحدة ، الصرف الصحي في مدينة أو قرية ما ، مقلب القمامة في مدينة أو مجموعة قرى ، غبار معمل اسمنت معين في منطقة معينة ، وغالباً ما يتم التركيز ليس على الآثار العميقة والبعيدة المدى للمشاكل الجذرية الأساسية ، بل على الآثار الجزئية والفورية لمشاكل وقضايا جزئية .

يخفي هذا سطحية المعالجة، وهامشية الدور الذي تلعبه الصحافة في تشخيص المشاكل البيئية ومعالجتها، وفي اتخاذ القرار المناسب بصدد حلها، طبعاً نرجو ألا يُفهم من ذلك تحويل المادة الإعلامية إلى بحث أو محاضرة، بل الدعوة إلى تقديم نتاج صحفي يتضمن رسالة اتصالية فاعلة ومؤثرة، تسهم في تبسيط (وليس تسطيح) القضايا والمفاهيم البيئية، وفي التركيز على الآثار الهامة والآجلة للمشاكل البيئية ومسبباتها، من أجل خلق وعي شعبي شامل وعميق، بهذه المشاكل، ومن أجل تحفيز كافة القوى لحل هذه المشاكل.

زاوية النظر للمشكلة :

إن المعالجة الصحفية المنهجية هي تلك المعالجة التي تهتم برؤية (أو الظاهرة أو الحدث) من زاوية نظر محددة قادرة على رؤية الأبعاد المختلفة للظاهرة، وعلى إقامة نوع من التوازن بين هذه الأبعاد، وعلى إبراز البعد الهام موضوعياً، وليس رسمياً أو دعائياً أو مرحلياً.

تعطي الصحافة العربية اهتماماً خاصاً في زاوية نظرها للمشاكل البيئية إلى البعد الاجتماعي ـ الاقتصادي ـ الصحي لهذه المشاكل (أي الآثار المادية والاقتصادية والاجتماعية مثل اتلاف الموارد والتلوث البيولوجي والكيميائي واضطرابات الطبيعة)، وتُهمل البعدين، الجغرافي (المحلية والاقليمية والعالمية) والزمني (الآثار الفورية والبعيدة المدى، والمختلطة) مع تركيز محدد على الآثار المادية للمشاكل المعالجة. (انظر الجدول رقم ـ ١٤ ـ)

يعود ضعف التركيز على البعد الجغرافي إلى الغرق في المشاكل الجزئية والمحلية، والنظرة الجزئية للحدث وعزله عن الظاهرة، أو عزل الظاهرة

عن سياقها التاريخي وعن ارتباطاتها بالظواهر الأخرى. كما يُفسّر هذا الضعف بعدم اتساع الرؤية البيئية لتشمل البعدين الإقليمي والكوني للمشاكل البيئية، وعدم إدراك حقيقة أن المشاكل البيئية ذات طابع عام، شامل ومتسع ومعقد، وأن عزلة منطقة ما، أو بلد ما، أو أقليم ما، باتت مسألة مستحيلة.

أما ضعف البعد الزمني في المعالجة فيعود إلى الافتقار إلى فهم عميق لتاريخ المشكلة وآفاق تطورها المستقبلية. تركز الصحافة العربية على اللحظة الراهنة التي يعيشها الحدث أو الظاهرة، متناسية أن لكل حدث أو ظاهرة حياة كاملة تتضمن ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

الاستنتاجات العامة :

أظهر التحليل الكمي والكيفي للمعطيات الاحصائية النتائج التالية :

١ ـ تفتقر المؤسسة الصحفية العربية اليومية في تغطيتها لقضايا البيئة إلى استراتيجية واضحة ومتماسكة ومتكاملة، تنطلق منها، لرسم سياسات، ووضع خطط، لمعالجة قضايا البيئة. وقد أدى غياب هذه الاستراتيجية إلى الافتقار إلى المنهجية الواضحة في التصدي للمشاكل البيئية، الأمر الذي أدى إلى سيادة العفوية والانتقائية والارتجالية في معالجة هذه المشاكل. ومن المؤكد أن ممارسة، هذه مواصفاتها لن تكون قادرة على الاستجابة للوظائف والمهام المطلوبة منها في مجال نشر التوعية البيئية، وخلق الوعي البيئي، كشرط ضروري في إطار السياق العام لمواجهة المشاكل البيئية.

٢ ـ تسيطر الوظيفة الاخبارية على التغطية التي تقدمها المؤسسة الصحفية

العربية اليومية لموضوع البيئة، وتطغى هذه الوظيفة على جميع الوظائف الأخرى، وخاصة الوظيفة التثقيفية. ونظراً لخصائص التغطية الإخبارية التي تقدمها هذه الصحف، المتمثلة أساساً في تقديم معلومات بسيطة وجزئية ومتيسرة، وفي عدم المتابعة المنهجية للسياق العام للحدث، وفي عدم تقديم التفسير والتحليل الضروريين للأحداث والظواهر والتطورات، فإن هذه التغطية تكون قاصرة عن تقديم رسالة إعلامية قادرة على تكوين نسق معرفي وفكري وقيمي يؤدي إلى تكوين اتجاهات، وترسيخ وعي، والدفع باتجاه سلوك معين، إزاء المشاكل البيئية. وبدلاً من ذلك تُقدم هذه الصحف كمية من المعلومات المشتتة، ذات الطابع العرضي والعفوي، والتي تهتم باللحظي والراهن والمؤقت، الأمر الذي يجعلها غير قادرة على وضع القارئ في موضع المشاركة، بل تثبته في مواقع المراقبة السلبية لما يحدث.

يتعمق الأثر السلبي لهذه الظاهرة إذا ما أدركنا حقيقة أن المؤسسة الصحفية العربية نادراً ما تُوجّه خطابها إلى الفرد أو المجموعة (وغالباً ما تخاطب الجهات والمراجع الرسمية)، ونادراً أيضاً ما تفسح مجالاً لنشر آراء وردود فعل الأفراد والمجموعات (باستثناء صحيفة الأهرام)، بل تهتم أساساً بآراء ومواقف واستجابات الدوائر والشخصيات الرسمية.

٣- تفتقر المؤسسات الصحفية العربية على وجه العموم إلى الكادر الصحفي البيئي المؤهل والمختص، والقادر على تقديم تغطية صحفية لقضايا البيئة، تستجيب لطبيعة وأهمية ومدى تشابك وتعقيد هذه القضايا من جهة، وتشبع الحاجات الإعلامية المتزايدة والمتنوعة لجمهور متعلم ومثقف ومتزايد الاهتمام بمشاكل البيئة، وتستخدم فناً صحفياً مناسباً ومتطوراً

قادراً على إيصال الرسالة المطلوبة للجمهور المستهدف بالشكل المناسب، وبالطريقة المناسبة، وفي المكان والزمان المناسبين.

٤ ـ ليس ثمة تنسيق وتعاون بين العلماء والخبراء والاختصاصيين البيئيين وبين المؤسسة الصحفية العربية. أدى ذلك إلى هيمنة الكادر الصحفي غير المختص وغير المؤهل على تحرير المواد البيئية، وإلى ضعف الاعتماد على الخبراء والمختصين ومراكز الأبحاث كمصادر أو كشخصيات فاعلة في المادة الصحفية البيئية، وإلى ندرة إسهام هؤلاء الخبراء في الكتابة في هذه الصحف، الأمر الذي أدى إلى حرمان المؤسسة الصحفية العربية من رافد يمكن أن يسهم في تقديم تغطية غنية تتمتع بقدر من المصداقية والفعالية، تجعلها قادرة على الوصول والتأثير.

٥ ـ لا تستخدم المؤسسة الصحفية العربية عناصر التجسيد الفني الصحفي استخداماً متكاملاً وفعالاً في عرض وتقديم وإخراج مادتها الصحفية البيئية. الأمر الذي يُضعف من جاذبية هذه المواد، وبالتالي من مقدرتها على الوصول إلى المتلقي والتأثير عليه.

٦ـ لا تستفيد المؤسسة الصحفية العربية من خصوصية الصحافة المقروءة المتمثلة في مقدرتها على تقديم مادة غنية، ذات طابع تفسيري وتحليلي، يعتمد مفهوم السياق في التغطية الصحفية، وبدلاً من ذلك ما زالت الصحف العربية تركز اهتمامها على تقديم مادة إخبارية مفككة ومشتتة ومتسرعة، مكررة في كثير من الأحيان المادة الإخبارية السريعة والموجزة التي كانت الإذاعة والتلفزيون قد قدماها في الليلة السابقة.

٧ـ لا تستخدم المؤسسة الصحفية العربية الأنواع الصحفية المختلفة استخداماً واعياً على أسس المعرفة الصحفية بنظرية الأنواع الصحفية، وخصائص

كل نوع من هذه الأنواع، والوظائف والمهام القادر على انجازها كل نوع من هذه الأنواع الصحيفة. ليس ثمة حرَفية صحفية كافية لاستخدام النوع الصحفي المناسب، لمعالجة الموضوع المناسب، ومن أجل الوصول إلى القارئ المناسب، بغاية تحقيق التأثير المطلوب.

٨ـ لا تحقق المؤسسة الصحفية العربية التوازن الضروري في درجة تركيزها على الموضوعات والقضايا والمحاور البيئية، بشكل يتناسب مع وزن وحجم هذه الموضوعات والقضايا والمحاور في الواقع الموضوعي. تسود العفوية والارتجالية والمزاجية في إبراز القضايا والموضوعات والاهتمام بها. تغيب الكثير من القضايا والموضوعات الهامة والناضجة، ويبرز، وبشكل يتكرر وبرتابة قاتله، طرح القضايا والمحاور الأقل أهمية ونضجاً.

٩ـ تبرز المؤسسة الصحفية العربية الأحداث الراهنة، وعلى حساب الظواهر والقضايا، كما تبرز المسببات الناجمة عن التقدم، والآثار الفورية العاجلة، والبعد الاجتماعي، الاقتصادي للأحداث

١٠ـ تهتم المؤسسة الصحفية العربية بالقضايا البيئية المحلية، وتهمل بشكل لافت المشاكل البيئية العربية والدولية

١١ـ بالرغم من تخصيص بعض الصحف اليومية العربية لزوايا أو صفحات أسبوعية للبيئة، وبالرغم من أن موضوع البيئة أصبح واحداً من الموضوعات التي تزداد بروزاً على قائمة اهتمامات الصحف العربية، فإن المؤسسة الصحفية العربية ما زالت بعيدة عن الاهتمام بالبيئة بقدر يعكس أهمية وخطورة الموضوع في الواقع، ويجسد الاهتمام الرسمي والشعبي به. يوضح البحث أن المؤسسة الصحفية العربية تقدم مادة

صحفية بيئية قليلة جداً كمياً، وتخصص على صفحاتها مساحة متواضعة جداً ومحدودة جداً للمواد البيئية، كما أن نوعية هذه المادة ما زالت بالرغم من تطورها في السنوات القليلة الماضية، بحاجة إلى المزيد من التطور لتصبح قادرة على مواكبة المشاكل البيئية، وتشخيصها ودراستها.

١٢ ـ يهيمن الطابع الرسمي على التغطية التي تقدمها المؤسسة الصحفية العربية لموضوع البيئة، وذلك عبر المراحل ـ اللحظات المختلفة لعملية إيداع النتاج الصحفي، أي ابتداء من اختيار الموضوعات وانتهاء بطريقة تقديمها، ونوعية الوقائع والمعلومات، وأسلوب المعالجة، والمصادر الشخصيات الفاعلة، ومعايير الاختيار والنشر.

الاقتراحات :

يتمثل أحد أهم مظاهر تخلف الممارسة الصحفية العربية في عدم اعتماد هذه الممارسة على الأبحاث والدراسات الميدانية التي تعتمد تحليل مضمون الخطاب الإعلامي ودراسة جمهوره، من أجل التعرف على طبيعة الرسالة الإعلامية وموقف الجمهور منها وبالتالي تقويم الممارسة.

ولم تشعر المؤسسة الصحفية العربية بَعد، بالحاجة إلى البحث العلمي الهادف إلى دراسة ممارستها، واستخلاص النتائج الكفيلة بوضع هذه الممارسة على أسس علمية ومنهجية.

وما زالت المؤسسة الصحفية العربية عازفة ليس فقط عن إجراء أبحاث تدرس ممارستها وخطابها، بل وعن مجرد الاطلاع علي نتائج الأبحاث الإعلامية الميدانية الجادة، التي تجري غالباً في الجامعات العربية على شكل

رسائل علمية أكاديمية، على مستوى الماجستير أو الدكتوراة.

وفي ضوء ذلك ما هي نوعية الاقتراحات التي يجرؤ الباحث على تقديمها؟!.

يقيناً ان المظاهر السلبية التي أظهر البحث وجودها في التغطية التي تقدمها المؤسسة الصحفية العربية لقضايا البيئة، ليست مجرد أخطاء فردية، أو جزئية، أو سلوكية، أو إجرائية - بل هي أوجه قصور بنيوية، لنهج في الممارسة يتميز بالعفوية والمزاجية. مطلوب استبداله بنهج مختلف نوعياً، يتميز باعتماد استراتيجية متكاملة ومدروسة، ومنطلقات ثابتة، كما يعتمد البحث العلمي سبيلاً للتحليل الملموس للواقع الملموس

لا يزعم هذا البحث أن النتائج التي توصل إليها تُقدم القول الفصل في هذا المجال، ولكنه يزعم أن هذه النتائج كشفت بطريقة علمية ومنهجية أوجه الخلل في الممارسة الصحفية، وأنها بالتالي جديرة بأن تخضع للتحليل والمناقشة.

ثمة عوامل ذاتية للواقع الراهن للممارسة الصحفية العربية، ولكن العوامل الموضوعية هي التي تلعب الدور الحاسم والمحدد في تحديد منهج هذه الممارسة.

ولذلك فإننا نميل إلى الاعتقاد أن دعوة هذه المؤسسة لدراسة نتائج هذا البحث، ومناقشتها، وتحليلها، والأخذ بما تراه مناسباً منها، نوع من الوهم أو أحلام اليقظة. ليس سراً أن هذه المؤسسة لا تأخذ مشروعيتها من مستوى ممارستها، أو من موقف جمهورها، بل من مصادر وجهات وصائية رسمية. لذلك فإن هذه المؤسسة لا تتطلع في الغالب صوب الواقع الموضوعي، أو

باتجاه الجمهور، بل غالباً تتطلع باتجاه الجهة الوصائية، التي تمتلك، وتوجه، وتحدد النهج والمسار.

لن ننزلق باتجاه تقديم مقترحات تُكرس مناخ الوعظ والانفعال والخطابية، أو بأتجاه تقديم مقترحات ذات صياغة جيدة، ولكنها غير واقعية وغيرعملية.

نعتقد أن الخطوة الأولى لاستبدال النهج العفوي السائد بنهج علمي متماسك هي الدعوة إلى ندوة دراسية على مستوى الوطن العربي، يحضرها خبراء من مختلف المجالات والاختصاص (اعلام، ثقافة، تربية، اجتماع، بيئة، اقتصاد، سياسة، تنمية . . . . الخ).

تكون مهمتها الأساسية وضع الأسس العامة لاستراتيجية متكاملة للتغطية الصحفية العربية لقضايا البيئة، تكفل رفع مستوى أداء هذه الصحافة، وتمكنها من الإسهام الفعال في تحقيق الأمن البيئي العربي.

وإلى أن يحدث ذلك، فإننا نتمنى على المؤسسة الصحفية العربية إنجاز مهمتين عاجلتين وملحتين وممكنتين، ومن شأن إنجازهما التخفيف من حدة الجوانب السلبية لتغطية قضايا البيئة، المهمة الأولى : هي العمل الفوري على إقامة تعاون وتنسيق عميقين ودائمين ومبرمجين مع الخبراء والمختصين في مجال البيئة.

والمهمة الثانية، هي التطبيق الفوري لأفكار ومشاريع تأهيل كادر صحفي بيئي، والاستفادة من تجارب وخبرات عربية وعالمية رائدة في هذا المجال.

المراجـــــع

١ ـ د. أبو شقرا، غازي. البيئة والتراث. بيروت ١٩٩٤م.

٢ـ توماس، أميل. البيئة وأثرها على الحياة السكانية، ت: زكريا البرادعي. القاهرة ١٩٧٢م.

٣ـ د. جرار، عادل. البيئة والموارد الطبيعية. عمان ١٩٩٢م.

٤ ـ د. الحفار، محمد سعيد. بيئة من أجل البقاء. قطر، دار الثقافة ١٩٩٠م.

٥ ـ الحمو، رشيد وآخرون. البيئة ومشكلاتها. الكويت، عالم المعرفة ١٩٧٩م.

٦ـ السكري، علي. البيئة من منظور إسلامي، مصر ـ الإسكندرية ١٩٩٥م.

٧ـ سيمونز، ايان ج. البيئة والإنسان عبر العصور الكويت، عالم المعرفة ١٩٩٧م.

٨ ـ صباغ، مروان يوسف. البيئة وحقوق الإنسان. بيروت ١٩٩٢م.

٩ ـ د. العودات، محمد. مشكلات البيئة. دمشق ١٩٩٥م

١٠ ـ د. غلاب، محمد السيد. البيئة والمجتمع، القاهرة ١٩٩٦م

١١ ـ مستجير، أحمد. البيئة وقضاياها.

١٢ ـ د. موسى، علي. البيئة والتلوث. دمشق، جامعة دمشق ١٩٨٨م

١٣ ـ نجم، حسين وآخرون. البيئة والإنسان. الكويت، وكالة المطبوعات ١٩٨٤م.

١٤ ـ مجموعة من المؤلفين . الإعلام وقضايا البيئة في مصر والعالم العربي ، القاهرة ، كلية الإعلام ١٩٩٢م .

١٥ ـ منشورات الاليكسو (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) .

١٦ ـ التربية البيئية في مناهج التعليم العام بالوطن العربي ، تونس ١٩٨٧م .

١٧ ـ الإعلام البيئي ـ تونس بدون تاريخ .

أثر التباين الثقافي في التفاوض

د. مصطفى أسعد عالم(*)

الكتابة عن التفاوض من منظور الهوية الوطنية يعني التعرض لكثير من العوامل الثقافية التي تمثل نمط وطبيعة الحياة في المجال الاجتماعي وكذلك العملي. وكذلك معرفة تأثير هذه العوامل الثقافية على الحياة المغايرة لذلك المجتمع الذي ينتمي اليه شخص المفاوض أو وفد التفاوض. وهذا ممكن عن طريق عقد مقارنات حول المفاهيم الثقافية الأساسية.

هذه الدراسة تحاول التعرف على أثر الأختلاف الثقافي على العملية التفاوضية، عن طريق توضيح العلاقة بين السلوك الاتصالي المواجهي اللفظي فيه وغير اللفظي والتفاعل الذي يحدث بين المفاوضين. وقد تبين مدى العلاقة القوية بين الاتصال المواجهي والثقافة. وبما أن التفاوض ماهو الا عملية تفاعل اتصالية فقد اتضح وجود علاقة قوية بين الثقافة والتفاوض على النحو التالي:

(١) الأختلاف الثقافي يؤثر على طبيعة ومحتوى الاتصال اللفظي المباشر من حيث اللغة المستخدمة وطريقة التعبير ونوعية الكلمات المستخدمة.

(*) أستاذ الاتصال الإنساني المساعد، معهد الدراسات الدبلوماسية، وزارة الخارجية، المملكة العربية السعودية

فوضوح الاسلوب يعتبر أحد أهم المؤثرات على سير الحوار. كذلك الاهتمام بالمشاعر وعدم جرحها أو ايذائها عن طريق استخدام الوعيد والوعود.

(٢) الأختلاف الثقافي يؤثر على طبيعة ومحتوى الاتصال غير اللفظي في نواحي عديدة منها المظهر الشخصي، نبرات الصوت، تعابير الوجه والعينين، اوضاع الجسد والاشارات والتي تعطي في الغالب معنى تأكيدي أو تعارضي أو تعديلي أو متمم للرسالة اللفظية. وقدمت اقتراحات للشخص المفاوض بالتدرب على أسس الاتصال المواجهي واللفظي وغير اللفظي ومعرفة الاختلافات الثقافية المتعلقة بهذين النمطين من الاتصال الإنساني.

تمهيـــــد

أصبح التفاوض أمراً ملازماً للإنسان في جميع حياته . فهو يصاحب مواقفه اليومية سواء في المنزل مع أسرته أو في الشارع في شرائه وبيعه وتلبية متطلبات حياته وتفاعله مع أصدقائه أو في العمل مع رئيسه وزملائه كما قد تتخذ ممارسة التفاوض شكلاً رسمياً عندما يكون جزءاً من مسؤليات العمل ، كأن يكون عضواً في فريق تفاوضي على المستوى الحكومي أو مجال الأعمال . هذا يجعلنا نقول ان العالم بأسره أصبح يمارس عملية التفاوض أفراداً وجماعات ومؤسسات وحكومات .

وبما أن المجتمع الدولي قد وصل إلى درجة من النضج فقد أصبح تحكيم العقل هو السمة الغالبة لحل المشاكل عوضاً عن اللجوء إلى القوة العسكرية . وقد ذكر هذا في ميثاق الأمم المتحدة المادة ٢/ ٢/ ٤ «يفض جميع أعضاء الهيئة منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يجعل السلم والأمن والعدل الدولي عرضة للخطر . كما يمتنع أعضاء الهيئة جميعاً في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضي والاستقلال السياسي لأية دولة أو على وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة « (أبو هيف، ١٩٧٥ ، ص ٩٢٥).

ومن خلال الوضع العالمي الجديد، وجدت فرص اكبر للتعاون والإتصال بين دول العالم . فأصبحت المفاوضات أداة من أهم أدوات الدبلوماسية الحديثة ليس فقط لحل المنازعات والمشاكل ولكن أيضاً لخلق جو من التعاون وتحقيق المصالح المشتركة . وفي هذا يذكر (Nicolson, 1964) «أن الدبلوماسية المعاصرة هي إدارة العلاقات الدولية بالتفاوض» . وبهذا اصبحت هناك حركة شخصية كبيرة ونما عدد من الهيئات والمنظمات المتعددة

الجنسيات، وأصبح هناك إتصال أكبر بين هذه المنظمات ذات الهوية الثقافية المختلفة. ومع اختلاف الثقافات قد تنشأ انواع من الصراع لاختلاف المصالح والأهداف من ناحية ولاختلاف السلوك الاتصالي من ناحية أخرى. من هنا برزت فكرة التفاوض بشكل يأحذ الاختـلافات الثقافية بعين الاعتبار لحـل الخلافات والتعامل معها. يقول (Berman, & Zartman,1982) «الثقافة فعلا تؤثر على الادراكات الحسية والفرضيات للمفاوضين كما تقود الاختلافات الثقافية لدى الاشخاص الى فرضيات مختلفة للموقف قيد النقاش وقد يكون من الأهمية جعل هذه الاختلافات ظاهرة.

التفاوض كعلم وفن له ارتباط مع العلوم الأخرى وخصوصاً علم الاجتماع وعلم النفس والاتصال. والإنسان هو أهم عنصر في عملية التفاوض. ولكي يكون مفاوضاً ناجحاً عليه ان يفهم الطريقة التي يفكر بها الطرف الآخر وهذا بدوره يمكنه من فهم سلوكه ويزوده بخيارات واعية للتصرف بطرق تضمن له نتيجة أفضل.

وبما أن عملية التفاوض ماهي إلا اتصال مباشر بين طرفي الموقف التفاوضي، فان فهم السلوك الاتصالي يساعد على بلوغ هدف التفاوض. يذكر (Brown, & Fisher, 1991) . ان طرفي التفاوض قد يقفان عاجزين ما لم يفهم كل منهما الآخر وكلما كان هناك تفاهم، كانت هناك فرصة في إيجاد حل مقبول. في الاتصال أثناء التفاوض تستخدم جميع عناصر الاتصال الموجهي المباشر من محادثة شفهية واصغاء واستجابة ومشاهدة مباشرة لاشكال الاتصال غير الفظي التي تعطي دلالات وتفسيرات فورية عن حالة الطرف الآخر النفسية والسلوكية بالاضافة الى ايضاح المعنى الحقيقي للرسالة المنطوقة.

والاتصال هو عبارة عن خطوات أو مراحل، وجزء من هذه المراحل يتضمن فهم تأثير الاختلاف الثقافي على طريقة اتصال الأفراد مع بعضهم البعض. وهذا يتضمن أن كلا طرفي الاتصال يتأثر بطريقته بثقافته التي نشأ وتربى فيها. وربما يتعامل الانسان مع افراد من مجتمعه ويفهمهم ولكن الأفراد من ثقافات ومجتمعات مختلفة قد يفكرون بطريقة متباينة ويتجاوبون مع الرموز اللفظية أو غير الفظية بطريقة مغايرة نظراً لعدم وجود خبرات وعادات مشتركة خاصة بأنماط الاتصال ومن ثم كلما اتسع مجال القيم والرؤى المشتركة بين طرفي الاتصال قلت الاختلافات بينهما وأصبح من السهل عليهما إيجاد ركيزة يرتضيانها أساساً للتعامل (Brown, & Fisher, 1991).

كما تذكر سامية جابر «ان استجابات الاشخاص تجاه المنبهات المثارة في المواقف الاتصالية ليست استجابات آلية أاوتوماتيكية، ولكنها تعتمد على مجموعة عوامل متصلة بالثقافة والشخصية، وهي العوامل التي يخلعها كل شخص مستجيب على الموقف الاتصالي» (جابر، ١٩٩٠، ص ٤٥).

والاتصال الذي يتم خلال التفاوض هو في جوهره اتصال بين شخصي مباشر بين أطراف التفاوض يستخدم فيه الاتصال اللفظي الشفهي وغير اللفظي المتمثل في كافة مايصدر من حركات غير لفظية تتضمن معنى معيناً

وفي هذه الدراسة سوف توضح العلاقة بين السلوك الاتصالي المباشر محدداً بالاتصال اللفظي الشفهي والاتصال غير اللفظي والعملية التفاوضية في ضوء الاختلاف الثقافي وللوصول الى هذا الهدف سوف يقوم الباحث بتحليل الموضوع من خلال النقاط التالية·

١ ـ العلاقة بين الثقافة والاتصال.

٢ ـ أثر الاختلاف الثقافي على العملية التفاوضية.

٣ ـ أثر اختلاف الثقافة على الاتصال المواجهي المباشر والتفاوض.

اولاً: الاتصال اللفظي

ثانياً: الاتصال غير اللفظي

٤ ـ حصاد الدراسة.

١ ـ العلاقة بين الثقافة والاتصال

يختلف المفهوم الدلالي للهوية الثقافية لمجتمعات البشر. وعليه فقد اختلف الدارسون حول تعريف محدد للثقافة الإنسانية. وقد أظهرت الأطوار التاريخية لحياة البشر، على اختلاف جنسياتهم ومواقعهم، أنماطاً مختلفة للثقافة تتناسب مع ظروف الزمان والمكان وقدرات الأفراد الذاتية وسلوكهم السائد. إذ قد يشير مصطلح الثقافة إلي مجموعة من الأفراد يعيشون في منطقة محددة، لهم عاداتهم وتقاليدهم الخاصة. كما قد تعني الاختلاف الطبقي بين أفراد المجتمع المبنية على عوامل اقتصادية أو اجتماعية لمجتمع ما. إلا أن مفهوم الثقافة كما ورد في كثير من التعاريف والتي قد تزيد على ١٥٠ تعريفاً يتضمن أيضا القيم وأنماط السلوك والأنشطة المختلفة، والعادات والتقاليد والأعراف وأيضاً أنماط الاتصال المتعارف عليها داخل المجتمع ككل أو لمجموعة من الأفراد في ذات المجتمع. (الرميحي، ١٩٨٣)

وقد تناولت مختلف العلوم الإنسانية موضوع الثقافة من الزاوية التي تخصها وتخدم غرضها. ومن أهم هذه العلوم التي تعرضت لمفهوم الثقافة بشكل موسع هو علم الاجتماع. وقد عرّف علماء الاجتماع الثقافة على

أنها كل ما يستجد وينتجه أفراد المجتمع لأنفسهم ويمثل التراث الاجتماعي ونمط الحياة لهم. والفكرة الاساسية لعلماء الاجتماع حول الثقافة هي أن المجتمعات البشرية على تنوعها في الوقت الحاضر، أصلها واحد ومنشأها واحد هو نبي الله آدم وزوجه حواء. ثم بعد تكاثر البشر انتشروا في شتى بقاع الأرض وأصبح لكل مجموعة أو شعب خصوصياته المتعلقة بأنماط الحياة والسلوك. وأيضاً اختلفت اللغات التي ابتدعوها وتعارفوا عليها وكان ذلك بهدف التكيف مع الظروف المحيطة بهم سواء كانت بيئية أو اجتماعية ومع تطور الحياة البشرية وعبر الحقب التاريخية المتعاقبة، اتسعت دائرة التعامل من محدودية التعامل الفردي في داخل المجتمع إلى تعامل بين الشعوب وأوجدت الحكومات والدول الحدود السياسية التي فصلت بين هذه الشعوب ومن هنا برزت خصائص وسمات لكل شعب حددت شخصيته وهويته عن بقية الشعوب.

وفي التراث العربي استخدم مصطلح الثقافة للإشارة إلى معان متعددة ومختلفة. فقد تعني الثقافة في المفهوم العربي التقويم والتهذيب. كما قد تعني الحذق والفطنة أو التمكن والغلبة. والشعوب الأوروبية استخدمت مصطلح الثقافة في الشؤون الزراعية والذي يتضح في تركيب مفردة الزراعة اللاتيني (Agriculture) والذي يعني تهذيب الأرض وزراعتها واستخدام المصطلح كذلك في الأمور الدينية، فهو يعني تهذيب الروح، التهذيب الرباني الناتج عن عبادة الله عز وجل. (عويس، ١٩٧٩، ص ١٥).

وبالإمكان اعتبار تعريف كروبير وكلايد كلكهوهن تعريفاً مناسباً وجامعاً لمفهوم الثقافة. حيث انهما استعرضا أكثر من مائه وستين تعريفاً ومخلصا إلى أن الثقافة ذات مضمون تاريخي أي تراكمية عبر الزمن.

تشمل الأنماط والأفكار والقيم، ولها صفة الاختيار والانتماء، كما أنها مكتسبة وتجريد للسلوك الإنساني، بمعنى أنها نتيجة للسلوك وليست السلوك نفسه. (إسماعيل، ١٩٨٢، ص ١٢٢). وقد فسرت وثائق إعلان مكسيكو بشأن الثقافة سنة ١٩٨٢ مفهوم الثقافة على أنها هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته وهي التي تجعل منه كائناً يتميز بالإنسانية المتمثلة في العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي وعن طريقها نهتدي إلى القيم ونمارس الاختيار وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه والتعرف على ذاته (الرميحي، ١٩٨٣، ص ٤٥). ولو قارنا بين المفهوم المعاصر للثقافة الذي أورده مختلف الباحثين مع الإسهامات المبكرة منذ أوائل القرن العشرين، لوجدنا تطابقاً كبيراً في معنى المصطلح. فقد أورد تيلور مفهوم الثقافة كمركب يضم العادات والتقاليد والأعراف و المعتقدات بالإضافة إلى النواحي الفنية والأخلاقية وكل معلومة أو مهارة يستطيع الإنسان أن يكتسبها من مجتمعه الذي يعيش فيه (Tylor, 1913) .

كما ركز (Boas, 1930) على السلوك في إظهار معنى الثقافة. فمن وجهة نظره، الثقافة تمثل مظاهر العادات الاجتماعية في الجماعة وكل ردود أفعال الفرد الذي يتأثر بهذه العادات من خلال المجموعة التي يعيش فيها. وعزز هذه الفكرة (Linton, 1936) الذي أكد على السلوك الفردي وتناقله بين أفراد المجتمع عبر مراحل نمو الفرد الجسمي والذهني. عن طريق التوجيه داخل الأسرة ثم المحاكاة لمن يتعامل معهم الفرد أو يتعرف عليهم والتي تنتج عنها الاستجابات المتبادلة لنماذج السلوك المكتسبة في المجتمع.

مما سبق يستخلص أن مصطلح الثقافة بمفهومه العام يعني التراث الاجتماعي الذي يمثل نمط المعيشة للمجتمع والذي يحتوى على قواعد

السلوك وتنظيم الحياة وطرق التعامل والتفكير المتبعة بين أفراد المجتمع والتي تتوارثها الأجيال كتراث اجتماعي ثقافي عن طريق الاتصال بوسائله وطرقه المختلفة. وخلال عملية النقل من جيل إلى جيل آخر ومن فترة زمنية إلى أخرى قد يضاف أو تحذف أجزاء أو تتغير مفاهيم معينة نتيجة استحداث وبروز قيم جديدة أو خبرات تؤثر على أنماط الحياة السائدة وبالتالي على قواعد السلوك العام للمجتمع وأفراده.

وما يُهدف إليه هنا هو معرفة مدى تأثير النواحي الثقافية للمجتمع على شخصية الفرد وارتباطها بسلوكه التعاملي. وما ينبغي معرفته هنا هو أن النظام التربوي لأي مجتمع إنساني يمثل أسس التنشئة العامة للفرد في المجتمع. ويمثل كذلك قواعد الآداب العامة والأخلاق من حيث العادات والتقاليد والمعتقدات ومعرفة النظام التربوي قد تؤدي إلى التعرف على الهوية الثقافية للمجتمع ككل. هذا بالإضافة إلى دراسة وتحليل البناء الاجتماعي ووظيفة الجماعات الاجتماعية. وحصيلة ثانية أن لكل مجتمع أو شعب ثقافته الخاصة التي تميزه عن غيره من الشعوب الإنسانية. وعن طريق فهم الأطر الثقافية يمكن التعرف على نمط الحياة للمجتمع والسلوكيات العامة التي تنعكس على سلوكيات الفرد في تعامله مع الآخرين. فيمكن فهم شخصية الفرد وسلوكه عن طريق التعرف على البيئة الثقافية التي نشأ فيها وتفاعله مع غيره بغرض الاندماج وتحقيق احتياجاته. وكما هو معروف فإن شخصية الفرد تتكون وتتضح ملامحها خلال مراحل حياته متأثرة بالأفكار والقيم السائدة في المجتمع بدءاً بالأسرة ثم احتكاكه وخروجه للتعامل مع مؤسسات المجتمع المختلفة وقد ذكر (Biesanz, 1963)أن لكل فرد في المجتمع شخصيته المستقلة التي قد تتوافق وتتنافر مع غيره، إلا أنها

تعبر عن مزاجه الخاص به وخلقه وسلوكياته وتستمد بطريقة أو بأخرى من الثقافة السائدة في المجتمع وعوامل بيولوجية تتمثل في الوراثة عن الوالدين وأخرى اجتماعية . بالإضافة إلى ذلك فإن معرفة وسائل الاتصال السائدة وطرق التفاهم المباشرة بين أفراد المجتمع بجانبيها اللفظي المتمثل في اللغة المنطوقة والمكتوبة وغير اللفظي المتمثل في الرموز الحركية وتعابير الوجه ونظائر اللغة وغيرها، كل هذه تسهل معرفة جانب كبير من هوية المجتمع الثقافية وبالتالي ملامح شخصية الفرد في ذلك المجتمع . وشخصية الفرد قد تكون قابله للتكيف والمواءمة حسب الموقف أو المواقف التي يتعرض لها وهو ما يعرف بالموقف الإتصالي . وبالتالي فان معرفة مكونات وملامح شخصية الفرد تقودنا إلى استنتاجات أوتوقع رد فعله وسلوكه تجاه حالة أو موقف معين . يرى (Nimkoff, & Ogburn, 1960) أن شخصية الإنسان عبارة عن مزيج من عوامل نفسية وأخرى اجتماعية تكون قواعد السلوك الذي يظهر في عادات الإنسان وأفعاله وآرائه واتجاهاته . كما يذكر جلال عبدالوهاب أن شخصية الفرد نتاج لتفاعله الاجتماعي والثقافي مع غيره من أبناء مجتمعه (عبدالوهاب، ١٤٠٤، ص ١٨) . وسلوك الفرد الذي يعبر عن هويته الشخصية يتكون عن طريق التفاعل بين القيم والاتجاهات السائدة في المجتمع . فالفرد يتجرع ثقافة مجتمعه من خلال القيم السائدة عن الحياة والعالم المحيط به . وهذه القيم تؤثر على الاتجاهات التي عن طريقها يتكون السلوك الذي يكون مناسباً للموقف الإتصالي حسب تقدير الفرد .

يتضح مما سبق أن ثقافة المجتمع تشكل الفرد عضوياً وسلوكياً وذهنياً أو فكرياً . فوضع الفرد الفيزيائي ومظهره كطريقة الجلوس ونحوه تمثل الجانب العضوي في حين أن التعبير عن المشاعر والانفعالات تمثل الجانب

السلوكي وأساليب التفكير والإدراك للعالم الخارجي تمثل الجانب الذهني أو الفكري. وفي حين أن الثقافة تحدد وتشكل نشاط وتصرفات الفرد. إلا أن هناك نوعاً من الحرية الشخصية تترك للفرد لاختيار وتقرير تصرفاته ولكن في حدود الإطار العام للثقافة التي يعيش فيها. على سبيل المثال، اختيار نوع الطعام الذي يرغبه من ضمن أنواع كثيرة سائدة ومتعارف عليها في المجتمع أو نوع الموسيقى أو نوعية وطريقة التصرف نحو موقف معين. فالثقافة تعطي الفرد كل المعلومات التي تمكنه من فهم العالم حوله للتكيف أو للسيطرة في بعض المواقف. وهي كذلك تمكنه من توقع وتنبؤ نظرة الآخرين له والتصرف المتوقع منهم تجاهه والعكس.

والاتصال يمثل أهم جزء في حياة الإنسان فهو يتفاعل مع الآخرين من أبناء مجتمعه أو غيرهم بحثاً عن فرص للاتصال لأغراض وأهداف مختلفة. ويعتبر ظاهرة ملازمة لحياة الفرد في كافة مراحلها ونشاطاً يومياً لا يستطيع الحياة بدونه، حيث عن طريق الاتصال يلبى الفرد احتياجاته ويعبر عن أحاسيسه ورغباته وللوصول إلى هذا الهدف يتم تبادل المعلومات والخبرات والمصالح بطرق مباشرة في أغلب المواقف وفي هذا المفهوم يذكر (Patton, & Giffin, 1981) أن الحياة تعني الاتصال بالآخرين والاتصال المباشر بين الأفراد يحدده إطاران، اللفظ باستخدام الكلمات (اللغة اللفظية) وغير اللفظ باستخدام كافة الوسائل غير اللفظية لتوصيل المعنى مثل استخدام الإشارة باليدين أو العينين وتعابير الوجه وحركات أو وضعيات الجسد أثناء الحديث

وبنظرة سريعة للنظرية الأساسية للاتصال، يتضح أن الاتصال عبارة عن رسالة وقناة أو وسيلة لتوصيل هذه الرسالة ومرسل ومستقبل لهما خصائص معينه. أثناء عملية الاتصال يكون هناك تبادل للأدوار بين كل

من المرسل والمستقبل ينتج عنه ما يسمى بالتغذية الراجعة أوالعاكسة (Feedback) . وبالتالي الوصول إلى هدف الاتصال أو النتيجة النهائية له . (Trenholm, 1986) . وبهذا فإن تأثر أطراف الاتصال ببعضهم البعض شيء وارد . كما أن عملية الاتصال تتأثر بالمصداقية، ودرجة التشابه بين طرفي الاتصال، (ما يعرف بالإطار الدلالي الذي أورده شرام في نموذجه عن الاتصال) وهدف الاتصال، ومحددات الشخصية، ومدى فهم كل طرف لأخلاقيات وقيم وقدرات الطرف الآخر . وهذا يعني أن هناك صلة وثيقة بين الاتصال والظروف النفسية والبيئية الثقافية للأطراف المشاركة في الاتصال . لذلك وسعياً لتجنب المشاكل أو أي معوقات قد تؤدي إلى فشل تحقيق هدف الاتصال، لابد من الآخذ في الاعتبار مراعاة مشاعر وسلوك الطرف الآخر أو ما يعرف بالتوقعات نحو مستقبل الاتصال ومحاولة تكوين صورة واقعية عن الجزء الغامض أو غير المكشوف له . ونجد هذا واضحاً في نظرية التل الجليدي في الاتصال المباشر وحتى يكون الجزء المغمور في الماء من التل يعادل من حجمه . ولو شبهنا متلقي الاتصال بهذا التل لتحتم علينا محاولة معرفة الجزء المغمور أو الغامض عن طريق صورة تقريبية تتعلق بسلوكه وخلفيته الثقافية ومحددات شخصيته كمؤثرات على نمطه الاتصالي (الشمال، ١٩٨٥، ص ٦٠).

ومما يساعد على تكوين صورة جيدة عن الطرف الآخر ينبغي الأخذ في الاعتبار أن الإنسان يتعلم ويكتسب سلوكه الاتصالي من المجتمع الذي يعيش فيه وثقافته التي تميزه عن غيره من المجتمعات الإنسانية . فنجد أن معايير الأسرة والمجتمع المتمشية مع نظم العادات والتقاليد السائدة وربما الأعراف، لها دور فاعل في تحديد السلوك الاتصالي للفرد . هذا بالإضافة

إلى العوامل النفسية لطرفي الاتصال وكذلك العوامل الأيدلوجية والاجتماعية. ولا نغفل العوامل الثقافية المميزة للمجتمع، والتي لها أقرب أثر في تحديد نمط وطريقة الاتصال والتفاهم.

فالصورة الذاتية للفرد تربط الثقافة بالسلوك. والذات يدخل في تشكيلها عوامل ثقافية تؤثر على معظم سلوكيات الاتصال. وللفروق الثقافية على المستوى الفردي تأثير جوهري على السلوك. ولهذا فإن التعرف على البنية الذاتية أو الصورة الذاتية للفرد يعد أفضل طريقة للوصول إلى درجة جيدة من التفاهم أثناء الاتصال، فهي تقدم إسهاماً كبيراً في التعرف على السلوك الفردي.

«والإنسان في الغالب لا يرغب في أن يشذ عن الجماعة التي ينتمي لها. ولذلك يكون لديه الاستعداد لتعديل آرائه وأحكامه بحيث تصبح متفقة مع رأى الجماعة ككل» (عبدالوهاب، ١٤٠٤، ص ٦٥). ومما لاشك فيه فإن فهم الإنسان للأفراد من مجتمعه لذي يعيش فيه تختلف عن الأفراد في مجتمعات أخرى. فلهم عادات مختلفة من حيث طرق التفكير والقيم والعادات والتقاليد المرعية في المجتمع. وهذا يؤثر على درجة التفاهم بين طرفي الاتصال سلبياً. فقد يؤدي إلى الشعور بالتقيد أثناء التعامل وعدم الراحة نتيجة لغموض الطرف الأخر حتى ولو كانت اللغة المتحدثة واحدة. وبما أن هناك علاقة وثيقة بين الثقافة والسلوك، والسلوك ما هو إلا اتصال وتفاعل مع الآخرين، فإن الثقافة تؤثر في تحديد نمط الاتصال.

ومن ثم، فهناك علاقة ذات تأثير متبادل بين الاتصال الإنساني والثقافة. حيث تشكل ثقافات الأفراد عن طريق اتصال بعضهم ببعض واكتساب ما هو متعارف عليه من عادات وتقاليد وأسلوب تعامل. وفي

المقابل فان المعايير الثقافية السائدة تشكل قواعد الاتصال ونماذجه . والمزج بين الثقافة والاتصال ربما يعطي ممارسة عمليه لدور الثقافة في التفاعل الاجتماعي، إلا أنه عندما يكون الاتصال بين أفراد من ثقافات مختلفة لكل قيمه وعاداته وتقاليده، تصبح العملية الاتصالية أكثر تعقيداً، ويكون هناك مواجهة للفعل الثقافي المختلف وربما تظهر مشكلة الصراع بين طرفي الاتصال في محاولة لفرض وجود كل منهما على الآخر أو على الأقل إحداث تأثير ذي معنى . والإنسان يتعامل مع عدد من الأفراد يومياً . إما بشكل رسمي في مجال الأعمال أو غير رسمي في المجالات الاجتماعية المختلفة . وليس من السهولة بمكان أن يتم التعرف على كل فرد عن كثب سلوكياً . ولكن أهمية ذلك الفرد وأهمية الموقف الاتصالي أو التعاملي هما اللتان تحددان أهمية جمع المعلومات والتحري لمعرفة اتجاهاته ودوافعه وسلوكه، ومما يساعد في الوصول إلى ذلك ذكاء الشخص وخبرته الشخصية والاجتماعية . وسلوك الفرد بصفة عامة يتأثر بعدة عوامل صنفت في ثلاث مجموعات . مجموعة العوامل الفردية وتتعلق بطرق التفكير والعواطف والدوافع ـ مجموعة المحددات الاجتماعية للسلوك الناشئة عن تفاعل الفرد مع الغير ـ مجموعة قواعد السلوك وثقافة المجتمع الذي يعيش فيه الفرد ككل . (السلمي، ١٩٨٠) .

يتضح مما سبق أن ثقافة أي مجتمع تتضمن أنظمة الاتصال المتبعة واستعمالاتها ودلالتها وعليه فإن ثقافة المجتمع تشكل سلوك الفرد الاتصالي . كما أن لكل ثقافة أنماط اتصال تناسبها وتخدم أغراضها من خلال تفاعل أفراد مجتمعها . وإمكانية عدم التوافق بين شخصين أو بين ثقافتين متباينتين أمر وارد . فكل شخص متشبع بثقافته التي عاش فيها

وهي تكوّن وتحدد تصرفاته وسلوكه وكذلك نظرته للآخرين. ورغم اختلاف نظرة كل فرد للعالم من حوله ولغيره من الأفراد بحسب المعلومات المتوفرة لديه، فإن تنمية قدرة الفرد على وضع تصورات مسبقة للآخرين من ثقافات مختلفة، يقلل من عدم التوافق ويزيد فرص التفاهم وتمثل خططاً استرشادية يتوقع من خلالها الفرد سلوك الآخرين وتصرفاتهم. وهذا قد يهيئ مناخاً مناسباً للتعامل. وتنمية قدرات الفرد تتم عن طريق التعرف على بعض ملامح التفاعل الثقافي للمجتمع الذي يعيش فيه الطرف الآخر وكذلك التعرف على النظام الرمزي المتبع في الاتصال سواء كان لغة لفظية أو غير لفظية. كما أن التعرف على النظام الطبقي ودور المكانة الاجتماعية التي تعطي وضعاً اجتماعياً محدداً للفرد حسب مهنته أو طبقته التي ينتمي إليها، ومراكز النفوذ، كل هذه تزود الإنسان بمعلومات مساعدة عن الطرف الآخر وتوفر معلومات تساعد على تحديد السلوك الاتصالي الأفضل وبالتالي تزيد فرص النجاح وتحقيق الأهداف.

٢ ـ أثر الاختلاف الثقافي على العملية التفاوضية:

واجهت وتواجه المجتمعات الإنسانية على مر العصور والأزمنة وحتى وقتنا الحاضر ومستقبلاً صراعات وتناقضات ينتج عنها أزمات تتفاوت في حدتها. هذه الصراعات عادة تكون نتيجة لاختلاف وجهات النظر حول موضوع معين وكذلك اختلاف المصالح سواءعلى المستوى الفردي أو الجمعي أو حتى الدولي أو الشعوبي. وهذا أمر طبيعي يتوافق مع الطبيعة البشرية كظاهرة موجودة في جميع التنظيمات الاجتماعية.

وفي كثير من المواقف قد يعزى حدوث الصراع نتيجة لعدم الفهم بين الأطراف المعنية نتيجة لاختلاف اللغة والرموز غير اللفظية المستخدمة للتفاهم وكذلك اختلاف المفاهيم حول القيم السائدة والعادات والتقاليد المرعية في المجتمع. بالإضافة إلى ذلك فإن اختلاف المعتقدات والاتجاهات والاحتياجات الفردية والجماعية لها تأثير جوهري في حدوث الصراع وتضارب المصالح. من هنا يعمل الأفراد والجماعات وحتى الحكومات على حل هذه الصراعات وتخفيض حدة التوتر في محاولة لتحقيق المصالح العامة أو الخاصة. ومن ضمن الطرق المتبعة لتحقيق هذه الأهداف اللجوء إلى التفاوض المباشر وحل الخلاف سلمياً أو تحقيق أقصى ما يمكن من مصالح.

وفي هذا يجدر القول أن المفاوضات لا تحدث فقط عند قيام الحروب ولكن أيضاً لتحقيق مصالح معينة أو مكاسب تجارية أو حتى لإنشاء علاقات جيدة للتعاون والتفاهم. كما أن هناك اعتقاداً لدى العامة أن التفاوض عادة ما يكون على المستوى الرسمي للدول لمعالجة أشكال الصراعات والنزاعات الدولية. إلا أن التفاوض يحدث في الحياة العامة للفرد والتجمعات البشرية الصغيرة أيضاً. ففي مجال العمل يتفاوض الرئيس مع المرؤوسين حول الكيفية التي ينجز بها العمل وما يقابلها من أجور وحوافز وأنظمة تحفظ الحقوق للجميع. وصاحب المتجر أو المؤسسة يتفاوض مع عملائه حول الأسعار والمواصفات المطلوبة. حتى داخل الأسرة نجد أن التفاوض له وجود في أفعالهم وتصرفاتهم. والهدف الأساسي للسلوك التفاوضي هو أن تتخذ قرارات عملية يمكن تطبيقها وجني ثمارها عن طريق التوصل إلى تفاهم مشترك وملزم لطرفي التفاوض. يذكر (Shappard, Lewicki, & Bazerman,1991). أن المفاوضات تستخدم لمناقشة وحل الخلافات مع

الأخذ في الاعتبار توزيع وتبادل الثروات النادرة، ولتنمية اتفاق جماعي حول الأهداف سواء كانت سياسية أو تنظيمية، وكذلك لحل الصراعات والخلافات الاجتماعية.

تعريف التفاوض:

وإذا عرجنا إلى إيضاح معنى التفاوض نجد أ ن له أساساً لغوياً حيث أوضحه ابن منظور فذكر أن التفاوض في الحديث يعني الأخذ فيه، وتفاوض القوم الأمر أي فاوض فيه بعضهم بعضاً. (ابن منظور، د.ت). ويقال مفاوضة العلماء أي محادثاتهم ومذكراتهم بالعلم يأخذ كل ما عند غيره ويعطى ما عنده. (المنجد في اللغة والأعلام، ١٩٩ ٢ ، ص ٥٩٩). كما أن له أصلاً لاتينياً يتكون من كلمتين هما (Neg) وتعني لا و (otium) وتعني راحه. وبهذا يكون معنى الكلمة الإنجليزية (Negotiation) والتي تعني بالعربية «تفاوض» هو عدم الراحة لكلا الطرفين. (ابوريا، ١٩٨٩، ص ٢٧).

وفي الاصطلاح فإن التفاوض يعني موقفاً تعبيرياًحركياً بين طرفين أو أكثر حول قضية من القضايا يتم من خلاله عرض وتبادل وتعريف ومواءمة وتكييف وجهات النظر واستخدام كل أساليب الإقناع للحفاظ على المصالح القائمة، أو الحصول على منفعة جديدة لإجبار الخصم على القيام بعمل معين أو الامتناع عن عمل معين في إطار علاقة الارتباط بين أطراف العملية التفاوضية تجاه أنفسهم أو تجاه غيرهم. (الخضيري، ١٩٨٨، ص ١٤).

ومن هذا التعريف يتضح أن هناك تفاعلاً يحدث بين طرفي التفاوض بهدف التوصل إلى تفاهم واتفاق حول قضية أو هدف محدد. وخلال هذا

التفاعل فإن كل أشكال الحوار وتبادل الاقتراحات بين الأطراف يتم عن طريق الاتصال المباشر بشقية اللفظي وغير اللفظي، فضلا عن أشكال السلوك الإنساني الاتصالي المختلفة والتي تتضمن أيضاً مظاهر التصرف المؤثرة كالإشارات غير اللفظية وكذلك التجهيزات والتحضيرات للجلسة أو المواكبة لها تؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لتوجيه سير المفاوضات. (عفيفي، ١٩٨٦، ص ١٣).

وأياً كان تعريف المفاوضات فإن المفهوم العام لها هو محاولة كسب تأييد وعطف الأشخاص الذين نأمل أن نكسب من ورائهم شيئاً معيناً. كما أن استخدام السلطة والنفوذ من أجل التأثير على قرارات وسلوك الآخرين يكون أمراً وارداً.

الاختلاف الثقافي والتفاوض:

كل منا يتفاوض بطريقة ما خلال ساعات يومه مع أشخاص من جماعته أو مجتمعه تربطه بهم مصالح معينة. واليوم ومع حركة التنقل الفردية حول العالم، إما لأغراض تجارية أو دبلوماسية أو حتى سياحية، ازداد احتكاك الفرد بالآخرين من مجموعا ت وشعوب من ثقافات مختلفة عن ثقافته الوطنية. وبما أن المصالح قد تكون متضاربة والاحتياجات مختلفة، بالإضافة إلى الاختلاف الثقافي والذي كما عرفنا تأثيره على السلوك الفردي، فإن إمكانية حدوث الصراع أو التوتر أمر محتمل فالاصطدام بالآخرين ظاهرة طبيعية في الحياة ا لبشرية وينبغي اعتباره مشكلة قابلة للحل وغالباً ما يكون الحل عبر التفاوض. وأثناء التفاوض فإن تعارض الآراء واختلافها وطريقة التعبير عنها قد يزيد من حدة التوتر ويوسع دائرة الخلاف وبالتالي يؤثر على سير المفاوضات ومحصلتها النهائية. والمهم هنا

هو معرفة أسباب هذا التوتر والكيفية التي تنما بها هذا الصراع أو الاختلاف. وللتفاوض بنجاح في ظل التباين الثقافي، يجب على طرفي التفاوض التعرف على الكيفية التي ينظر بها إلى التوتر والطريقة التي يدار بها.

ولا نغفل أهمية نوع السلوك المتبع والذي يهدف إلى إنشاء وتطوير الثقة والتفاهم بين الأطراف المتفاوضة مما يؤدي إلى تعزيز الموافقة والاحترام. وهناك نقطة أخرى مهمة وهي ما نبديه من اهتمام واحترام لمشاعر الطرف الآخر ومطالبه. يذكر (Linthicum, 1979) أن المشكلة تكمن في عدم حسن الاطلاع على ثقافة الغير والشعور نحوها بالغربة وكذلك أعراف العمل وممارساته في الأوضاع الأجنبية.

إن افتراض تشابه الأطراف المشاركة في العملية التفاوضية بدرجة كبيرة أمر خاطئ. وليس له وجود في زماننا الحاضر خاصة مع بروز ما يسمى بالشركات المتعددة الجنسيات واعتماد الدول على التعاون المتبادل الذي زاد من التحركات الدبلوماسية للتفاهم وتحقيق المصالح عوضاً عن التحركات العسكرية. إلا أن الافتقار للمعلومات والحاجة لها حقيقة ثابتة في مثل هذه الحالات. وبما أن العوامل والمحددات الثقافية غالباً ما تكون غير واضحة المفهوم لمعظم المفاوضين، فإن الاجتهاد في جمع أكبر قدر من المعلومات عن الطرف الآخر ومحاولة تكوين صورة واضحة ثقافياً عنه أصبحت أمراً مهماً لزيادة فرص نجاح المفاوضات. والقول بأن أطراف التفاوض قد يختلفون عن بعضهم البعض نتيجة للظروف البيئية والاجتماعية التي نشأوا فيها أضحت أمراً منطقياً. وغير المنطقي هو افتراض التشابه ونعت الطرف الآخر بالقصور والخطأ ان لم يكن كذلك. من هذا المنطلق فإن فهم مراحل تطور حياة المفاوض والتعرف على بيئته الثقافية التي نشأ فيها يساعد على

فهم طريقة تفكيره وتصرفاته المعبرة عن سلوكه وشخصيته وبالتالي يكون بالإمكان تخطيط الطريقة التي يعامل بها لتحفيزه على التعاون بفعالية. فالهدف من أي مفاوضات هو حمل الآخرين على الاستعداد للتعاون والقيام بما نرغب منهم القيام به. والتعرف على متطلبات وقيود غير ثقافية يساعد على إدراك مفهوم الاختلاف أو التوتر لحل المشكلة. ويزودنا هذا الفهم بمعلومات عن ما هو مناسب أو غير مناسب سلوكياً للاتصال وفق نظام ثقافي معين. وهناك قيم ثقافية معينة تشكل شخصية المفاوض وتؤثر على خطوات العملية التفاوضية وأساليب الحلول المقترحة للمشكلة. ومن هذه القيم، نظرة الشخص للعالم من حوله، تكيفه وتوجهه نحو الأنشطة المتبعة في التفاوض، إدراكه الحسي لذاته ولطبيعة الآخرين، تقديره ونظرته للوقت والزمن، بالإضافة إلى نظرته وإدراكه للعلاقات الاجتماعية ودورها في حل قضايا الخلاف. هذه القيم لها دور كبير في تحديد النمط الاتصالي بين الأطراف وتهيئة الجو العام للحوار والتوصل إلى نتائج.

هذا وتختلف الأساليب التي ينتهجها المفاوضون من أمم وهويات ثقافية مختلفة وفقاً لحضارة ذلك الشعب أو تلك الأمة وتاريخها ونظامها السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وفهم الأسلوب المتبع في التفاوض من شأنه أن يؤدي إلى فهم أفضل ويدعم القدرة في الحصول على نتائج أفضل. فالعلاقات بين الأفراد تنشأ من التفاعلات. وأن الصراعات التي تنتج عن التفاعل تقوم على إسهام الأفراد في هذه العلاقات. يرى (Toomy, 1988) أن الاختلاف والصراع قائمان باعتبارهما جزء من الطبيعة الإنسانية والحالة البشرية. وبسبب الاختلافات في اللغة فإن عملية إرسال رموز الاتصال وفكها وسوء الفهم بين الثقافات والقيم المختلفة يمكن أن تؤدي إلى حدوث الاختلاف. ومما سبق نستطيع القول ان الثقافة تشكل جانباً كبيراً من طرق

الاتصال والمعاني المصاحبة أثناء مناقشة الخلاف موضوع التفاوض. وتقدم لنا نظرية Hall عن السياق الثقافي المنخفض والمرتفع أو الأدنى والأعلى فهما أفضل للاختلافات بين الثقافات اجتماعياً واتصالياً وتساعد على التعامل بصورة ناجحة مع خلافاتنا ومفاوضاتنا مع الآخرين. ومختصر نظرية Hall هو أن السياق الثقافي المنخفض يشير إلى مجموعة من المجتمعات تعلق قيماً أعلى على التوجه الفردي باستخدام رموز اتصال واضحة للاستجابة لمتطلبات ثقافية دنيا. في حين أن السياق الثقافي المرتفع يشير إلى مجموعة من المجتمعات تعلق قيماً أعلى على التوجه نحو الهوية الجماعية وتستعمل رموزا اتصالية غير واضحة للاستجابة لمتطلبات ثقافية عليا. ويمثل لذلك بأن مجتمعات مثل الألمان والاسكندنافيين والولايات المتحدة الأمريكية تعتبر سياقاً ثقافياً منخفضاً. في حين أن مجتمعات مثل الصين واليابان وكوريا تعتبر سياقاً ثقافياً مرتفعاً (Hall, 1976). وفق هذا التصنيف فإن كلا السياقين الثقافيين المرتفع والمنخفض يختلف من حيث طريقة التعامل مع المشكلة هدف التفاوض ومن حيث طريقة الاتصال والتفاعل لحلها. فعلى سبيل المثال يرى أصحاب السياق الثقافي المرتفع أن الرسائل غير اللفظية لها أهمية أكبر من الرسائل اللفظية وهذا يتناقض مع المنظور الثقافي المنخفض الذي يعطي أهمية كبيرة للرسائل اللفظية المباشرة. وقد استعرض (Toomy, 1988) النقاط التالية عن اختلاف السياق الثقافي وتعامله مع الصراع القائم أو المشكلة المتفاوض عليها:

١ ـ في السياق الثقافي المنخفض ينظر للصراع على أنه وسيلة، بينما ينظر أليه في السياق الثقافي المرتفع على أنه ذو طبيعة تعبيرية.

٢ ـ قد يحدث الاختلاف ومن ثم المواجهة في السياق الثقافي المنخفض عندما

يحدث خرق لتوقعات الأفراد حول موقف معين . أما في السياق المرتفع فقد يحدث عندما تخرق التوقعات الجماعية لموقف ما .

٣ـ يتخذ أصحاب السياق الثقافي المنخفض موقفاً مباشراً يتسم بالمواجهة . بينما يتخذ أصحاب السياق المرتفع موقفاً غير مباشر يتجنبون فيه المواجهة .

وبافتراض حدوث مواجهة بين أفراد هذين التصنيفين الثقافيين ، فإن كلا الطرفين قد يعجز عن إيجاد حل مناسب إذا لم يفهم كل طرف الفروق الثقافية لبعضهم البعض . وفي المقابل فان إدراك هذه الفروق الثقافية يجعل الاتصال والحوار التفاوضي مبنياً على احترام كل طرف لمشاعر وقيم الطرف الآخر .

٣ ـ أثر اختلاف الثقافة على الاتصال المواجهي المباشر والتفاوض:

في مواقف الاختلاف والصراع يكون الاتصال المباشر بين الأطراف المعنية بمناقشته هو الذي يعطي التعريف الاجتماعي لإدارته من خلال التفاعل الذي يحدث ويكون هو الوسيلة التي بدأ بها النقاش وتطرح من خلاله البدائل والحلول والتحرك تجاه نتائج إيجابية . وهنا سوف نناقش اكثر أشكال الاتصال ممارسة في وضع كهذا وهي الاتصال اللفظي وغير اللفظي المباشر بين أطراف التفاوض في ظل الاختلاف الثقافي .

أولاً: الاتصال اللفظي(*):

يتيح الاتصال للفرد تبادل العلاقات والأفكار والثقافات . وهي في مجملها تكون التراث البشري المتوارث عبر الأجيال ، بحيث يشعر أفراد المجتمع الواحد بالمشابهة فيما بينهم . هذه المشابهة تجعل توقع سلوك الآخرين

(*) إيصال الرسائل عن طريق المحادثة المباشرة .

أمراً وارداً. وهذا بدوره يعطي نوعاً من الطمأنينة والأمن عند اتصال فرد بأخر من أبناء المجتمع.

واللغة اللفظية تعتبر أهم طرق الاتصال بين البشر كما يرجع لها الفضل في تسجيل التراث ونقله من جيل إلى جيل. بالإضافة إلى أنها لغة الفكر والحوار وبدونها يصعب تطور المجتمعات. وفي جوهرها، اللغة عبارة عن نسق من الرموز الصوتية شاعت في المجتمع وتعارف عليها أبناؤه ليتعاملوا بها. والاختلاف في اللغة وصعوبة التفاهم أثر واضح في حدوث سوء الفهم المتبادل بين عنصري الاتصال الأساسيين (المرسل والمستقبل). فقد تؤدي كلمة غير مناسبة في معناها أو طريقة إلقائها إلى نوع من سوء الفهم الذي يؤدي إلى الاختلاف وتفاقم المشاكل، خاصة في ظل الاختلاف الثقافي بين المجتمعات. حيث أن اللغة جزء من الثقافة وتشكل الإدراك لدى الأفراد. يذكر Hoijer أن للغة دوراً مهماً وذو معنى في مجمل مفهوم الثقافة. فهي طريقة توجه الإدراك نحو المتحدثين وتزودهم بأساليب مألوفة لتحليل الخبرات وتصنيفها. (Hojer, 1976)

وفي المفاوضات نجد أن اللغة هي الوسيلة التي تمكن المفاوض من التعبير عن ادعاءاته وطلباته تجاه الطرف الآخر لهذا يجب أن ينظر إلى جوهر اللغة المستخدمة وطريقة التعبير وليس إلى تراكيب اللغة. وهذا يزودنا بخلفية عن مصدر الرسالة من الناحية السلوكية والثقافية. ذلك أن هناك علاقة قوية بين اللغة والتفكير، فالطريقة التي يفكر بها تؤثر في طريقة تحدثنا مع الغير. وهذا ما عبرت عنه سامية جابر بقولها «اللغة تؤثر في طريقة النظر إلى هذا العالم والى الأشخاص القائمين فيه، كما أن إدراكات الإنسان تتشكل وتتغربل بواسطة أنماطه اللغوية» (جابر، ١٩٩٠، ص ٥٩). كما

ان اختيار طريقة الاتصال وإيصال الرسائل الشفهية للغير تتأثر بالخلفية الثقافية لكلا الطرفين. فما هو مسموح به في ثقافة ما قد لا يكون كذلك في ثقافة أخرى سواء كانت كلمات معينة أو طريقة التعبير والتخاطب بشكل عام. وفي هذا المفهوم يذكر لنا الطويرقي أن «أساليبنا اللغوية في أحاديثنا واتصالاتنا بالآخرين ذات بعد مهم تنكشف من خلاله الأطر الاجتماعية والنفسية التي تحتضن ذواتنا ككيانات تتعامل بالرموز. وهذا يعطي بعداً مهماً عن لغتنا التي تعكس في حقيقتها الكثير من السمات الخاصة بعالمنا المعاش». (الطويرقي، ١٩٩٢، ص ٥٦).

وأثناء التحدث مع الغير في العملية التفاوضية بقصد الحصول على الموافقة نحو شيء معين أو بغرض جمع المعلومات وتطوير العلاقات، يصيغ الفرد رسائل شفهية لفظية وهذه الرسائل يجب أن يراعى فيها المتحدث بعض القيود المتعلقة بقواعد السلوك والآداب والتي تشكل قوى دافعة في الاتصال. فالمتحدث عليه أن يوازن بين رغبته في تحقيق هدفه ورغبته في حفظ ماء وجه المستمع بأن يكون واضحاً ويكون مؤدباً في ذات الوقت. وفي مفهوم تعدد الثقافات لا يتقاسم الناس نفس المعتقدات الاجتماعية وتختلف أفكارهم. لذا لابد من فهم قواعد السلوك والاتصال من منظور ثقافي حتى يكون هناك معرفة اجتماعية اتصالية مشتركة.

يذكر (Douglas, 198) أن التوافق والتناسب بين الأفراد من ثقافات مختلفة هما بعدان نقيضان كثيراً ما يتعارضان ويؤثران على اختيارات الناس لاستراتيجيات المحادثة مع الغير.

ويعتبر وضوح الأسلوب أحد أهم المؤثرات على سير الحوار والنتائج المترتبة عليه. وهو يعني هنا أن تكون كلمات المتحدث توضح قصده، ولا

يكون هناك لبس لدى المستمع عند تفسير المقصود من الرسالة الموجهة إليه . وعدم الوضوح قد يؤدي إلى سوء الفهم وبالتالي إلى عدم بلوغ الهدف من الرسالة . فإذا كانت جملنا غير دقيقة وغامضة ، فان تأثيرنا يقل بشكل آلي . هذا الغموض لابد من السيطرة عليه . عرض (Grice,1975) فكرة التصرف السلوكي أو قاعدة السلوك الاساسية في استخدام اللغة ، والتي تشير إلى أن تكون كلمات المتحدث واضحة غير غامضة ومختصرة ، واعتبر هذه أفضل النصائح من أجل حوار واضح . وإذا نظرنا إلى أسباب عدم الوضوح ، نجد أنه ينتج في بعض الأحيان من تعدد المعنى لكلمات أو عبارات معينة ، وهوى تكون لدى المتلقي من فهمه للمحتوى العام الذي صيغت فيه الكلمة أو العبارة . كذلك عدم استخدام كلمات مناسبة للموضوع أو مناسبة لخلفية الشخص التخصصية والثقافية أو الادراكية ، قد يؤدي إلى عدم الوضوح . ولكي تكون رسائلنا وحديثنا واضحاً وغير غامض ، لابد من انتقاء كلماتنا بعناية بحيث تكون بسيطة ودقيقة تعطي المعنى المطلوب وتصاغ في عبارات سهلة الفهم وقليلة الكلمات .

وفي بعض المواقف التفاوضية قد يكون استخدام الغموض عن قصد لتلبية نواحي استراتيجية للمفاوض - على سبيل المثال اليابانيون لديهم قدرة عالية على احتمال الغموض وعدم الوضوح ، وفي الغالب يحاولون إعطاء انطباع معين عنهم للطرف الآخر حتى قبل بداية الاتصال والتعامل على طاولة المفاوضات . (Womack, & Asuncion, 1982) .

ونجد أن المفاوض الصيني يرفض الطريقة الأمريكية والتي تركز على الاهتمام بتفاصيل واضحة ومعينة وتتجنب النقاش حول العموميات للوصول إلى اتفاق . في المقابل يضع المفاوض الصيني أسساً عامة تتصف

في الغالب بدرجة عالية من الغموض . (Pye,1982) . بالإضافة إلى أنهم يسقطون أي تفاصيل في الاتفاقية بينما يؤكدون على أن روح الاتفاق يجب أن يكون متوازناً . كما يخبر (Linthicum,1979) أن الأوروبيين بشكل عام يستخدمون المعنى الحرفي للرسالة كتعبير ووفق عليه في حينه وكاتفاق يناقش الصفة النهائية للعقد ، بينما الصينيون الذين لديهم احتمال الغموض كبير ، يفسرون ذلك على أنه ليس إلا جدول أعمال وافقوا على النقاش حوله . كذلك الأمريكيين اللاتينيين يرون النقاش والتفاوض على أنه يدل ويقتضي على علاقة عداء بين الخصوم ، بينما نجد أن وجهة نظر الأمريكيين الشماليين مغايرة لذلك . حيث يعتبرون التفاوض وسيلة لإنجاز الأهداف . (Rhoads, 1983) .

كما أن الاهتمام بمشاعر الطرف الآخر والحرص على عدم جرحها وإيذائها يعتبر من أهم دعامات النجاح في العملية التفاوضية . وليس هناك شك في أن سلوك مصدر الرسالة التحادثية يؤثر على المتلقي . وتفهم مصدر الرسالة لهذه الحقيقة يؤدي في الغالب إلى دعم فرص الموافقة والقبول ويحافظ على الصورة الإيجابية للمتلقي تجاه المصدر . يذكر (Leech, 1983) أن مفهوم التهذيب في الحديث اعتمد على استراتيجيات للحد من التهديدات تجاه شخص المخاطب مع التأكيد على هذه الرغبة في أثناء السلوك التحادثي .

فالحصول على تعاون الطرف المقابل يكون أكثر احتمالاً إذا عرفت طبيعته الشخصية ومكانته الاجتماعية والعملية ، وإذا ما أُدير الحوار دون التسبب في أي حرج أو إزعاج نفسي أو معنوي عن طريق مراعاة انتقاء الألفاظ والأسلوب المناسب .

وفي هذا السياق يُحكى أن الرئيس المصري محمد أنور السادات طرد

صحفياً أمريكياً عندما وجه له سؤالاً ما إذا كان السادات استشار الرئيس الأمريكي ريغان حول موضوع من موضوعات الساعة في ذلك الوقت. حيث غضب السادات وانفعل انفعالاً كبيراً وغضب من اللهجة التي اعتبرها عدوانية لذلك الصحفي. وهذا يوضح تأثير الأسلوب والألفاظ بأبعادها الثقافية.

وفي مقابلة رئيس الوزراء الإسرائيلي بيريز مع الإعلامي عماد أديب في برنامجه على الهواء. ذكر بيريز أنه إذا خطبت فتاة ولم تحدد موعداً وكان لديك موعد وليست هناك فتاة فلن يكون هناك شيء. لابد من وجود الموعد ووجود الفتاة معاً كان ذلك عن طبيعة المفاوضات مع الجانب السوري. فرد عليه عماد أديب أن هناك فرقاً بين السياسة والجري وراء البنات. وهنا يظهر الفرق الثقافي، فالمستمع العربي لا يقبل بهذه المقارنة في حين أنها لا تمثل أي حساسية للمستمع الإسرائيلي الغربي الثقافة. (وجيه، ١٩٩٧).

إلا أن استخدام التهديد ويقابله الوعود يعد أمراً وارداً وحتمياً في العملية التفاوضية من أجل التأثير والإقناع حيث يعني التهديد التعبير عن نية التوجه بسلوك ضار أو مؤذ للطرف الآخر بينما يعني الوعد التعبير من نية التوجه بسلوك نافع ومفيد للطرف الآخر إذا ما وافق على ما طلب منه. (Pole, Folges, 1984). وقد ناقش (Stephenson, Moreley, 1977) التهديد والوعيد في التعامل ووجدا أن الإذعان للتهديد يعزي بشكل مباشر إلى درجة الفائدة المرجوة من الرسالة التي تحمل في معناها احتمال الموافقة إذا فشل الطرف الآخر في رفض التهديد وقدر أهمية الموافقة. ولا نغفل هنا خلفية كل طرف عن مصداقية الطرف الآخر حيث لها علاقة قوية بدرجة تأثير الوعود والتهديد. وعند استخدام التهديد أو الوعود لابد أن يدرك

الفرد قيم الطرف الآخر وتقييمه لهذا الأسلوب التحادثي، و أيضاً تكون لديه القدرة على تنفيذ تهديده والإيفاء بوعوده حتى يكون أكثر تأثيراً، وإذا كان عكس ذلك، فإن أسلوبه في التهديد والوعود سوف يؤدي إلى نتيجة عكسية ويضعف موقفه.

يرى (Lawler,&Bacharach,1981) أنه يمكن النظر إلى الوعيد أو التهديد على أنه شيء إيجابي أو سلبي في مواقف التفاوض. فهو سلبي إذا أدى إلى تفاقم المشكلة وإيجابي إذا أدى إلى المساعدة على تحقيق نتيجة تجاه الهدف المطلوب.

ويرى (Williams, 1977)، أن لكل مجتمع إنساني نظامه الخاص بالتهديد والإكراه والوعود، ويستخدم أسلوب التهديد والوعود من قبل طرفي التفاوض في الغالب لتقوية موقف كل منهما إلا أننا نجد أنه وفق بعض الخلفيات الحضارية والثقافية، قد يكون هذا الأسلوب مرفوضاً وغير مهذب ولا ضرورة له. من هنا ندرك أن فهم الفروق الثقافية بشأن استخدام أسلوب الوعيد والوعود أصبح أمراً حتمياً يؤدي إلى عدم إيذاء شعور الطرف الآخر ويضمن لنا اختيارات استراتيجية واعية فيما يتعلق باستخدام هذا الأسلوب. بمعنى آخر، يجعل المفاوض على علم ودراية بإمكانية استخدام هذا الأسلوب من عدمه، ومتى وبأي درجة.

لذلك فإن اهتمام المفاوض في حديثه بعدم ممارسة ضغوط أو فرض مواقف وآراء على الطرف الآخر تعتبر من دعامات نجاحه وكسب احترام وثقة الآخرين. وفي أثناء الحديث قد يكون هناك بعض التعابير التي تتضمن معنى التدخل في أنشطة الطرف الآخر والضغط عليه. والواقع أن كلا

الطرفين لديه الحرية في التصرف حسب إدراكه وتحليله للمواقف التي يمر بها. وقد أكد (Toomey, 1988) هذه النظرة وذكر أن التهذيب بشكل عام عند العالم الغربي يرتبط باستراتيجية سلبية أو احترام تجاه الغير، وإظهار الاحترام يعبر عنه عن طريق محاولة المتحدث عدم فرض رأيه على المستمع و اعطائه الحق في عدم المطاوعة أو الموافقة أو عدم التعاون. وبين أنه على الرغم من التباين الثقافي بين الشعوب حول هذا المفهوم، إلا أن هناك اتفاقاً حول أهمية عدم الضغط في حالة حدوث حوار.

وإذا رجعنا إلى نظرية Hall حول السياق الثقافي المرتفع والمنخفض، أو التوجه الثقافي الفردي أو الجماعي، نجد أن هناك اختلافاً حول النظر إلى الأفكار السابقة عن أدب الحوار والحديث. فنجد أن السياق الثقافي المرتفع، أي الذي يركز على التوجه الجماعي، يوجه اهتماماً كبيراً على الانسجام في الترابط بين الأشخاص. لذلك يكون تركيز الأفراد على الملاطفة والتهذب والاهتمام بالعلاقة المباشرة بين الأفراد ونجد كذلك أن أحاسيس الآخرين وسمعتهم وكرامتهم تعتبر إحدى مسئوليات الأفراد في التوجه الثقافي الجماعي. يذكر (Ho, 1975). أن المجتمع الكوري وغيره من المجتمعات الشرق - آسيوية مثل الصين واليابان، الفرد فيها محكوم برغبته في عدم فقدان كرامته ويتأثر كثيراً عندما لا يستطيع الحصول على المتطلبات الأساسية المعقودة عليه بسبب مركزه الاجتماعي. كما يذكر (Okabe, 1987) أن في اليابان قواعد تقليدية للتخاطب تمنع النقد المباشر للمخاطب والتشديد على الأنا والطلب أو الرفض..

مما سبق يُستنتج أن الأفراد من الثقافات ذات التوجه الجمعي يفضلون طرق المحافظة على الكرامة وعدم جرح شعور المخاطب لتحقيق الأهداف.

كما أن التركيز على الشعور الاتصالي بدلاً من المواجهة المباشرة يعتبر قدرة عالية على التحادث مع عدم الضغط وتقييم المخاطب بتقي ماً سلبياً.

من ناحية أخرى ينظر للأفراد من ثقافات ذات توجه فردي يولون اهتماماً اكبر تجاه الوضوح والرغبة في فعالية الحوار والحديث لخدمة الأغراض والرغبات الشخصية. فالتركيز على النتائج والتقليل من التكلف سمة أساسية لمجتمعات الثقافات الفردية. (Yum, 1988) أنه في الثقافات الفردية مثل الولايات المتحدة الأمريكية وباقي النماذج أ وضح الفردية، تتضح أهمية الخطاب في تحقيق الاستقلالية وتحقيق المطالب الشخصية . فنجد أن نتيجة الحوار اكثر أهمية من عملية الحوار نفسها ومراحله المتدرجة. فالحوار على المدى القصير في إطار العلاقات المتقطعة يفهم على أنه عملية تنقضي بعد وقت معين. وبعد ذلك يحل محله حوار واتصال من نوع أخر. أن النتائج الملموسة أو بعبارة أخرى كسب أصدقاء وهزم معارضين، وتحقيق الإنجاز الشخصي، تصبح مهمة أساسية في الحوار والاتصال.

وعلى نحو ما سبق عن التوجه الثقافي الجمعي أو الفردي، ربما يكون السلوك الفردي أكثر ملائمة في مواقف الحوار والتفاوض. فالفعالية والوضوح أمران مهمان في مثل هذه الحالات إذا كان التوجه من كلا الطرفين نحو حل المشكلة وتحقيق الأهداف المرجوة من التفاوض. أما إذا كانت نوايا الطرفين أو أحدهما المماطلة والتسويف وإضاعة الوقت فربما تكون هناك سياسات وتكتيكات أخرى أكثر مناسبة لهذه الأهداف. وتفضيل التوجه الثقافي الفردي راجع إلى أنْ هذه الثقافة تحث على التعبير عن الرأي بحرية تامة وباستعمال تعابير كلامية مباشرة. كما أنها ترغب في استخدام قواعد

النزاهة والانفتاح على الغير. وهذا السلوك بين الأفراد قد يؤدي إلى تقليص الوقت الذي يقضيه أطراف التفاوض في المفاوضات بالإضافة إلى توفير الطاقة والجهد للوصول إلى نتائج نهائية.

ثانياً: الاتصال غير اللفظي(*):

في التفاعل الإنساني ينظر للأفعال على أنها الشيء الذي يضفي معنى للأحداث وللتفكير والاتجاهات، بالإضافة إلى جذب الانتباه وتفسير الشعور. فالعلامة في السلوك الإنساني تشير إلى ما هو أكبر من معناها إذا لم ينظر إليها بشكل فردي مجر د. وهذا ما يجعل في بعض الأوقات عدم الفهم أمراً محتملاً وهناك فرص غير محدده لاصطناع أو اختراع علامات اعتباطية وعفوية من كل فرد، بل ويتفرد بها الجنس البشري عن غيره لنعمة العقل الذي منحه الله إيّاها، وتمكننا من إيصال معنى أبعد من المعنى الأولي عند الاتصال بالغير ونحن كبشر في العادة نكن كثيراً من الود والتفاهم مع من يشاركونا في نظام علامات واحد إلا أن احتمال عدم الفهم وبروز مشاكل قد يعزى إلى استخدام العلامات على النحو الذي نراها أو نسمعها. وهذا راجع إلى أن استخدام العلا مات قد يشير إلى أشياء يعتقد أنها موجودة ولكن لا نستطيع أن نتلمسها وندرك معناها. بالإضافة إلى ذلك، ربما نستخدم علامة وفي اعتقادنا أنها تشير إلى معنى واحد أو نقصد بها معنى معيناً، وفي الحقيقة هي تشير إلى معنى آخر غير الذي نقصده. كذلك الكلمات نفسها ربما لا تعطي المعنى المطلوب واستخدامها ليس له معنى في موقف معين. لهذا قد ينظر إلى اللغة على أنها نظام علامات خاص،

(*) إيصال المعنى عن طريق الرمز غير اللفظية.

وبالتالي أي نظام علامات آخر قد يُستخدم عوضاً عن اللغة. وبمعنى آخر نستطيع القول ان العلامة كمصطلح تعتبر أوسع وأشمل من الكلمة فهي تحتويها وتتجاوزها.

هناك عدة صور للأفعال غير اللفظية ينسب لها فضل إيصال المعنى والرسالة للغير ممن نتصل بهم. فعندما نتكلم لا نعتمد على الكلمات فقط، بل نصدر حركات وأفعالاً تتمثل في تحريك أجسادنا، وأيدينا، بالإضافة إلى الابتسام أو تقطيب الحاجبين. وهذه جميعاً تصدر رسائل غير لفظية للغير. حتى عندما لا نتكلم على الإطلاق أو نصدر حركات تفاعلية غير لفظية، فإن هناك اتصالاً يتم عن طريق تفسير الآخرين لأوضاع مختلفة. مثل قراءة المجلة في وقت معين أو إشعال السيجارة أو طريقة الملبس ونوعها. وهذا يجعلنا نقول أن السلوك الاتصالي الإنساني يتضمن أفعالاً لها عدة عناصر. من هذه العناصر، فهمنا للطرف الآخر، اعتبار واستخدام عامل المسافة أو الحيز عند الاتصال، قطع الأثاث الموجود في مكان الاتصال، وعامل الوقت، والتفاعل عن طريق لفظي أو غير لفظي مع طرف الاتصال المقابل. إن الاتصال بدون كلمات يعطي جزءاً كبيراً من المعاني المشتركة بين الناس. ففي بعض الأحيان يكون الفرد غير قادر على التعبير عن مشاعره ورغباته باستخدام الكلمات أو غير مدرك لحقيقة هذه المشاعر والرغبات. وعن طريق ما يقوم به من حركات جسدية وتعابير وجهه، وإشاراته، ونبرة صوته أو ملامسته للأشياء والغير من حوله، يصدر رسائل اتصالية تعبر عن أحاسيسه ومشاعره يستطيع من يتعامل معه تفسيرها وترجمتها. يذكر (Mehrabian,1968) انه بينما اللغة تستخدم للاتصال بأي شيء، نجد أن السلوك غير اللفظي ليس محدوداً أيضاً. فهو يستخدم للتعبير

عن المشاعر والمودة بين الأفراد، والتفضيل نحو تأكيد أو تعارض الرسالة اللفظية. كما أنها قد تضفي بعداً جديداً للرسالة اللفظية. ويؤكد ذلك الطويرقي بقوله ان «الفعل غير اللفظي يعد حدثاً تفاعلياً بالدرجة الأولى سواء أكان فعلاً مقصوداً أو غير مقصود. فالفعل غير اللفظي غالباً ما يعبر للآخرين عن شئ محدد عن ذواتنا شئنا أم أبينا. وهذه الرسائل غير اللفظية يتم استقبالها بوعي أو بوعي جزئي». ويضيف أن «الرسالة غير اللفظية تظل أكثر لباقة وقبولاً من الرسالة اللفظية. وهذا يجعلها ذات حضور كبير وفاعل في السياق التفاعلي للأفراد. (الطويرقي، ١٩٩٢، ص ٧٠).

مما سبق نخلص إلى أن الاتصال غير اللفظي هو عبارة عن كل فعل غير لفظي يصدر عن الشخص ويعطى معنى معيناً لمستقبل هذا الفعل وهذا يتضمن حركات وأفعال كل جزء في الجسد سواء الوجه أو العينين، اليدين أو الرجلين، وحتى نغمة الصوت ونبرته. وفي الواقع توجد لغة للاتصال غير اللفظي. هذه اللغة لم تُلقن وتُدرس في فصول الدراسة. بل جزء من هذه اللغة يعتبر فطرياً يولد مع الإنسان ويفهمه بذكائه وعقله. والجانب الأكبر من هذه اللغة يتعلم عن طريق تفاعل الإنسان مع غيره وعن طريق الخبرة الاجتماعية المكتسبة من ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه الفرد.

يعرف كل من (Watson,Beebe, & Masterson,1983) الاتصال غير اللفظي على أنه الاتصال الذي يحتوي على نواحي السلوك التي لا تعتمد على اللغة المكتوبة أو المنطوقة، ولكن تعطى معنى بين الأفراد في الموقف الاتصالي. وهذا التعريف يتضمن ليس فقط تلميح نبرة الصوت، بل أيضاً حركات الجسد وأوضاعه المختلفة، الاتصال بالعينين، تعابير الوجه، استخدام الحيز والمسافة الشخصية، المظهر الشخصي، وبيئة الاتصال المحيطة.

أنماط الاتصال غير اللفظي:

أنّ المهتمين بدراسة الاتصال غير اللفظي وتطوير نظرياته ، غير متفقين على تصنيف موحد لأنماطه . على سبيل المثال نجد أن (Friesen, & Ekman, 1969) طور تصنيف يعتمد على المظهر وحالات العرف المتداولة في المجتمع بالإضافة إلى المعاني البين شخصية الخاصة بالرموز . وفق تصنيفهما هناك خمسة أنماط للاتصال غير اللفظي . هذه الأنماط هي :

(١) الرموز . (٢) الايضاحات .

(٣) تصور المظاهر . (٤) التنظيمات . (٥) التكييف .

وفي تصنيف آخر يعرض (Mehrabien, 1970) ثلاثة أبعاد للسلوك الاتصالي غير اللفظي . هذه الأبعاد هي :

(١) التقييم والتقدير . (٢) الفعالية . (٣) الحساسية

ويمكن حصر هذه التصنيفات المختلفة في أربع مجموعات تمثل جميع أنماط الاتصال المواجهي غير اللفظية . هذه المجموعات هي :

(١) المظهر الشخصي .

(٢) نبرات الصوت .

(٣) تعابير الوجه والعينين .

(٤) أوضاع الجسد والإشارات . وفيما يلي عرض لهذه السلوكيات الاتصالية :

(١) المظهر الشخصي:

لا يؤثر المظهر الشخصي فقط على الصورة الشخصية وحسب، بل أيضاً على سلوكنا والآخرين من حولنا. فالمظهر الفيزيائي (ملامح الشخص الخارجية مثل الطول والوزن والحجم) تعطى انطباعاً أولياً للآخرين دون أن يكون هناك كلمات منطوقة. وهذا يؤثر بطريقة أو بأخرى على من نتحدث معه، وهو ما يسمى بلغة التقييم التي تتيح للغير توقع شخصيتنا. يذكر (Zunin, 1973) أنه خلال بضع دقائق يستطيع الفرد أن يكوِّن تصوراً عن الطرف الآخر يزوده بالطريقة المناسبة للتجاوب والتفاعل.

وتمثل الملابس وطريقة الملبس جانباً آخر للمظهر الشخصي. فالملابس تكشف بعض ملامح السلوك وتحدد طريقة التصرف. فالشخص الذي يرتدي ملابس عادية يتصرف بطريقة مختلفة عن الذي يرتدي ملابس رسمية. على سبيل المثال الملبس والاستعداد لمقابلة شخصية تشعر الشخص بأهمية الموقف، وهذا يؤثر على طريقة التصرف والتعامل. بالإضافة إلى ذلك، فإن طريقة ارتداء الثياب ونوعها يميز الفرد عن الآخرين حسب العمر والمكانة الاجتماعية أو الوظيفية.

(٢) نبرات الصوت:

تعتبر نبرة الصوت من مكونات الاتصال غير اللفظي، فهي تعطى معنى مطابقاً أو متعارضاً لما ينطقه الشخص وحالته النفسية والسلوكية. فمثلاً التحدث بصوت عال وبسرعة أو التردد في الحديث (التلكؤ) مقابل الطلاقة والوضوح، تعطي انطباعاً عن الوضع العاطفي والشخصي للمتحدث ومشاعره نحو الطرف الآخر. يذكر الطويرقي أنه «من الطبيعي أن نتعرف

من خلال صوت الشخص المقابل لنا فيما إذا كان هادئاً أو ليناً بأنه يحمل لنا درجة من المودة. أما إذا كان الصوت حاداً وتعلو نبرته الجشة فإن ذلك ينبئ عن العكس تماماً فالصوت يظل أحد المعايير الفاعلة في التعرف على طبيعة الشخص الذي يتفاعل معنا» (الطويرقي، ١٩٩٢م، ص ٦٩ـ٧٠). وعلماء اللغة لهم إسهام في هـذا الجانب يسمى بنظائر اللغة، وهو ما يعني تأثر الكلمة المنظومة بنبرة الصوت، والتغير في مقامات الأصوات، والوقفات التي تتخلل الحديث ودرجة خشونته أو ليونة الصوت. في كثير من المواقف تربط مصداقية المتحدث بطريقة كلامه وصوته. مثل قوة المتحدث وصلابته وثباته عندما يكون طلقاً في حديثه وواضحاً، أو لهجة الرضى والسرور التي تتضح في طبقة الصوت ونغمته. أوضح كل من (Watson & Beebe, Masterson, 1983). أنه أكثر من ٣٨٪ تقريبا من الاتصال بين الأفراد والذي يوضح العواطف ينفذ عن طريق التلميحات الصوتية.

(٣) تعابير الوجه والعينين:

يعتبر الوجه من أكثر أجزاء الجسم الإنساني تعبيراً عن حالة الإنسان السلوكية. فهو يظهر للطرف الأخر معلومات غالبا ما تكون معقدة ومشوشة تسيطر على الانتباه بحكم أنها مرئية ومصاحبة للفعل في وقته. بالإضافة إلى هذا، فهي تنقل متلقيها من الشعور بالتفاؤل إلى عكسه وهو الشعور بالتشاؤم أو اليأس خلال عدة ثوان. وهذا ما يدل على قوة المعنى الذي تعبر عنه. يذكر الطويرقي «ان الوجه غالباً ما يحمل العديد من المشاعر التي تبدو ظاهرة في أي لحظة مع التحول من تعبير إلى آخر وبشكل متسارع يصعب علينا معه قراءة مجمل تعابير وجوه الآخرين. فوجوهنا تخبر الكثير عما يختلج في داخلنا ككائنات تحمل في أعماقها الكثير من المشاعر

والانفعالات. إضافة إلى أن الوجوه تعد بمثابة المرآة العاكسة ليس فقط لما بداخلنا وإنما لما يحدث حولنا ولنا مع الآخرين في الحياة اليومية» (الطويرقي، ١٩٩٢، ص ٦٧).

وتعطي تعابير الوجه معنىً يمكن قراءته لعدد من المظاهر السلوكية منها: معني السعادة، الاندهاش، الغضب، الحزن، الخوف، الاشمئزاز، الاحتقار، الاهتمام والرغبة، الحيرة والذهول أو التصميم والثبات (Ellsworth, Frison, & Ekman, 1972). هذا بالإضافة إلى التعبير عن العواطف والفهم والموافقة أو عدم الموافقة على شئ ما بين المتخاطبين. والمشكلة في تفسير تعابير الوجه قد تكون في خلقة الوجه نفسه وتعقدها ومدى حرص الشخص على متابعة حركات الوجه وضبطها. والإنسان ربما يستطيع السيطرة على تعابير وجهه في المواقف المختلفة عن طريقة ما اكتسبه من خبرة خلال حياته في التعامل مع الآخرين. إلا أن المشكلة تتمثل في أن تعابير الوجه غالباً ما تكون سريعة ووليدة وقتها وتظهر على الوجه بشكل آلي.

وتفسير تعابير الوجه وما ترمي إليه من معنى بشكل منطقي و واقعي، يبقى مطلباً مهماً. وهناك بعض النقاط تساعد معرفتها على تحليل حركات الوجه وما ترمي إليه من معنى. هذه النقاط هي:

(١) درجة الخبرة الشخصية للفرد في قراءة تعابير الوجه من خلال تفاعله مع الآخرين سواء كانوا مقربين له أم لا.

(٢) القدرة على تحليل ومعرفة المحتوى أو الموقف الاتصالي الذي صاحب تعابير الوجه. كحالة السعادة في مناسبة فرح أو الحزن في مناسبة عزاء أو نحوه. كما أن الصفات الشخصية للفرد تؤثر كثيراً في الحكم على

تعابير الوجه مثل درجة الذكاء، الخبرة المكتسبة من الحياة، والسن (Shapiro, 1968). مما سبق نستطيع ان نستنتج أن التلميحات المتبادلة بين الأفراد في الاتصال البين شخصي تعطي دلالة على الاستعداد لتبادل الاتصال بشكل لفظي مباشر والبعد عن الخوف أو الشعور بالعداء أو الريبة والشك. وانه عندما يحاول الفرد البحث عن معلومات عن شخص معين عن طريق ملاحقته بنظراته، فإنه في نفس الوقت يفتح المجال لهذا الشخص لقراءته وفهمه. وربما يكون هذا واضحاً جلياً في الاجتماعات والمناقشات أكثر من غيرها من المواقف.

وترتبط حركة العينين وتوجيه النظرات وفق سلوك وتصرف معين بشكل كبير مع مزاج الفرد وردود فعله تجاه موقف معين. فالعينان تعتبران بمثابة النافذة الحقيقية لفهم نفس وروح الشخص المقابل ممن نتعامل معهم. على سبيل المثال، فان الشخص المتحدث الذي لا ينظر إلى من يتحدث إليهم قد يكون مضطرباً وغير مرتاح، في حين انه إذا كان كثير النظر إليهم فهذا قد يدل على انه واثق من نفسه ومتمكن من معلوماته وموقفه في مقابل هذا، فان المستمع الذي يتحاشى أو لا يرغب النظر إلى المتحدث فانه يصدر رسالة غير لفظية قد تعني التقليل من المتحدث وقدرته على جذب الانتباه والسيطرة على المستمع، وبلا شك هناك تفاعل يحدث بين طرفي الاتصال وبصورة غير منطوقة، بل مرئية عن طريق العينين. هذا التفاعل المرئي مهمته الأساسية جعل الحديث منظماً. لكن هناك فروق فردية في استخدام العينين في الاتصال غير اللفظي، وهذا يعتمد على كل من مرسل ومستقبل الرسالة ومدى العلاقة التي بينهما. فنجد أن الشخص الذي يتصف بالسيطرة وقوة الشخصية يكون كثير النظر في الطرف الآخر في حين أن الشخص الذي

يتصف بالمسالمة والمطاوعة يكون قليل النظر (Barker, 1978). ونضيف إلى ذلك، المكانة الاجتماعية، وطبيعة الموقف الاتصالي بين الطرفين.

يرى (Knapp, 1978) أن العينين والتعبير بهما يتضمن كل ما تتصوره من هيئة العينين وما يرتبط بهما. مثل كبر العين ولونها وحالتها. بالإضافة إلى الحاجبين والرموش والتجاعيد المحيطة بهما. ويضيف أن للعينين أربع وظائف في الاتصال غير اللفظي هذه الوظائف هي:

(١) تنظيم الاتصال. (٢) توفير التغذية العاكسة.

(٣) التعبير عن العواطف. (٤) إيضاح طبيعة العلاقة البين شخصية.

وهذا واضح تماماً، فالإنسان عندما يريد أن يحكم على ردة فعل الآخرين حيال ما قاله، غالباً ما ينظر إليهم ليرى ما إذا كانوا ينظرون إليه أم لا. في هذه الحالة هو يبحث عن تغذية واقعة عن طريق غير لفظي. فالنظر إلى شخص المتحدث كما رأينا قد يعني الانسجام والاهتمام والرغبة في متابعة الحديث، والعكس صحيح. فعند تجنب النظر قد يعني الرغبة في تجنب المواجهة وعدم الرغبة في الاستماع. كما أن تبادل النظرات بصمت بين شخصين قد يعطي معنى الإعجاب أو العكس أو إعطاء إشارة إلى الرغبة في الحديث بين كل منهما.

(٤) أوضاع الجسد والإشارات:

تعتبر حركات الجسد سلوكاً اتصالياً غير لفظي. ففي كثير من المواقف، يقصد بها التعبير أو رمز لشيء معين أو إعطاء معلومات عن الصفات والملامح الشخصية والمواقف المختلفة نحو الأحداث. والحقيقة أن الإنسان لا يرى نفسه إلا من خلال الصور الفوتوغرافية أو المرآة. ولذلك فهو لا

يدرك مدى تأثير حركة جسمه على اتصاله بالآخرين، إذ أن هذه الحركات غالباً ما تكون غير إرادية وتلقائية تصاحب عواطفه وسلوكه خلال تفاعله مع الآخرين. أوضح (Carr, 1979) أن معظم الناس لا يهتمون بوضعية أجسامهم. وغالباً لا يلقون بالاً للكيفية التي يجلسون بها أو يقفون أو يمشون في حين أنه يمكن تعلم الكثير عن مشاعرنا نحو أنفسنا وشخصياتنا وصفاتنا عن طريق ملاحظة حركة و أوضاع أجسامنا. وقد وجدنا أن الوظائف التي يؤديها الجسد لها علاقة بالعواطف والمشاعر. والعواطف غالباً ما تدل على صورة رد الفعل الشخصي للأحداث في حياتنا.

كما تذكر لنا سامية جابر «أن الإنسان أثناء الكلام نادراً ما يكون غير معبر أو متحرك بل أن الوجه يتحرك كثيراً أثناء الكلام وكذلك جسم الإنسان، وهذه الحركات إنما تعبر تعبيراً بالغاً عن المشاعر والانفعالات، والعواطف، وردود الفعل، سواء كانت حركات مقصودة أو غير مقصودة. (جابر، ١٩٩٠، ص ٦٤).

وحركة الجسم وأوضاعه تعتبر بمثابة لغة كأي لغة أخرى منطوقة، ويمكن تعلم هذه اللغة ودراستها وفهمها. معظمنا يعرف قراءة الرموز غير اللفظية إلا أن مزيداً من الوعي عن طريق التعلم والدراسة يضمن لنا فهماً أدق للتعابير غير اللفظية.

ونظراً لتعدد الوظائف والأنماط التي يؤديها السلوك الحركي، غير اللفظي والاتصال المباشر، فقد حدد (Knapp, 1980) خمس وظائف لهذا السلوك. هذه الوظائف هي:

١ ـ الرموز (لغة العلامات للصم، الإشارات).

٢ ـ الإيضاحات (حركات إيضاحية تصاحب الفعل، حركة اليدين الإيضاحية، الإشارات التوضيحية).

٣ ـ المنظمات (كل حركة غير لفظية تنظم الحديث بين الطرفين، تعطي معنى طلب التوضيح من المتحدث أو الاسترسال أو استمرار الحديث ونحوه).

٤ ـ التأثير البارز (التأثير البادي للعيان، الابتسام أو التكشير ونحوه).

٥ ـ التكيفات، (الأفعال غير اللفظية التي تنشأ كردة فعل لاحتياجات عاطفية، العض على الأسنان عند الغضب، تعديل الملابس أو الشعر عند الشعور بعدم الأمان أو بتركيز الآخرين اهتمامهم ونظرهم) و اللمس يعتبر من أكثر أنماط الاتصال غير اللفظي بدائية وفي نفس الوقت أهمية للتعبير عن المشاعر في الاتصال البين شخصي المباشر . فعن طريق اللمس توصل المواقف الشخصية تجاه من نتعامل معهم، بالإضافة إلى العواطف الداخلية المكنونة . وتعتبر ذات قيمة عالية في التعبير عن المودة الشخصية بين الأفراد . إلا أن هذا النمط غير اللفظي في الاتصال له دلالات مختلفة بحسب السن والجنس ودرجة العلاقة بين الأفراد . كما أن العوامل الثقافية لها دور كبير في فهم وتفسير هذا السلوك الاتصالي .

إن الاتصال غير اللفظي أمر لايمكن للفرد ان يتجنبه أو لايمارسه فالإنسان حتى وإن استطاع التحكم في نفسه بعدم الكلام، يظل في اتصال عن طريق ما يقوم به من حركات جسدية ورموز غير منطوقة . وهذا في الغالب يعبر عن حالة الفرد العاطفية وموقفه تجاه الطرف الآخر بالإضافة إلي موقفه من الموضوع الذي يدور حوله الاتصال .

وتعلم وفهم الاتصال غير اللفظي يفيد الإنسان في فهم أفعاله غير

اللفظية . وهذا بدوره يقلل من فرص عدم فهم الآخرين له . وكما رأينا فإنه قد يكون من السهولة بمكان إصدار أفعال ومواقف قد تقود إلى عدم الفهم أو تكون غير مناسبة لموقف معين مما قد يؤثر تأثيراً بالغاً على العلاقة البين شخصية .

وللثقافة أثر كبير في فهم الاتصال غير اللفظي . واختلاف الثقافة بين الأفراد يؤدي إلي عدم الفهم . فالسلوك الاتصالي غير اللفظي في معظمه أمر مكتسب من المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان . وبالتالي فان الاستجابة له وفهمه يعتمد على درجة المشاركة في الخبرة وفي فهم المعاني المقصودة من ممارسته فما هو متعارف عليه في ثقافة معينة قد لا يعني نفس الشيء في ثقافة أخرى . أو ما هو مقبول في ثقافة ما قد لايكون مقبولاً في ثقافة مختلفة عنها كما أشرنا سلفاً . لذلك فإن فهم وتعلم النماذج غير اللفظية لمن نتعامل معهم من ثقافات تختلف عن ثقافتنا يساعد على فهم أفضل لتفسير المقصود من تصرفاتهم غير اللفظية وعلاقتها بالجانب اللفظي المنطوق .

يرى الطويرقي أن «الثقافة تشكل التعابير غير اللفظية بسبب الإدراك الحسي الجمعي ، فالثقافة تحدد شكل وأسلوب الرسالة غير اللفظية والمناسبة التي تصاحبها والحجم المسموح به من التعابير . فالتعبير عن الفرح والحزن من خلال الرسائل الجسدية وحجم التعبير عن هذه المناسبات عاطفياً غالباً ما تحدده الثقافة لأفرادها» (الطويرقي ، ١٩٩٢ ، ص ٢٣٤) .

العلاقة بين الاتصال اللفظي وغير اللفظي:

لا يمكن فهم العملية الإتصالية ودراستها عند فصل الاتصال اللفظي عن غير اللفظي . كما لا يمكن الفصل بين مراحل الاتصال وتقسيمها إلى

لفظي وغير لفظي بمعزل عن بعض. فالحقيقة الثابتة عن الاتصال الإنساني هي انه نظام متكامل من العلامات والرموز اللفظية وغير اللفظية لا يمكن فصله عن بعض، بل يكمل كل جزء الآخر، وهي علاقة معقدة وليست سهلة. (Argyle, 1969) قسم التفاعل الذي يتم بين الاتصال اللفظي وغير اللفظي إلى ستة أنماط كل واحد منها له علاقة خاصة. هذه الأنماط هي (التكرار، التعارض، الإحلال، الإتمام، التأكيد، التعديل). . وقد اتفق معه (Ekman, 1965) على نفس التصنيف في كتابه عن الاتصال عبر السلوك غير اللفظي. وقد عرض (Knapp, 1978) هذا التصنيف في كتابه عن الاتصال غير اللفظي في التفاعل الإنساني.

فيما يلي عرض للأصناف الستة السابقة:

(١) التكــــرار:

في الاتصال غير اللفظي يعني التكرار إعادة الرسالة المنطوقة بطريقه رمزية. على سبيل المثال عند السؤال عن وصف لمكان ما، نجد أن الذي يصف المكان يتكلم بلغة منطوقة وفي نفس الوقت يقوم بإعطاء إشارات غير لفظية عن طريق اليدين أو حركة الجسم. وهذا يعني إعادة الرسالة اللفظية المتمثلة في الوصف عن طريق غير لفظي. وللتأكد من فهم الرسالة لابد من التركيز على جانبيها اللفظي وغير اللفظي. في الغالب يركز الإنسان على الجانب المنطوق أثناء الاتصال. إلا أن ما يجب عمله هو النظر إلى العلاقة بين الكلمات والأفعال الرمزية الأخرى والتي تصدر من الشخص المقابل. يذكر (Bettinghaus,1980) أن الاتصال بالآخرين يتم عن طريق الكلمات وبكل سلوكنا وحركاتنا. وأن ما يعزز المعنى ويوضحه يتمثل في تعابير

الوجه، وأوضاع الجسم، حركة الجسم والرأس، الإشارات بالذراع واليدين. وهذه تعتبر مداخل لتعزيز المعنى أو نقصه حسب استخدامنا لها.

(٢) التعـــــارض:

في بعض المواقف الاتصالية تتعارض الرموز غير اللفظية مع الكلمات المنطوقة في المعنى الإجمالي. وهذا في الغالب يعتمد على الخبرة الشخصية للفرد عن الشخص المقابل - فهو ربما يركز في فهم الرسالة على الجانب اللفظي أكثر من الجانب غير اللفظي أو العكس. إلا أن ما هو معروف في الاتصال الإنساني المباشر هو أن الناس يولون أهمية أكبر للجانب غير اللفظي ويعتبرونه أصدق من الكلمات المنطوقة. لهذا، عندما يحدث تعارض بين ما هو منطوق وما هو رمزي أو غير منطوق. يأخذ ويوثق بغير المنطوق بدرجة أكبر لصدقها في الإشارة إلى الشعور والتفكير. وهذا يرجع إلى أن الرموز غير اللفظية عادة ما تكون عفوية يصعب التظاهر بها أو تزييفها. (Mehrabian, 1983).

(٣) الإحلال:

قد تزودنا الرسالة غير اللفظية بمعنى ملائم يحل محل الكلمات المنطوقة. ومن أمثلة ذلك، التعبير عن السعادة، أو الإحباط، الحماس، الغضب، أو الشكر والتقدير في بعض المواقف يكون هناك ظروف غير ملائمة لا نستطيع معها الكلام. ولرغبتنا في إيصال المعنى، نستخدم طرقاً أخرى للإحلال. على سبيل المثال، عندما نكون في المكتبة العامة، أو مواقف العزاء أو حتى عند الجلوس على كرسي طبيب الأسنان وعدم قدرتنا على الكلام، في هذه الحالات الطريقة الوحيدة للاتصال بالآخرين هي عبر

المعاني غير اللفظية. ولكي يصل المعنى غير اللفظي بشكل مؤثر، لابد أن يكون هناك تعارف بين الأفراد في مجموعة معينة على الرموز غير اللفظية ومعانيها.

(٤) الإتمام (التتميم):

الرموز غير اللفظية أثناء الاتصال قد تضيف إلى معنى الكلمات المنطوقة أو توضحها وتعدلها. فهي تزود المستمع أثناء المواجهة المباشرة بطرق يستطيع بموجبها تحديد معنى أدق للكلمات. ففي مواقف الصداقة والتفاعل الاجتماعي العادي، يتناول الأفراد الابتسامات وربما العناق والربت على الأكتاف، و هو ما يدل على العلاقة الحسنة فيما بينهم. ولكن في مواقف التنافس والصراع يختلف الأمر. فقد يتبدل الشعور بالمودة واللطف إلى سلوك آخر لا تدركه عبر الكلمات المنطوقة ولكن من خلال الرموز غير اللفظية. مثل العض على الأسنان، حركات الجسم التي توحي بعدم الراحة والضجر، وهو ما يوضح المواقف والعلاقات. والاتمام له وظيفة في الاتصال تتمثل في توضيح النوايا الكيفية التي يتم بها عمل ما أو توضيح العواطف والتأكيد عليها.

(٥) التـــأكيـــد:

إن التأكيد بطرق رمزية غير لفظية للرسائل اللفظية ضمن وظائف الاتصال غير اللفظي فاستخدام الإشارات، مثل تحريك الرأس أو اليدين، وهز الكتفين أثناء الحديث يؤكد على ما نود قوله أو إيصاله من معنى. حركات الجسد هذه عادة ما تضيف نقاط تعجب، وعلامات استفهام لما هو منطوق. وفي هذا الجانب نجد أن تعابير الوجه تلعب الدور الأكبر في تأكيد

المعنى والأحاسيس والانفعالات . وكذلك بقية حركات الجسد، فهي تؤكد تعابير الوجه . (Ekman, 1964) .

(٦) التعديل والربط:

الأفعال غير اللفظية تفيد أيضاً في تنظيم وانسياب الحديث بين الأفراد، حيث عن طريقها تعطى إشارات للمتحدث عن طريقة حديثه وموضوعه إذا كان مقبولاً أم لا، أو يحتاج إلى تعديل في استخدام الكلمات، أو نحو قصر أو طول الموضوع . ومن ضمن الإشارات الرمزية التي تعطى معنى التعديل أو الربط، هز الرأس، رفع الحاجبين، التحديق في المتحدث وجميع هذه الإشارات تزود المتحدث بنقلات لطيفة وهادئة في المحادثة مع الغير . وفي الأوضاع الرسمية رفع اليد قد يعني طلب الحديث وتوضيح وجهة نظر الشخص . وكذلك في الأوضاع غير الرسمية ربما طريقة النظر توحي بطلب الدور للحديث .

وهناك تصنيف آخر قام به (Kees, & Ruesch, 1956) يوضح اللغة غير اللفظية في الاتصال البين شخصي . فقد ذكرا ثلاثة أصناف هي :

١ ـ لغة الإشارة (إيماءات) وهذه تمثل كل إشارة يمكن إحلالها محل الكلمة اللفظية أو الأرقام أو الفواصل .

٢ ـ لغة الأفعال وتمثل كل حركات الجسم التي لا تعبر عن إيماءات، بل توضح مطالب الشخص وتصنع جملاً لها معنى يفهمها ويتفاعل معها الآخرون .

٣ ـ لغة القصد أو الهدف وتمثل عرضاً لكل ما له صله بالاتصال وإيصال المعاني ولكن عن طريق غير لفظي مثل الملبس والأعمال الفنية ونحوه .

و كما سبق ذكره حول نظرية Hall عن السياق الثقافي المرتفع والمنخفض، نجد أن هناك اختلافاً حول أهمية السلوك غير اللفظي في الاتصال. إن أصحاب السياق الثقافي المرتفع والذي يعطي أهمية كبيرة للتوجه الجماعي، يرون أن الرسائل غير اللفظية لها أهمية أكبر من الرسائل اللفظية في حين يرى أصحاب السياق الثقافي المنخفض، والذي يعطي أهمية أكبر للتوجه الفردي، يرون أن الرسائل اللفظية المنطوقة لها أهمية أكبر من الرسائل غير اللفظية.

وإذا ما وجد الإنسان نفسه في مجتمع أو مجموعة من الأفراد تختلف عنه ثقافياً، ربما يشعر بالغربة نتيجة عدم فهمه لما يدور حوله من أفعال يقوم بها الآخرون فمثلاً حركة الجسد وأوضاعه المختلفة تبدو له غير عادية، كذلك الإشارات التي يتعاملون بها إن السبب في ذلك هو عدم المشاركة والمعرفة للمعاني غير اللفظية لهذه المجموعة

على سبيل المثال نجد أن المجتمعات الشرق آسيوية تعتبر الحديث مع الغير أثناء الجلوس على الأرض أمراً طبيعياً، وما هو مهم في وضع كهذا هو وضعية الحذاء أو القدمين تجاه من يتحدث معه. في حين نجد أن هذا يعتبر أمراً ثانوياً وليس له أهمية في المجتمع الغربي

وفي صحيفة عكاظ ذكر أن الرئيس العراقي صدام حسين استشاط غضباً عندما وضع عضو مجلس النواب الأمريكي بيل ريتشارد سون ساقاً فوق أخرى خلال اجتماعه به لمفاوضته ومحاولة إقناعهم بالإفراج عن المسجينين الأمريكيين لدى العراق في ذلك الوقت نتيجة لهذا الوضع الحركي الجسماني ترك صدام حسين قاعة الاجتماع ولم يعد إلا عندما عدل عضو مجلس النواب جلسته بإيحاء من المترجم وذكر أن صدام حسين

لامه بشدة على ذلك وقال له انه لا يحترم الضيافة. (عكاظ، ١٩٩٥، ص ١). كما يروى أنه عندما طلب الرئيس جمال عبد الناصر معلومات عن الرئيس الأمريكي تجنسون واهتماماته وسماته الشخصية جيء للرئيس بصور لجنسون ضمن ملف تفصيلي، وهذه الصور للرئيس الأمريكي وهو يضع قدمه فوق مكتبه، وهنا علق الرئيس عبدالناصر على هذه الصورة بان هذا الرجل مغرور ويبدو أنني سأصطدم به. وهذا الانطباع طبيعي لعدم موافقة المعنى الدقيق لجلسة الرئيس الأمريكي للسياق الثقافي العربي. (وجيه، ١٩٩٤). كما يورد نفس المؤلف موقفاً حدث له مع أحد زملائه الياباني الجنسية أثناء دراستهما في الجامعة. فقد اقترح اجتماع للزملاء لمناقشة مسائل دراسية وهز الياباني رأسه وفهم من ذلك موافقته على الاجتماع. ولكنه لم يحضر. وعندما سأل عن عدم حضوره رغم موافقته غير اللفظية عن طريق هز الرأس، ذكر أن حركة رأسه تعني في الثقافة اليابانية الاستماع والإنصات الجيد للمتحدث وليس الموافقة.

«كما أن إيماءة الرأس تشير في بعض الثقافات إلى معنى الموافقة والتأييد، بينما تعني الرفض في ثقافات أخرى» (جابر، ١٩٩٠، ص ٦٤). والاتصال عن طريق استخدام العينين أيضا له أبعاد ثقافية وفروق كبيرة. فمثلاً أغلب الشعوب الآسيوية لا تقبل تحديق العينين مع المتكلم وخاصة إذا كان أكبر سناً أو مكانة اجتماعية. فنرى أن اليابانيين لا ينظرون للوجه أثناء الحديث بل ينظرون إلى العنق. وكذلك الهنود الأصل في أمريكا اللاتينية ينظرون إلى أي شيئاً آخر غير وجه المتحدث. ونجد أن الشعوب العربية عندها نفس هذا السلوك عند التحدث مع من هو أكبر سناً أو على قدراً ومكانه. وقد نفسر النظر الطويل للشخص على أنه عدم احترام أو

نوعاً من التهديد (Argyle, 1983) . وفي المقابل نرى أن الشعوب الأوروبية لها نظرة معاكسة . حيث يعتبرون عدم النظر للمتحدث نوع من التجاهل وعدم الاحترام . وقد أورد (Barna & Smutkupt, 1976)أن الغمزة أو الومض بالعينين يعني في أمريكا الشمالية أن الشخص المصدر لها يفكر ويفحص شيئاً ما يدور حوله الحديث أو يعني ضمناً مغازلة الطرف الآخر . في حين أنها تعني عند النيجيريين طلب مغادرة المكان خصوصاً عندما توجه للأطفال . وفي الهند قد تعني الإهانة .

وتكاد تكون تعابير الوجه ، التي تصدر معلومات عن العواطف والانفعالات ، متشابهة في معظم الثقافات . وهذا راجع إلي أنها تعتبر حركات ناتجة عن تمازج بين وظيفة الوجه وأجزائه المكونة له مع حركة الأعصاب المتصلة بهذه الأجزاء . وهي في الغالب حركات لا إرادية تتوافق مع طبيعة الموقف الاتصالي . إلا أن Martin يذكر أن الآسيويين واليابانيين على وجه الخصوص يخفون بعض عواطفهم . فمثلاً الشعور بالحزن يخفونه برسم ابتسامة على محياهم .(Martin, 1976) .

والاتصال عن طريق اللمس يعتبر طبيعياً ويستعمل بكثرة لدى المجتمعات العربية مثل وضع الأيدي في بعضها أو على الكتف للطرف الآخر ، وكذلك التقبيل عند التحية على الوجه خصوصاً عندما يكون الوقت الذي لم يشاهد فيه كل طرف الآخر طويلاً . هذا السلوك الاتصالي ربما يكون غير مقبول ويفسر تفسيراً مغايراً عند مجتمعات أخرى . أوضح الطويرقي ، أن «الاتصال الجسدي دليل الرابطة الجيدة في الثقافة العربية . أما في الثقافة الغربية فتأخذ الحركات الجسدية معاني مختلفة قد تصل إلى درجة الاشمئزاز خاصة بالنسبة للرجال . فهي تحمل معاني ودلالات ثقافية تختلف عن مثيلتها العربية تماماً» . (الطويرقي ، ١٩٩٢ ، ص٧١) .

والثقافة المكتسبة من المجتمع والبيئة التي يعيش فيها الفرد في معظم المواقف الاتصالية توجه الفرد وتزوده بالطريقة التي يتجاوب بها مع الآخرين وخصوصاً فيما يتعلق بالسلوك الاتصالي غير اللفظي، وان فهم العلاقة بين المعنى المنطوق وغير المنطوق في ظل الاختلاف الثقافي يُمكّن الفرد من تفادي سوء الفهم، بالإضافة إلي الفهم الدقيق للمعاني غير اللفظية في الثقافات الأخرى الجديدة عليه.

حصاد الدراسة

لقد كان هدف البحث هو توضيح العلاقة بين السلوك الاتصالي المواجهي بشقيه اللفظي الشفهي (المنطوق) وغير اللفظي (الرموز) والتفاعل الذي يحدث أثناء التفاوض، في ظل الاختلاف الثقافي بين طرفي التفاوض.

وللوصول إلى هذا الهدف جمعت معلومات عن الثقافة وعلاقتها بالاتصال المواجهي بين الأفراد وكذلك أثر الاختلاف الثقافي على عملية التفاوض نفسها. ولما كان التفاوض ما هو إلا اتصال مباشر بين طرفيه فقد كان لزاماً إيضاح أثر الاختلاف الثقافي على عنصري الاتصال المواجهي الرئيسيين وهما الشفهي اللفظي وغير اللفظي.

ومن خلال تحليل ومناقشة المعلومات التي جمعت عن العناصر السابقة الذكر، اتضح أن هناك علاقة قويه بين الثقافة من جهة وبين الاتصال بشكل عام من جهة أخرى. وهذا بدوره يدل على وجود علاقة أيضاً بين الثقافة والعملية التفاوضية.

فالثقافة تعتبر الوعاء الشامل الذي يحوي بداخله جميع نواحي السلوك

البشري سواء كان سلوكاً فردياً أو جمعياً . ويمكن النظر للثقافة على أنها مجموع أنظمة من العلاقات متعددة ومتنوعة وأيضاً متدرجة ومتداخلة ولدراسة هذه الأنظمة، لابد من النظر لها من مناحي مختلفة منها الاجتماعي والاقتصادي والتربوي والسلوكي والايديولوجي .

والسلوك الاتصالي هو سلوك دال بالإضافة إلي كونه مشتركاً بين أعضاء الجماعة الواحدة ومنسقاً ومنتظماً، حيث يخضع لقوانين تحكمه . إلا أنه سلوك متحرك أي قابل للتغير وفق متغيرات واعتبارات يفرضها المجتمع . كما أن الثقافة تمثل وسيلة من وسائل توحيد مظاهر الحياة الاجتماعية وتنظيمها وآلية خاصة لتخزين المعلومات وتنسيقها . ومن هذا المفهوم يمكن النظر للثقافة على أنها ذاكرة المجتمع وأنها تلعب بالنسبة للجماعة الدور الذي تلعبه الذاكرة الفردية في حياة الإنسان في حفظ المعلومات وفي الربط بينها وتصنيفها .

ولكل أمة ثقافتها التي تميزها عن غيرها من الأمم . وهذا يعني أن السلوك بشكل عام والسلوك الاتصالي بشكل خاص يختلف من جماعة إلى أخرى كنتيجة للاختلاف الثقافي . ومحاولة فهم نقاط الاختلاف والتشابه تساعد الإفراد من ثقافات مختلفة على سرعة فهم بعضهم البعض وتقليل فرص عدم التوافق والانسجام .

وا لاصطدام بالآخرين على المستوى الفردي أو المؤسسي أو الدولي يعتبر ظاهرة طبيعية في الحياة البشرية وينبغي اعتباره مشكلة قابلة للحل لتعزيز مواقف كل من الطرفين والتقارب بينهما عن طريق التفاوض . ولأن هناك كثيراً من الفوارق والاختلافات في الخصائص والصفات بين

الشعوب، فمن المحتمل أن طرق إدارة وحل الخلافات والمطالب التي يضعها طرف النزاع تمثل عقبة يجب التغلب عليها للوصول إلي اتفاق.

فالتفاوض على أساس إدراك احتياجات وسلوك كل طرف للآخر كنتيجة للاختلاف الثقافي يجعل تجاوز هذه العقبة ممكناً ويهيء مناخاً مناسباً للتفاهم والتقارب. والمفاوضون غالباً ما يحاولون إخفاء أهدافهم وينتهجون لتحقيق ذلك سلوكيات مختلفة مصدرها الأساسي المعايير الاجتماعية المتعارف عليها في مجتمعاتهم. لذلك لابد من التنبه إلي أن من بين الضوابط التي تخضع لها أساليب التفاوض، ضوابط ثقافية ونفسية.

إن حدوث فهم خاطئ لمقولات المتحاورين عبر الثقافات المختلفة يؤدي إلى حدوث سوء فهم قد يصل في بعض الأحيان إلى حالة تصارعية كبيرة. ولذلك فان اكتشاف الفروق الفردية وردها إلى عوامل اختلاف الثقافة وأنماط التفكير واللغة المستخدمة أدى إلى اهتمام كبير بدراسة حالات التفاوض في إطار هذا المنظور الثقافي. (وجيه، ١٩٩٤).

والمفاوضات عبارة عمل وسلوك من أجل تطوير وزرع الثقة والتفاهم والموافقة والاحترام بين أطرافها. وهي كذلك السلوك الذي تتخذه في تعاملك ونغمة صوتك والموقف الذي تريد توضيحه وإيصاله، والطرق التي تستعملها، والاهتمام الذي تبديه تجاه مشاعر الطرف الآخر ومطالبه. واستعمال البراعة والذكاء يعد أمراً لا يمكن إغفاله. ولكن الاهتمام بمنزل ومقام الطرف الآخر، والنظر للمشكلة من وجهة نظره هو والاستماع إليه أمر بالغ الأهمية لإنجاح المفاوضات. ومن الصعب أن تتم المفاوضات بطريقة فاعلة ومجدية ان كان يخيم عليها جو العداء وعدم الفهم. وعليه فلابد من إيجاد أرضية مشتركة بين الأطراف يتم من خلالها التعرف على العوامل

المشتركة ونقاط الاختلاف وبالتالي يكون هناك فرصة اكبر للتفاهم. وهذا يتم عن طريق التعرف على الهوية الثقافية التي تؤطر السلوك الشخصي للإنسان . كما أن تثبيت دعائم الصراحة والوضوح وعدم جرح شعور الآخرين وإحراجهم عن طريق مهاجمتهم ينمي الثقة التي ينشأ عنها التفاعل والتبادل الإيجابي لوجهات النظر. وهذا يقوي فرص التوصل لحلول فاعلة للمشكلة وتحقيق أهداف التفاوض.

وللتفاوض بنجاح في ظل الاختلاف الثقافي، يجب على المفاوض جمع أكبر قدر من المعلومات عن الطرف الآخر دون إغفال أي معلومة مهما بلغ حجمها أو أهميتها. ومس خلال هذه المعلومات يتم التعرف على شخص المفاوض وسلوكه وإيجابياته وسلبياته والملامح العامة التي تحكم تفكيره وتصرفاته. فالمفاوضات التي تتضمن تداخلاً ثقافياً يكون هناك مصالح متفرقة وفي مثل هذه المواقف تؤدي بعض العوامل مثل الغموض ونقص الوعي أو إساءة التفسير فيما يتعلق بالمقاييس الثقافية للغة والسلوك والنظر للعلاقات إلى زيادة تعقيد الموقف.

كما يجب على المفاوض التدرب على بعض المهارات الاتصالية الأساسية مثل:

١ ـ الطلاقة والوضوح أثناء الحديث بحيث يكون مستوعباً استيعاباً كاملاً للموضوع الذي يتحدث فيه وينتقي كلماته بعناية بحيث تكون مفهومه وواضحة وان لا تكون كلمات غريبة غير مستعملة.

٢ـ أن يتجنب جرح شعور الطرف الآخر أو إيذاء مشاعره سواءً بطريق مباشر أو غير مبا شر. والتعرف على الهوية الثقافية يسهل الأمر كثيراً فما قد يؤذي مشاعر شخص من ثقافة معينة قد لا يكون كذلك في ثقافة أخرى

فالثقافة تحدد ما هو مقبول أو غير مقبول كمعايير وأعراف يتعارف عليها أفرادها.

٣ ـ فهم العلاقة بين الاتصال اللفظي والاتصال غير اللفظي والتدرب على مهارات الاتصال غير اللفظي التي قد تكون مفيدة للمفاوض في تحسين طريقته الاتصالية بحيث يكون أكثر وضوحاً وفهماً. ومن هذه المهارات ما يلي:

- أن يتفادى سيطرة مشاعره وعواطفه على سلوكه الاتصالي بحيث تكون واضحة ومقروءة من الطرف الآخر. مع مراعاة الفوارق الثقافية في ذلك. ويفضل أن يسأل عند مشاهدة أو ملاحظة أي حركة أو تصرف أثاره أو أربكه عن سبب ومعنى هذا أو ذاك السلوك. فربما يكون التصرف أو السلوك مقبولاً في ثقافة مصدره وغير مقبول في ثقافته هو ويتم السؤال لتجاوز سوء الفهم.
- فهم وظيفة العينين في الاتصال وما هو مسموح أو غير مسموح من ثقافة إلي أخرى. فبعض الثقافات تتفادى التحديق بالعينين أو حتى النظر لوجه المتحدث ويعتبرون ذلك من الأدب. في حين انه في ثقافات أخرى يعتبر عدم النظر للمتحدث قلة احترام وتهذيب. أيضاً هناك فروق فيما يخص النظر بين الرجل والمرأة.
- الأهتمام بالمظهر الشخصي. إذ أنه يؤثر كثيراً في نظرة الآخرين للفرد ومدى قبوله من عدمه. فالمظهر الشخصي وطريقة الملبس تعكس صورة واضحة عن الذوق والسلوك والتفكير.

وكلمة أخيرة، ان الاختلاف الثقافي يعنى اختلاف السلوك الإتصالى اللفظي منه وغير اللفظي. ولكي يكون الاتصال ناجحاً، خاصة في المواقف

التفاوضية، لابد من تنمية ادارك وفهم هذه الفروق الثقافية والتعامل معها بعقلانية. فالثقافة ملازمة لكل عناصر السلوك الفردي وعلى الأخص السلوك الاتصالي. ومن خلال الرسائل الإتصالية التي تصدر مس الفرد يستطيع الآخرون الحكم على ذلك الشخص من حيث مكانته الاجتماعية وهويته الثقافية. حتى نبرة صوته وطريقة ملبسه تؤثر على تقييم الآخرين لمعنى ما يقوله والإحساس تجاهه.

المراجـــــع

أولاً: المراجع العربية:

- الرميحي، محمد. واقع الثقافة ومستقبلها في أقطار الخليج العربي، المستقبل العربي ، العدد ٤٩ ، مارس ١٩٨٣م.
- عويس، عبد الحليم. ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة . النادي الأدبي بالرياض، ١٣٩٩هـ.
- اسماعيل زكي محمد. الأنثربولوجيا والفكر الإسلامي، عكاظ للنشر والتوزيع، جده، ١٩٨٢م.
- عبد الوهاب، جلال العلاقات الإنسانية والإعلام، ذات السلاسل، الكويت. ١٩٨٤م.
- الشمال، انشراح . مدخل إلى علم الاجتماع الإعلامي مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٥م.
- السلمى، على. السلوك الإنساني في الإدارة ، مكتبة غريب، القاهرة. د. ت.
- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، بيروت، دار لسان العرب، بدون تاريخ.
- المنجد في اللغة والإعلام ، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٢.
- أبو ريا، امين محمد، مهارات التفاوض ، مركز تدريب بترومين، الرياض، ١٩٨٩م.

- الخضيري، محسن احمد. التفاوض ، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٨.
- عفيفي، صديق محمد. سعد، جرمين. التعاون الفعال في الحياة والأعمال ، مكتبة عين شمس، ١٩٨٦.
- جابر، سامية محمد. الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث: النظرية والتطبيق. دار المعارف الجامعية، إسكندرية، ١٩٩٠.
- الطويرقي. عبدالله مسعود. علم الاتصال المعاصر: دراسة في التأسيس المغربي للمفاهيم والأنماط، الطبعة الأولى. مطابع الفرزدق التجارية. الرياض. ١٩٩٢.
- جريدة عكاظ ، العدد ١٠٥٦٨ ، الخميس ٢٢ صفر ١٤١٦هـ الموافق ٢٠ يوليو ١٩٩٥م، ص ١
- ابوه يف، على صادق. القانون الدولي العام ، الجزء الأول، الطبعة الثانية عشرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٥
- فيشر، روجز. براون، سكوت، نحو التآلف والاتفاق ، ترجمة محمد رضوان، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١م.
- وجيه، حسن محمد. مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي. عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٤م، ص ١٣٥ - ١٤٢.
- وجيه، حسن محمد. التفاوض وإدارة المقابلات . مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٧م، ص. ١١٠.

ثانياً: المراجع الانجليزية:

1. Argyle, Michael. Social Interaction . Atherton press, New York, 1969, p. 70.
2. Argyle, Michael. The Psychology of Interpersonal Behaviour . Fourth Edition, Penguin Book, England, 1982. p . 95.
3. 709 3.A, N ند . Womack, D. "Communication and coflict Management Across Cultures . Paper presented at the International Political Science Association Convention, Rio de Janeiro, August, 1982. p .8
4. Bacharach, S.B.& Lawler, E.J. Bargaining: Power, Tactics, and Cutcomes . San Francisco: Jossey-Bass, 1981. p 125.
5. Barker, Larry. L. Communication, Prentice Hall, Inc. Englewood Cliffs, New Jersey, 1978. p .89.
6. Bazerman, M.H. R.J. Lewicki, and B.H. Shappard. Research on Negotiation in organizations . Vol.3. Greenwich, CT: JAI 1991
7. Bettinyhaus, Erwin. Persuasive communication , 3rd ed. New York, Holt, Rinchart and Winston, 1980. p 128.
8. Biesanz, J. Modern Society: An Introduction to Social Sciences. Prentice - Hall, Englewood Cliffs, N.J .1963 .p . 178 -709
9. Boas, F "Anthropology" Encyclopaedia of the Social Sciences , Vol.2, New York, 1930. p 75
10. Carr, Jacqualyn, B. Communicating and Relating , Benjamin cummings publishing Company, Inc. Menlo Park, 1979. p 203.
11. Douglas, W. Affinity-testing in initial Interaction . Journal of Social and personal Relationships, 4,3 -15, 1987. p .8.
12. Ekman, Paul. Body position, Facial Expression, and Verbal Behavior During Interviews , Journal of Abnormal and Social Pcychology, 68, 1964, and p .295.
13. Ekman, Paul. and Friesen, Wallace. "The Repetine of Nonverbal Behavior: Origins, Usage, and codings , Semiotica, 1. 1969, p. 49
14. Ekman, P. Friesen, W. and Ellsworth, P. Emotion in the Human Face ; Guidelines for Reseach and on Integration of the Find ings, Pergaman Press, New York, 1972. p .57

15. Ekman, Paul. Communication through Nonverbal Behavior a source of information about an interpersonal Relationship, an effect, congnation and personality , New York, Springer, 1965
16. Folger, J&Pool, M. Working Through Conflict: A communication Perspective , Glenview, IL: Sott, Foremen,1984. p 124
17 Grice, H.P. Logic and conversation New York; Academic press, 1975. P 107
18. Hall, E.T. Beyond culture. New York: Anchor Press, 1976. P 101
19. Ho, D.Y. On the Concept of Face American Journal of Sociology, 81, p.p .867-884 , 1976.
20. Hoijer, Harry, The sapir-Whorf Hypothesis, In Intercultural Communication , Belmant Calif: Walsworth, 1976. p.116
21 Knapp, Mark.L. Essentials of Nonverbal Communication Holt, Rinehart, & Winston, New York, 1980, p
22. Knapp, Mark. Nonverbal Communication in Human Interation. Second Edition, Holt, Rinchart and Winston, New York, 1978.
23 Leech, G.N. Priniples of Praymatics New York. Longman, 1983
24 Linthicum , L . Negotiating with chinese (PRC) Government Agencies and Businesses Paper presented at the speech communication Association Convention, San Antonio, Novemberm 1979, p 116.
25 . Linton, R. The study of man N Y ., Appliton - Century Crafts, 1936.
26 Ma rtin, Gail.M. "Intercultural Differential Decading of Nonverbal Affective Communication» International and Intercultural Communication Annual, 3. 1976, p .44
27. Masterson, John. Beebe, Steven. and Watson, Norman, Speech Communication , Theory and Practic e Holt, Rinehart and Winston, New York, 1983. p 114-126
28. Mehrabian, Albert. Communication without words , Psychology Today, Februray 1968. p 53
29 Mehrabian, Albert. "A Semantic Space for Nonverbal Behavior» Journal of conculting Psychology, 34, 1970, p 248
30 Munn, Norman. L. "The Effect of Knowledge of the Situation upon

Judgment of Emotion from Facial Expressions» , Journal of Abnormal and Social Psychology, 35, 1940, p.324.

31. Morley, I & Stephenson, G. The Social Psychology of Bargaining. London: Allen and Unwin, 1977. p 104.

32. Nicoloson, Herold. Diplomacy , New York: Oxford University Press, 1964. p .4.

33 Ogburn, W. & Nimkoff, A. Handbook of Sociology , London, 1960.

34. Okabe, K. Indirect Speech acts of the Japnese. New York Academic Press, 1987 .

35 . Patton, R. Bobby, and Giffin, Kim. Interpersonal Communication in Action . Harper & Raw, publisher, New York, Third Edition, 1981. p 3.

36 Pye, L. Chnice Commercial Negotiating Style Cambridge, M.A: Oelgeschlager, Gunn, and Hein, 1982 .p 11

37. Rhoads, D. "Cultural Influances on negotiations with Latin American paper presented at Academy of management Convention Dallos », August, 1983. p.11

38. Ruesch, Jurgen, and Kees, Wellon. Nonverbal Communication: Notes on the vicual perception of Human Relations University of California Press, Berkely and Los Angeles, 1956.

39. Shapiro, Jeffrey.G. "Responsivity to Facial and Linguistic Cues» , Journal of Communication 18, 1968, p 11

40. Smutkupt, Suriya, and La Ray Barne. "Impact of Nonverbal Communication in an Intercultural Setting : Thailand" International and Intercultural Communication Annual, 3, 1976, p 130

41. Ting-Toomey, S. Intercultural Conflit Styles: A face-negotiation theory . Nanbury Park, CA: Sage, 1988. p 209 - 217 - 213

42 Trenholm, Sarah. Human Communication Theory . Prentice - Hall, Englewood Cliffs, New Jersey, 1986.

43 Tylor, E. Primitive Culture . John, Murray, London, 1913. p .5.

44 Williams, R.M. Mutual Accommadation: Ethnic conflict and cooperation . M inneepolis: University of Minesota Press, 1977 p. 192.

45. Yum, J.O. The impact of Confuncianism on interpersonal relationship and communication patterns in East Asia Communication Monagraphs, 55, pp .374-388, 1988

46. Zartman, William, and Berman, Maur een. The practical Negotietor Yale University Press, New Haven and London, 1982. p 226.

47 Zunin, Leonand. Contact: The First Four Minutes , Ballantine, New York, 1973

حضانات رجال الأعمال والأمن الاقتصادي(*)

أ.د. سعد أحمد الجبالي(**)

مقـــــدمة:

للمساهمة في القضاء على البطالة بين الشباب وتحقيق التنمية التكنولوجية والأمن الاقتصادي فقد اتجهت الأنظمة بصفة عامة والأنظمة التعليمية بصفة خاصةبدلاً من التركيزعلى تخريج موظفين إلى التركيز على إعداد رجال أعمال (Enterpreneurs) يملكون روح المبادرة والإقدام والإنجاز . ويعد الاقتصادي الفرنسي (جين بابتسايت ساي Jeam Baptsite Say) أول من قدم مصطلح (Enterpreneur) عام ١٨٠٣ , (7:4) (16:28) . ولقد تعددت تعريفات رجل الأعمال بالمفهوم السابق، ومن أفضل هذه التعريفات : أنه الشخص الذي يرى ما غاب عن الآخرين، مع العمل الدؤوب على تجسيد هذه الرؤية، أو هو الشخص الذي يقتنص الفرص، ويسخر الموارد المناسبة لتنفيذ أفكار ابتكارية في شكل مشروعات أعمال لها صفة المغامرة المحسوبة بدقة (6:x, 3) .

(*) كان الباحث قد تقدم بورقة عمل حول هذا الموضوع بعنوان الحضانات وسيلة فعالة لإعداد رجال الأعمال الشبات وتحقيق التنمية التكنولوجية للملتقى العربي الثالث للجمعية العربية للإدارة، القاهرة ٨-٩/ ١٠/ ١٩٩٧م.

(**) معهد التنمية الإدارية - دبي - الإمارات العربية المتحدة

تساؤلات البحث:

ومن خلال الإطار السابق فإن هذا البحث يحاول الإجابة على التساؤلات التالية:

١ ـ ما الخصائص الواجب توافرها في رجل الأعمال طبقاً للمفهوم السابق[١]؟

٢ ـ ما النموذج المقترح للحضانات كإحدى المراحل الهامة لإعداد رجال الأعمال الشبان؟

٢ ـ ما جوانب التطوير الذي يجب إدخاله على مناهج التعليم بصفة عامة والتعليم الجامعي بصفة خاصة لتخريج رجال أعمال بمفهوم (الإنتربونيز) للاستفادة بالحضانات كوسيلة لتحقيق التنمية بصفة عامة؟

٤ ـ كيف تسهم الحضانات في تحقيق الأمن الاقتصادي في الدول العربية كمنطلق لتحقيق الأمن بصفة عامة؟

ولقد تم الإجابة على هذه التساؤلات باستخدام الأسلوب المكتبي من خلال إخضاع الأدبيات الحديثة ذات العلاقة للدراسة باستخدام جناحي

(١) يستخدم مصطلح «رجل الأعمال» في هذا البحث للدلالة على المصطلح الفرنسي الأصل (Enterpreneur)، وإن كان الباحث لا يجد غضاضة في أن يستخدم الباحثون اللفظة العربية للمصطلح الفرنسي «إنتربرنير»، فاستثراء اللغة العربية بإضافة مثل هذه المصطلحات يعد أمراً مقبولاً، فقد استعمل القرآن الكريم الألفاظ الأعجمية مثل «سندس واستبرق» كما يعد شيوع تداول لفظة «البيروقراطية» ولفظة «الديمقراطية» شاهداً على ذلك، كما أن بعض اللغات الأجنبية تثري نفسها باستعارة ألفاظ ومصطلحات من اللغة العربية دون حساسية، لا سيما اللغة الفرنسية

التفكير العلمي وهو التفكير الاستقرائي (Inductive reasoning)، والتفكير الاستدلالي (Deductive reasoning) إضافة إلى خبرة الباحث في التعامل مع بعض مشكلات استحداث وإدارة الحضانات من خلال اتصالات مع بعض المسؤولين في الصندوق الاجتماعي للتنمية في مصر

تنظيم تقرير البحث:

للإجابة على تساؤلات البحث فقد تم تنظيم تقرير البحث في ثلاثة مباحث، حيث تناول المبحث الأول خصائص رجال الأعمال، أما المبحث الثاني فيعرض لكيفية إعداد رجل الأعمال، ويبرز المبحث الثالث العلاقة بين حضانات رجال الأعمال والأمن الاقتصادي.

المبحث الأول: خصائص رجل الأعمال:

تزخر الأدبيات المتخصصة بالعديد من الكتابات التي تحدد السمات والكفاءات والقابليات التي يجب توفرها في رجل الأعمال بالمفهوم السابق. (راجع على سبيل المثال مراجع ٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٤). وقد قدم كلو (Clow) ورفاقه قائمة متميزة بهذه الخصائص تتضمن عشرين بنداً مقسمة إلى ثلاث مجموعات ومرتبة ترتيباً تنازلياً حسب مدى تأثيرها على نجاح رجل الأعمال، وذلك من واقع نتائج الدراسات التي أجريت على عينة من مشاهير رجال الأعمال، وفيما يلي عرض لهذه القائمة (7:8).

قائمة بترتيب الخصائص الواجب توافرها في رجل الأعمال حسب مدى تأثيرها على نجاحه:

أولاً: الخصائص الأكثر أهمية لتحقيق النجاح

١ ـ المثابرة
٢ ـ الرغبة والإرادة في المبادرة.
٣ ـ روح المنافسة.
٤ ـ الاعتماد على النفس.
٥ ـ الحاجة القوية للانجاز
٦ ـ الثقة بالنفس.
٧ ـ الصحة الجسمانية

ثانياً: الخصائص الهامة لتحقيق النجاح:

١ ـ إدارة المخاطر.
٢ ـ مستوى عال من الطاقة.
٣ ـ القدرة على التعايش مع العاملين.
٤ ـ القدرة على التغير
٥ ـ الرغبة في التجديد

ثالثاً: أقل الخصائص أهمية في تحقيق النجاح:

١ ـ القدرة على القيادة بفاعلية.
٢ ـ تقبل عدم التأكد.
٣ ـ الحب الشديد للمال.

٤ ـ الصبر .
٥ ـ أن يكون منظماً
٦ ـ الحاجة إلى الإحساس بالقوة .
٧ ـ الحاجة إلى الارتباط الوثيق مع الآخرين .

ومن الأمور اللافتة للنظر في الأدبيات ذات العلاقة التي تم مراجعتها هو خطأ الاعتقاد السائد بأن الربح هو الدافع الوحيد لرجل الأعمال بمفهوم «الانتربرنير»، حيث تؤكد هذه الأدبيات على أن الرغبة في الاستقلال وحب الإنجاز يكون لهما الأولوية ولقد عبر «كلو Clow وزملاؤه» عن ذلك بقولهم :

Profits are not the entrepreneurs sole motivation. Research shows that entrepreneurs are motivated primarily by a desire for independence and a need for achievement. Traditional microeconomic models that assume profit maximizing behaviour do not properly explain the dynamic of the entrepreneur. (7: xii).

ولقد أشار ملخص السلسلة الفيلمية الذي أعدته المكتبة الفيلمية للمركز الثقافي الأمريكي بالقاهرة عن خصائص رجل الأعمال بالمضمون السابق وذلك بعبارة أكثر دلالة عندما أوضح أنه ينظر إلى عملية تكاثر الأموال على أنه مؤشراً على الإنجاز وتحقيق الذات ولقد تم التعبير عن الاستمتاع بذلك كما يلي :

'The pleasure that comes from maximizing potential in work and participating in the synergy of a creative endeavour. A by-product is making a lot of money (4:6).

المبحث الثاني: كيفية إعداد رجل الأعمال:

اتضح من مراجعة الأدبيات المتخصصة ذات العلاقة أن رجل الأعمال

يمر بمرحلتين رئيستين: مرحلة الإعداد الصفي، ومرحلة الإعداد الميداني من خلال حضانات رجال الأعمال، وبناء على ذلك فقد تم تقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، حيث يتناول المطلب الأول مرحلة الإعداد الصفي، أما المطلب الثاني فيعرض لمرحلة الإعداد الميداني، ويخصص المطلب الثالث للحضانات الجامعية كوسيلة للتنمية التكنولوجية.

المطلب الأول: مرحلة الإعداد الصفي:

تتضمن هذه المرحلة فئتين من المعارف والمهارات والاتجاهات فئة المعارف والمهارات والاتجاهات الاقتصادية، وفئة المعارف والمهارات والاتجاهات الخاصة بانشاء وإدارة المشروعات المصغرة.

أولاً: فئة المعارف والمهارات والاتجاهات الاقتصادية:

قدم المجلس المشترك للتربية الاقتصادية بالولايات المتحدة الأمريكية في التسعينيات من هذا القرن مادة تعليمية مقترحة في مجال الإعداد الاقتصادي اللازم لرجل الأعمال بمفهوم (النتربربير)، وقد تم تنظيم هذه المادة التعليمية في سبع عشرة وحدة صغيرة (موديول Module) مع الأنشطة التعليمية اللازمة لتعلم المعارف والمهارات والاتجاهات المناسبة لكل «موديول» وتتمثل هذه «الموديولات» فيما يلي (64 - 7:3)

١ ـ رجلا الأعمال الماضي والحاضر

٢ ـ هل يمكن أن أكون رجل أعمال.

٣ ـ ما يجب على رجل الأعمال معرفته

٤ ـ الندرة وأثرها في اتخاذ القرارات الاقتصادية

٥ ـ دور رجل الأعمال في الاقتصاد .
٦ ـ الأسواق والتدفق الحلقي لعناصر الاقتصاد في النظام الاقتصادي .
٧ ـ ماهية الابتكارات التي يقدمها رجل الأعمال .
٨ ـ آثار الابتكارات التي يقدمها رجل الأعمال على الاقتصاد .
٩ ـ الطلب : ما يريد المستهلكون دفعه .
١٠ ـ العرض : ما الكمية التي يجب أن أنتجها؟
١١ ـ كيف يتحدد السعر المناسب «التوازن السوقي»؟
١٢ ـ الأرباح ورجل الأعمال؟
١٣ ـ ما الشكل القانوني للمشروع الذي أرغب في تأسيسه؟
١٤ ـ قرارات الاقتراض والعوائد المتوقعة .
١٥ ـ الأسواق التنافسية .
١٦ ـ الطلب على العمالة .
١٧ ـ رجل الأعمال والتدخلات الحكومية .

ويوصي الباحث بالاستفادة من هذه المادة التعليمية وما تتضمنه من معارف ومهارات واتجاهات وأنشطة تعليمية في تطوير منهج لمقرر أو أكثر في الاقتصاد في الكليات العملية ليناسب الاتجاه إلى التركيز على تخريج رجال الأعمال .

كما يوصي الباحث بإضافة «موديول» في «رجال الأعمال ومتطلبات السلوك الملتزم» وذلك لتسليح رجال الأعمال الشباب بقيم السلوك الإنساني القويم في مجال النشاط والمعاملات الاقتصادية الأمر الذي يسهم في الحد من بعض الجرائم الاقتصادية مثل جرائم الغش والاحتيال والجرائم ذات الصلة بالإغراق الاقتصادي والاحتكار .

ثانياً: فئة المعارف والمهارات والاتجاهات الخاصة بانشاء وإدارة المشروعات الصغيرة:

ويقترح أن تتناول هذه الفئة المحاور التالية:

١ ـ العمليات الفنية والاقتصادية والمالية والتسويقية الي يتطلبها إنشاء المشروعات الصغيرة وما يتصل بها من دراسات جدوى.

٢ ـ الجهات المساندة لتمويل المشروعات الصغيرة في الدول العربية وآليات الاستفادة من إمكاناتها

٣ ـ العناصر الأساسية للعملية الإدارية.

٤ ـ الوظائف الأساسية والمساندة للمشروع بالتركيز على وظيفة التسويق، والمحاسبة والإدارة المالية.

يستطيع الباحث أن يعمم بتحفظ من خبرته المتواضعة نتيجة الاحتكاك بالمسؤولين عن الصندوق الاجتماعي للتنمية بمحافظة الإسماعيلية بجمهورية مصر العربية أن من الأسباب الرئيسة لفشل مشروعات الشباب عدم توفر مهارات التسويق والمهارات المحاسبية والمالية المناسبة لديهم).

المطلب الثاني: مرحلة الإعداد الميداني من خلال حضانات رجال الأعمال (Business Incubators)

يتضمن هذا المطلب أهمية الإعداد الميداني لرجل الأعمال، ونمو الحضانات وأهميتها الاقتصادية وتعريفها ومزاياها وأنواعها والنموذج المقترح لآليات عمل الحضانات الجامعية كوسيلة لتحقيق التنمية التكنولوجية.

أولاً: أهمية الإعداد الميداني لرجل الأعمال:

لقد أكد (ماير Mayer) على أهمية الإعداد الميداني لرجل الأعمال بالنسبة للطلاب، وتوقيت هذا الإعداد بعد الإعداد الصفي السابق الإشارة إليه حيث أشار إلى ما يلي:

"The need for educational assistance in the growth and development of a business takes on a major significance for the entrepreneur / learner only after a creation or acquision of a business. This phenomenon applied to entreprenuers / learners involved in in-school incubators or mini-businesses as well as those in the community. Thus timing and placement of this aspect of entrepreneurship education are crucial to its effectiveness" (19:9).

ثانياً: نمو الحضانات كوسيلة للتربية الميدانية لرجل الأعمال

لقد اتضح من مراجعة الأدبيات المتخصصة ذات العلاقة النمو المتسارع للحضانات (Bus) كبديل قوي للتربية الميدانية لرجال الأعمال. ففي سنة ١٩٨٨ قدر عدد الحضانات في الولايات المتحدة الأمريكية بحوالي ٣٠٠ حضانة، أي بمعدل نمو قدره ٢٥٠٪ بالمقارنة بالسنتين السابقتين (8:12). وفي سنة ١٩٩١ وصل عدد الحضانات إلى حوالي ٤٢٥ حضانة (11:54)، وقد قدرت الجمعية الوطنية الأمريكية لحضانات رجال الأعمال (N.B.I.A). عدد الحضانات في سنة ١٩٩٦ بحوالي ٦٠٠ حضانة (10:72).

ويعلق برندت (Brandt) على تسارع انتشار الحضانات ليس فقط في أمريكا الشمالية بل في معظم بقاع العالم بقوله:

"The concept is gaining steam abroad as well. Nearly every European country... has at least some inculators. Both Germany

and Japan maintain active inculator association a in to N.B.I.A." (5:52).

ثالثاً: الأهمية الاقتصادية للحضانات

تعد الحضانات أداة لدعم استحداث المشروعات الصغيرة (14:49) وينظر إلى المشروعات الصغيرة على أنها نموذج ملح لخلق الوظائف، وقد قدرت نسبة الوظائف التي استحدثتها المشروعات الصغيرة (التي تستخدم أقل من ٢٠ موظفاً) في الولايات المتحدة الأمريكية بحوالي ثلثي كل الوظائف الجديدة في الفترة ما بين ١٩٦٩ ، ١٩٧٦ (3:197) وهي كذلك، فإنه يعتمد عليها كأداة للتحول من اقتصاد يعتمد على المشروعات الضخمة إلى اقتصاد يعتمد على المشروعات الصغيرة. كما أن الحضانات تعالج الكثير من أسباب فشل مشروعات الأعمال الصغيرة مثل التكلفة العالية للمعلومات، ومحدودية رأس المال، ونقص الخدمات والدعم الاستشاري ومصادر التمويل، وقد انعكس ذلك ايجابياً على قدرة المشروعات الصغيرة وليدة الحضانات على الاستمرارية (6:56)، حيث بلغ معدل استمرارية هذه المشروعات ٨٠٪ بالمقارنة بنسبة ٢٠٪ بالنسبة للاقتصاد ككل (8:12).

ولقد أشارت إلـ (N.B.I.A) إلى ميزة اقتصادية هامة تضاف إلى المزايا السابقة للحضانات وهي أنها تساعد على الاستفادة من البحوث بشكل تجاري، كما أنها تسهم في تحول الابتكارات التكنولوجية إلى تطبيقات تجارية جديدة ومتنوعة (لمزيد من التفاصيل راجع مرجع ٢٠).

رابعاً: تعريف الحضانات والمزايا التي توفرها

تعرف الحضانة بأنها وسيلة تم تصميمها للإسهام في استحداث

المشروعات ومساعدتها على النجاح . وتوفر الحضانة للأعضاء الملتحقين بها بيئة تربوية، ومكاناً مناسباً ومساعدة في مجال إدارة الأعمال وحلقات وصل مع مصادر التمويل، إضافة إلى الخدمات المساندة، وتعد هذه المزايا من العوامل الحيوية لبقاء المشروعات الصغيرة، لا سيما في المراحل الأولى لنمو هذه المشروعات . {(9:51), (11:54), (5:52), (13:25)}، كما أن الحضانات تسهم في تخفيف أعباء التكاليف الثابتة على كاهل المشروعات المحتضنة نتيجة لاقتسامها تكاليف الخدمات المشتركة (11:54) .

وتأكيداً على الحضانات ليست مجرد مكان لتجميع المشروعات المحتضنة، بل إنها بيئة تربوية توفر عوامل النجاح للمشاركين، والتي تتمثل ليس فقط في تزويدهم بالمشورة الفنية والمالية والإدارية بل التعاون والتآزر بين الأعضاء وبينهم وبين رجال الأعمال المتعاونين معهم أثناء فترة الحضانة، وأيضاً بعد فترة الحضانة أوضح «ألن ومجلوسكي Allen & Mcclusky» ما يلي :

"Incubators help to fill in the knowledge and skill gaps of start-up team members... What is new and distinct about the incubators is that these features of entrepreneurship occur in one location ... The combination of these features is thought to creat synergistic effect that is unique to the enterprise scene... for many entrepreneurs the inculators becomes a place where they overcome loneliness of entrepreneurship by associating with start-up firms and service provider" (2:62).

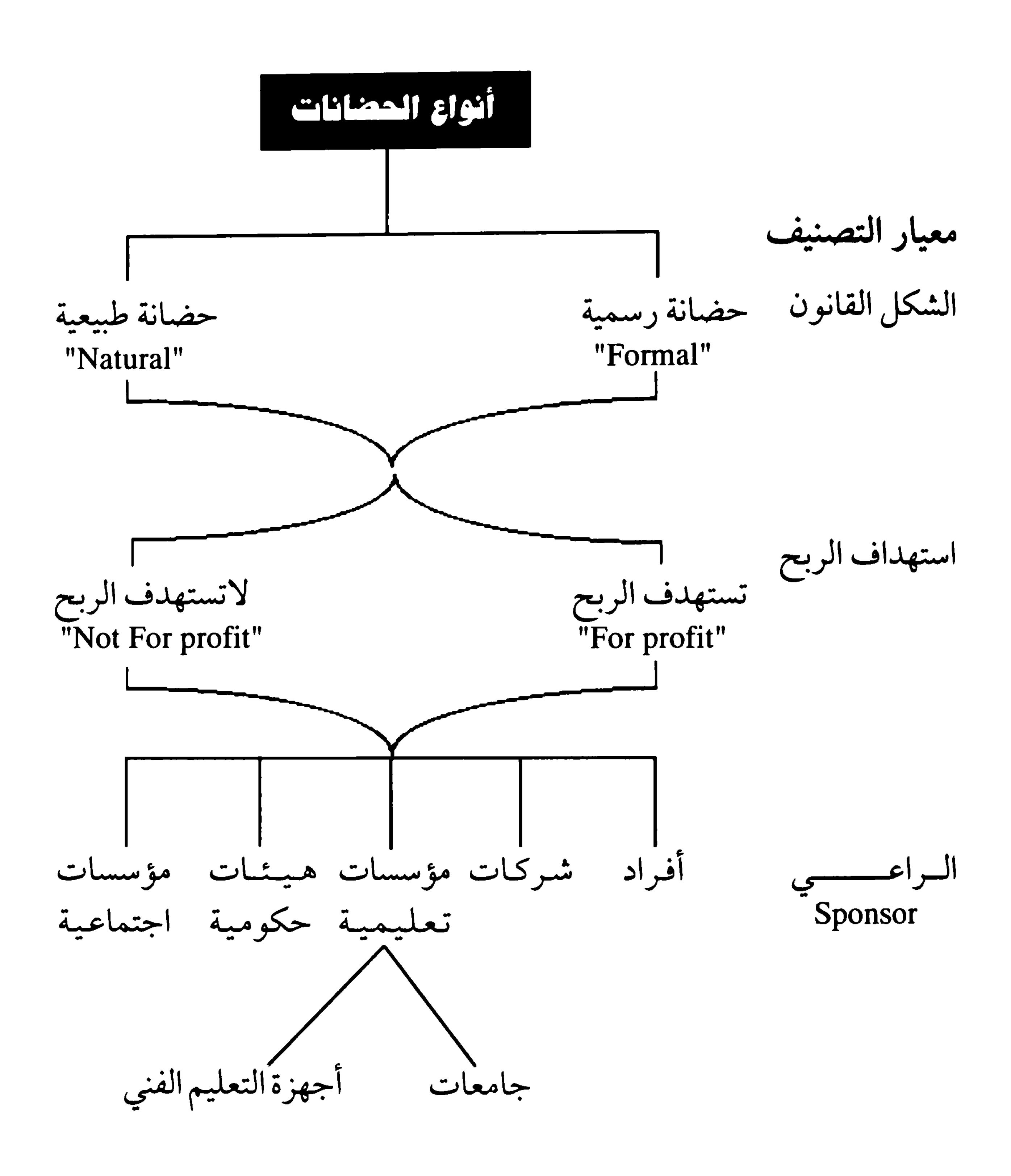
وإبرازاً لأهمية العلاقة السابقة الإشارة إليها بين المشاركين في الحضانة والشركات الخارجية التي تقدم لهم الخدمات، أضاف كاتبان مايلي :

"Those other groups are important to entrepreneurs because they are people who understand their circumstances, want them to

succeed, provide positive peer models, may eventually become trade partners, and help them realize they do not have all the answers". (2:62).

خامساً: أنواع الحضانات

للمساهمة في توضيح أبعاد مفهوم الحضانات قام الباحث بإجراء تصنيف متعدد المعيار لحصر أنواع الحضانات التي عرضتها الأدبيات المتخصصة ذات العلاقة، ويوضح الشكل رقم (١) هذا التصنيف .



الشكل رقم (١)
تصنيف متعدد المعيار للحضانات

ويتضح من الشكل رقم (١) أنه يمكن تصنيف حضانات رجال الأعمال طبقاً لمعايير ثلاثة هي الشكل القانوني، واستهدف الربح، والراعي. فمن حيث الشكل القانوني يمكن تصنيف الحضانات إلى حضانات رسمية وحضانات طبيعية، وبالنسبة للحضانات القانونية فهي تلك التي يكون لها وجود قانوني مؤسس، أما بالنسبة للحضانات الطبيعية فهي التي تنشأ في مجتمعات محلية بين جماعات لها صفه الخصوصية يقدم فيها قدامى رجال الأعمال معظم مقومات الاحتضان لرجال الأعمال الشبان لانشاء مشروعاتهم الصغيرة، ويكون هؤلاء مدفوعين في ذلك ـ في الغالب الأعم ـ بتنمية أفراد هذه الجماعات وتحقيق تنميتها (لمزيد من التفاصيل راجع مرجع رقم ٩).

أما من حيث استهداف الربح فيمكن تبويب الحضانات إلى حضانات تستهدف الربح، وحضانات لا تستهدف الربح، وغالباً ما تكون الحضانات التي تنشئها المؤسسات الحكومية والتعليمية والاجتماعية غير هادفة للربح، ومن حيث راعي الحضانة فقد يكون أفراداً أو شركات أو مؤسسات تعليمية أو أجهزة حكومية أو مؤسسات اجتماعية أو خليطاً من هؤلاء.

وقد قدم (براندت Brandt) توزيعاً للحضانات في شمال أمريكا حسب نوع الراعي مع ربط ذلك بالرسالة الرئيسة للحضانة وذلك كما يلي:

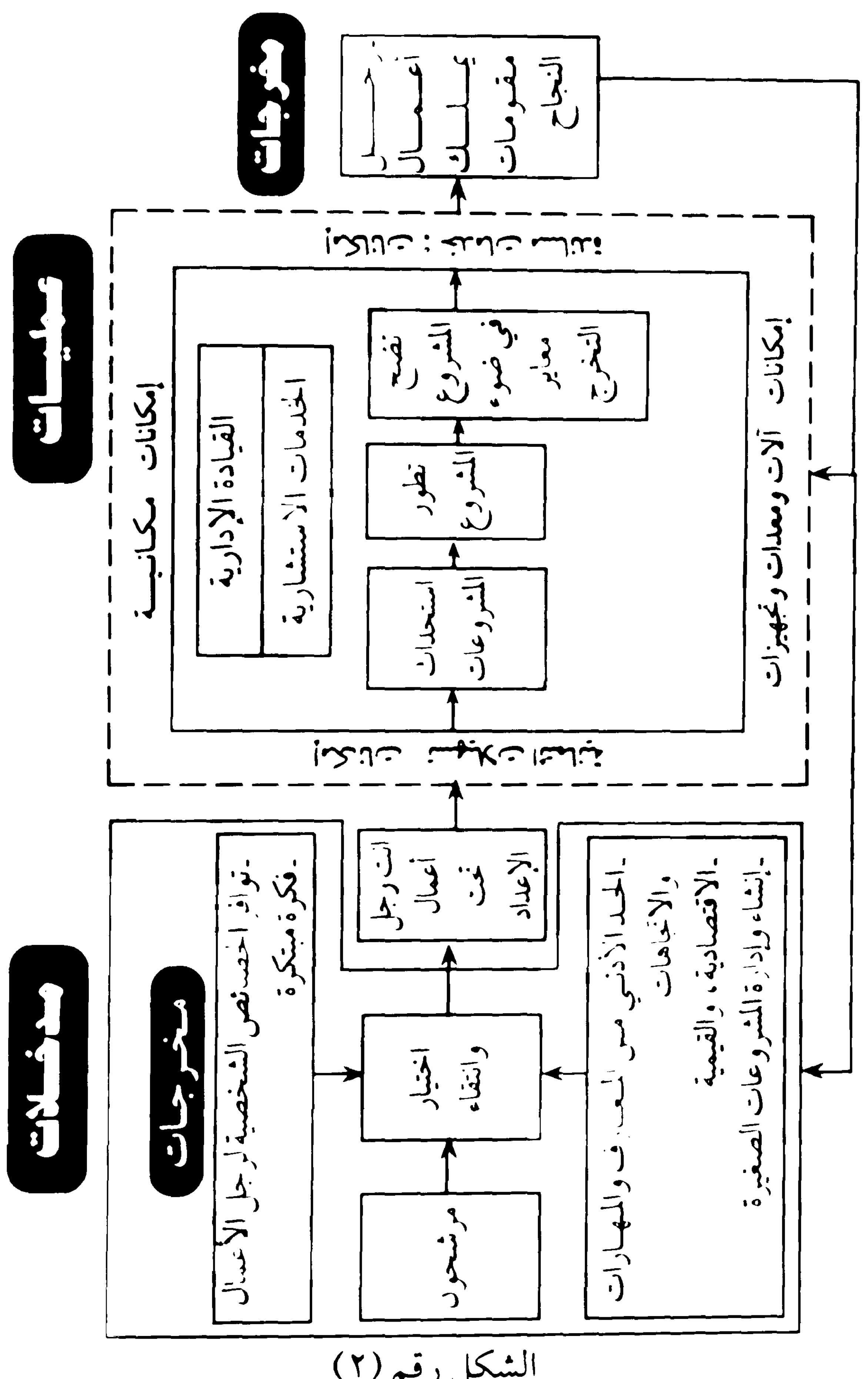
- حوالي ١٧٪ من الحضانات ترتبط بالجامعات أو الكليات أو كليات المجتمع، والرسالة الرئيسة لهذه الحضانات هي التحول التكنولوجي من مجال الأكاديميا إلى التصنيع.
- حوالي ٤٠٪ من الحضانات ترتبط براعي لا يستهدف الربح مثل الجماعات الاقتصادية التي لا تستهدف الربح، والولايات ذاتها أو المقاطعات أو

الحكومات المحلية. ومن أهم أولويات هذه الجماعات خلق فرص العمل وتدعيم القاعدة الصناعية المحلية.

- ٤٪ من الحضانات مملوك لأفراد أو شركات تستهدف الربح.
- أما النسبة المتبقية من الحضانات (أكثر من ٢٥٪) فهي خليط من نوعين أو أكثر من الأنواع السابقة (لمزيد من التفاصيل راجع مرجع ٥).

سادساً: النموذج المقترح لآليات عمل الحضانات

من خلال الاحتكاك ببعض المسؤولين عن الحضانات في مصر وما أبرزوه من مشكلات وعثرات تواجه تحقيق الحضانات لأهدافها، ومن خلال دراسته للأدبيات المتخصصة ذات العلاقة، فإن الباحث يقدم نموذجاً لآليات عمل الحضانات، وقد وضع الباحث في هذا النموذج العناصر والمكونات التي تضمن نجاح الحضانات في تحقيق أهدافها وأداء رسالتها، ويقدم الشكل رقم (٢) هذا النموذج.



الشكل رقم (٢)

نموذج آليات العمل في الحضانات باستخدام مدخل النظم

ويتضح من الشكل رقم (٢) مايلي:

١ ـ أن المدخلات إلى الحضانات تتمثل في «رجال أعمال تحت الإعداد»، ويجب أن يتوافر فيهم السمات الشخصية والحد الأدنى من المعارف والمهارات والاتجاهات الاقتصادية والقيمية، وتلك الخاصة بإدارة المشروعات الصغيرة السابق ذكرها، بالإضافة إلى أفكار مبتكرة صالحة للتطبيق التجاري.

٢ ـ ان العمليات تتمثل في العمليات الخاصة باستحداث المشروع وتطويره، ثم وصوله إلى مرحلة النضج في ضوء معايير التخرج، أي التفريخ من الحضانة. ويتم ذلك في إطار ما تتيحه الحضانة من إمكانات مكانية، وآلات ومعدات وتجهيزات، وخدمات مساندة بأسعار رمزيةيسهم في انخفاضها وتطبيق مبدأ المشاركة بين المستفيدين، وذلك بالإضافة إلى التسهيلات الائتمانية التي غالباً ما تمنح أيضاً بأعباء رمزية نتيجة دعم الدولة ومؤسساتها السابق الإشارة إليه للحضانات. ومن أهم مقومات تطور المشروعات المحتضنة لكي تصل إلى توفر قيادة إدارية وخدمات استشارية في مجال الأعمال (لا سيما مجال التسويق). ويؤكد الباحث على ضرورة أن تتوافر في القيادات الإدارية وفيمن يقدم الخدمات الاستشارية في مجال الأعمال العلم والخبرة، وأهم من ذلك أن يتوافر لديهم خصائص رجل الأعمال من منطلق «أن فاقد الشيء لا يعطيه» وأن روح رجل الأعمال تنتقل كالعدوى بالاحتكاك بين المشاركين في الحضانة وقيادتها، وبينهم وبين المستشارين، وبين المشاركين أنفسهم (راجع في ذلك 13:27 , 19:9)، وإلى جانب الاستشارات الإدارية فإن

الحضانة توفر للمشاركين أيضاً خدمات استشارية قانونية ومالية ومحاسبية بأسعار رمزية .

٣ـ ان المخرجات تتمثل في رجال أعمال جاهزين للتخرج من الحضانة والانطلاق بنجاح اعتماداً على مقوماتهم الذاتية ، وذلك طبقاً لمعايير نضج مشروعاتهم والتي يجب أن يوليها قيادات الحضانة اهتماماً خاصاً ، بحيث لا تصبح الحضانة مكاناً لمشروعات مستمرة ، وإنما وسيلة لتفريخ مشروعات متجددة ، وتطعيم سوق الأعمال بدماء متجددة ومستمرة انعاشاً للاقتصاد المحلي والقومي .

المطلب الثالث: الحضانات الجامعية كوسيلة لتحقيق التنمية التكنولوجية

كما سبق أن ذكرنا فإن نسبة الحضانات الجامعية إلى جملة الحضانات في أمريكا وكندا تصل إلى حوالي ١٧٪ وأن الهدف الرئيس من هذه الحضانات هو تحقيق التنمية التكنولوجية من خلال تحويل الابتكارات التكنولوجية من الإطار الأكاديمي الذي يمثله الجامعات إلى مجال التصنيع بحيث تتم الاستفادة منها بشكل تجاري .

ومن واقع الخبرات السابقة في هذا المجال فإنه يمكن التوصية باتخاذ الإجراءات التالية في الدول العربية :

١ ـ أن تنشيء كل جامعة من الجامعات العربية حضانة لرجال الأعمال على يرعى هذه الحضانة ـ إلى جانب الجامعة ـ الصناديق الاجتماعية للتنمية ، والغرف التجارية ، والنظام المصرفي ، وأجهزة الحكم المحلي ، ورجال

الأعمال المتميزين في المنطقة التي تقع فيها الجامعة، وعلى أن ينظر لهذه الحضانات على أنها مرحلة تدريب ميداني لرجال الأعمال الشبان.

٢ - أن يتم تطوير مناهج الكليات العملية بالجامعة بحيث تراعى ما يلي:

أ - استحداث مقرر أو أكثر في الاقتصاد يركز على المعارف والمهارات والاتجاهات اللازمة لإعداد رجل الأعمال، والتي سبق الإشارة إليها، على أن يتم ذلك بالتنسيق مع كلية العلوم الإدارية بالجامعة على أن يتم تدريس هذا المقرر الجانب القيمي لرجل الأعمال الملتزم السابق الإشارة إليه.

ب - استحداث مقرر في إنشاء وإدارة المشروعات الصغيرة يركز على المعارف والمهارات والاتجاهات المطلوبة لرجال الأعمال الشبان في هذا المجال مع الاستعانة بما سبق ذكره في هذا المجال، وذلك بالتنسيق مع كلية التجارة بالجامعة وعلى أن يتم تدريس هذا المقرر في السنوات النهائية.

ج - أن يكون هناك مشروع تخرج في كل كلية من الكليات العملية على غرار مشروعات التخرج الموجودة بكليات الهندسة، وعلى أن يتم تشجيع هذه المشروعات واستغلال المتميز منها للاحتضان في الحضانات الجامعية لتحويل الابتكارات التكنولوجية لهذه المشروعات إلى مجال التصنيع التجاري.

هـ - أن يحدث تطوير جوهري في المناهج والبيئة التعليمية الجامعية ككل بحيث يتم التركيز على تنمية التفكير التفريقي (Divergent thinking) الذي يعد الأساس في تنمية التفكير الابتكاري، وذلك إلى جانب

التفكير التجمعي (Convergent thinking)[١]، وبحيث يتم التحويل من الثقافة الجوابية التساؤلية وتجاوز ثقافة الذاكرة إلى ثقافة الإبداع[٢].

و ـ أن تستخدم استراتيجية الحل الابداعي للمشكلات كأساس لعملية التعليم والتعلم.

٣ ـ أن يراعى في اختيار أعضاء مجلس إدارة الحضانة والمدير التنفيذي والمستشارين والموردين توافر خصائص رجال الأعمال فيهم وذلك للاستفادة بأثر عمليات التآزر والتداؤب (Synergism) في احتضان وتفريخ رجال الأعمال.

ويود الباحث أن يؤكد على أن المقترحات السابقة ستسهم ولا شك في التطور التكنولوجي في الدول العربية، ولكن لكي يمكن تعظيم هذا التطور يجب أن يتم تطوير مناهج التعليم قبل الجامعي أيضاً بحيث يراعى مايلي

١ ـ تقديم التكنولوجيا بحيث يبدأ ذلك بالوصف المصحوب بالتجريب والخبرة بشكل يتصاعد في عمقه مع التقدم الدراسي للتلميذ.

---

(١) مصطلحا التفكير التعريفي، والتفكيري التجميعي من المصطلحات التي أثرى بها (جيلفورد J.P.Guilford) حقل القدرات الإنسانية، ويصف المصطلح الأول نوع التفكير الذي يتمخض عن التوصل إلى العديد من الحلول المختلفة للمشكلة موضوع الدراسة، أما المصطلح الثاني فيصف نوع التفكير الذي يتوصل إلى حل واحد صحيح للمشكلة، ويرتبط النوع الأول من التفكير ارتباطاً وثيقاً بالسلوك الرباعي، أما النوع الآخر من التفكير فهو ما تقيسه الاختبارات التقليدية للذكاء.

(٢) استعار الكاتب في ذلك المصطلحات التي سبق وأن طرحها د. مراد وهبة في محاضراته بالجامعات المصرية.

٢ ـ الاهتمام بتدريب التلميذ على الحل الابداعي للمشكلات التي تتصاعد في درجة تعقيدها كلما تصاعد مستوى التعليم، وأن يتواكب ذلك مع تنمية مهارات التلميذ على تحديد مصادر المعلومات وحجمها ومهارات الملاحظة والقياس والتقويم، مع الأخذ في الاعتبار أن يتعلم التلميذ التشكك العلمي بما يتضمنه ذلك من التدقيق في المسلمات والحقائق والنتائج.

٣ ـ التأكيد على تنمية قدرات التخيل لدى الناشئة، وذلك عن طريق تخطيط المواقف التعليمية التي تمكنهم من إدراك مراحل التقدم والتطور التكنولوجي عن طريق التعامل مع الأشياء كما كانت، وكما هي عليه الآن، وما يتخيل أن تكون عليه في المستقبل.

٤ ـ وإلى جانب ما سبق فإن التوجه التكنولوجي للتعليم يتطلب تنمية مهارات إنسانية لدى الناشئة، ومن أهم هذه المهارات مهارات التعامل كفريق وذلك باعتبار أن التوصل إلى الابتكارات التكنولوجية يتطلب تآزر مجهودات أكثر من فرد.

المبحث الثالث: الحضانات والإسهام في تحقيق الأمن:

لم يعد هناك شك أدنى في أن البطالة بين شباب الخريجين تعد من المنابع الخطيرة للجريمة، فالشاب العاطل يسهل اجتذابه للانضمام إلى صفوف القائمين على الجرائم المنظمة، والقائمين على شئون جرائم الإرهاب والتطرف، إلى جانب توجهه إلى الهروب من معاناة الحياة بتعاطي المخدرات والتي تمثل منزلقاً يؤدي بالشباب إلى ارتكاب جرائم العنف والقتل، والانتحار الفردي والجماعي، وفي السياق السابق يود الباحث أن يبرز العلاقات التالية:

١ ـ ان توفير فرص العمل للشباب يؤدي إلى المساهمة في تحقيق الأمن الاقتصادي للمواطن العربي، ومن ثم المساهمة في تجفيف أحد المنابع المحتملة للجريمة، وبالتالي المساهمة في تحقيق الأمن بصفة عامة في المجتمعات العربية

٢ ـ أن الكثير من المنظمات الحكومية، وحتى منظمات القطاع الخاص القائمة في العديد من الدول العربية لا تستطيع استيعاب العدد المتزايد من شباب الخريجين.

٣ ـ تأسيساً على ما سبق كان لزاماً على الأنظمة التعليمية في الدول العربية أن تغير فلسفتها من التركيز على تخريج موظفين إلى التركيز على تخريج رجال أعمال بمفهوم (الانتربرنير) باستخدام مراحل الإعداد السابق الإشارة إليها والتي تنتهي بالإعداد الميداني من خلال حضانات الإحصائيات تدل على أن المشروعات الصغيرة التي غالباً ما يؤسسها خريجو الحضانات ذات قدرة عالية على خلق الوظائف (3:197)

٤ ـ انه يجب إعطاء الأولوية في إنشاء هذه الحضانات للمناطق المتخلفة اقتصادياً، ولقد تنبهت مصر ـ على سبيل المثال ـ إلى ذلك حديثاً حيث وجهت استثمارات طائلة لتحقيق التنمية الاقتصادية في محافظات الصعيد التي انتشرت فيها جرائم العنف والارهاب المنظم، وينبغي أن يكون من ضمن آليات هذه الخطط التنموية إنشاء حضانات رجال الأعمال.

٥ ـ ان الحضانات التكنولوجية تعد وسيلة ناجحة لتحقيق الميزة التنافسية لقطاع الأعمال الخاص، وهذه الميزة التنافسية لا بديل عنها في ظل العولمة، وهي إحدى سمات النظام العالمي الجديد الذي حلت فيه المواجهة

الاقتصادية محل المواجهة العسكرية، فالمشروعات التي يستحدثها خريجو الحضانات لابد لها من أسواق داخلية وخارجية تستوعب منتجاتها، ولا يمكن اختراق هذه الأسواق - لا سيما الخارجي منها - إلاّ بمنتجات تنافسية في الجودة والتكلفة وإرضاء ذوق العملاء، ولا سبيل لتحقيق ذلك إلا من خلال التفوق أو على الأقل الندية يؤدي إلى الغزو الاقتصادي لأسواق الدول العربية، والأمر الذي يؤدي ولا شك إلى التأثير السلبي على الأمن الاقتصادي للوطن والمواطن العربي، ومن ثم التأثير السلبي على أمن الوطن والمواطن العربي بصفة عامة.

٦ - إن الاستفادة بالحضانات لتنمية القيم الخلقية كما سبق ذكره وتفريخ جيل جديد من رجال الأعمال الشبان الملتزمين يؤدي أيضاً إلى الحد من الجرائم ذات الصلة بالنشاط الاقتصادي مثل جرائم الغش والاحتيال وقرصنة المعلومات والإغراق الاقتصادي والفساد الإداري المنظم والجرائم المرتبطة بالاحتكار، الأمر الذي يساهم لا شك في تحقيق الأمن الاقتصادي للوطن والمواطن العربي.

الخلاصة والتوصيات

الخلاصـــــة

لقد قام هذا البحث في سبيل الإجابة على تساؤلاته بما يلي :

١ ـ تحديد الخصائص الواجب توافرها في رجل الأعمال بمفهوم (الانتربرنير) .

٢ ـ تقديم تصنيف متعدد المعيار لأنواع الحضانات .

٣ ـ تقديم نموذج مقترح لآليات استحداث وتشغيل الحضانات باستخدام مدخل النظم، وهذا النموذج يؤكد على ضرورة النظر إلى الحضانات كوسيلة تربوية للإعداد الميداني لرجال الأعمال الشبان، وليست مجرد تسهيلات مادية ومكانية للملتحقين بالحضانة، كما يجب النظر إلى الحضانة على أنها تتويج ميداني لمراحل أخرى يجب المرور بها لإعداد رجال الأعمال الشبان، ويعتقد الباحث أن هذا النموذج يعد مساهمة غير مسبوقة في هذا الحقل الحديث من حقول المعرفة الإنسانية .

٤ ـ تقديم المقترحات اللازمة لتطوير أنظمة التعليم الجامعي وقبل الجامعي للتركيز على تخريج رجال أعمال وتحقيق التنمية التكنولوجية من خلالهم .

٥ ـ إبراز العلاقات بين الأمن الاقتصادي والأمن بصفة عامة، وما يمكن أن تساهم به تلك الحضانات في تحقيق أمن الوطن والمواطن العربي في إطار العلاقات السابقة .

التوصيـــــات

لضمان نجاح الحضانات كوسيلة فعالة لإعداد رجال الأعمال الشبان وتحقيق التنمية الاقتصادية والمساهمة في تعزيز أمن الوطن والمواطن العربي يوصي الباحث بما يلي :

١ ـ ضرورة تآزر مجهودات الجامعات والصناديق الاجتماعية والاقتصادية للتنمية والغرف التجارية ، والأنظمة المصرفية ، وأجهزة الحكم المحلي ، ورجال الأعمال المتميزين وذلك على المستوى المحلي والمستوى العربي في استحداث وتشغيل الحضانات .

٢ ـ إخضاع التجارب الوليدة للحضانات بالدول العربية للبحث العلمي ، والاستفادة من نتائجه في تطوير عمل الحضانات القائمة ، وفي استحداث الحضانات الجديدة .

٣ ـ الاستفادة من تجارب الدول الأخرى لتجنب مسببات الفشل والتركيز على عوامل النجاح في إنشاء وإدارة الحضانات بالدول العربية . وفيما يختص بتوصيتين الثانية والثالثة ، يود الباحث أن يستحث المسؤولين عن الحضانات سواء في الدول العربية أو الدول الأجنبية لنشر تجاربهم حتى يمكن الاستفادة من سلبيات وايجابيات هذه التجارب ، ولا أدل على ذلك من أن المسح الالكتروني الذي أجراه الباحث للأدبيات المتخصصة في هذا المجال قد خلا من أي بلورة علمية للتجارب الفعلية للحضانات في الدول المختلفة .

٤ ـ الاستفادة بالنموذج الذي اقترحه الباحث في استحداث حضانات جديدة ، وتطوير العمل في الحضانات القائمة ، ونشر نتائج تجريب النموذج في الدوريات المتخصصة .

٥ ـ النظر في تطوير مناهج التعليم الجامعي وقبل الجامعي بما يتمشى مع التركيز على تخريج رجال الأعمال الشبان الوادعين اقتصادياً وفنياً والملتزمين خلقياً، والمساهمة في تحقيق التنمية التكنولوجية وذلك في إطار الإجراءات التفصيلية التي عرضها البحث.

ويعتقد الباحث أن وضع التوصيات السابقة موضع التنفيذ في الدول العربية سيودي إن شاء الله إلى الإسهام في تحقيق الأمن الاقتصادي للوطن والمواطن العربي كما سبق توضيحه تفصيلاً في متن البحث.

المراجـــع

1 - Alexander, Jan, "Best Ways to Start a Business Now", Money 24:13. 1996, pp. 100-104.

2 - Allen, David. N., and McCluskey, Richard, "Structure Policy, Services, and Performance in the Business Incubator Industry. Entrepreneurship: Theory & Practice, 15:2, Winter 1990, pp. 61-77.

3 - Allen, David. N., and Weinberg, Mark L., "State Investment in Business Incubators", Public Administration Quarterly, 12:2, Summer, 1988, pp. 196-215.

4 - The American Culture Center in Cairo, Summary of the Seven Core concepts of Entrepreneuership, The Film Library, Cairo, 1994.

5 - Brandt, Ellen, Incubators: "A safe haven for new business", Journal of Business property, 56:1, Jan./Feb. 1991, pp. 52-59.

6 - Campbell, Candace, "Change Agents in the New Economy: Business Incubators and Economic Development", Economic Development Review, 7:2, Spring 1989, pp. 56-59.

7 - Clow, John E., e.tal., "Economics and Entrepreneurship Teaching Strategies", Master Curriculum Guide, Joint Council on Economic Education, New York, 1991.

8 - Doescher, William, F., "Hatching Young Companies", D & B Reports, 36:4, Jul/Aug 1988, pp. 12-13.

9 - Geene, Patricia Gene, and Butler, John Sibley, "The Minority Community as a natural business incubator", Journal of Business Research, 36:1, May 1996, pp. 51-58.

10 - Gulotta, Charles, and McDaniel Giles, "A Regional incubaros program: The case of the Northeast Missisippi business incubatorsystem", Economic Development Review, 13-4, Fall 1995, pp. 71-73.

11 - Hogan, Bill, "How to hatch new business", D&B Reports, 39:4, Jul/Aug 1991, pp. 54-55.

12 - Hondale, Beth Walter, "Business incubators as an economic development tool", Economic Development Review, 8:1, Winter 1990, pp. 42-43.

13 - Hugan, Tiffany Meyer, "Getting a head start: The Rise of business incubators", Business Forum, 15:1, Winter 1990, pp. 25-27.

14 - Kuratko, Donald F., LaFollette, William R.,k "Small business incubators for Local Government", Economic Development Review, 5:2, Summer 1987, pp. 49-55.

15 - Lumpkin, James R., and Ireland, R. Duame, "Screening practices of new business incubators. The evaluation of critical factors," American Journal of Small Business, 12:4, Spring 1988 pp: 59-81.

16 - Marranville, Steven, "Entrepreneurship in the business curriculum", Journal of Education for Business, Sept. - Oct., 1992, pp. 27 - 31.

17 - Massey, Dana, and Holmquist, Donna, "Significance of Entrepreneurial Competencies for Females in Relation to Business Education", NABTE Review, 21, 1994, pp. 39 - 44.

18 - McGarvey, Robert. "Turn on the Juice", Entrepreneur, Vol. 22, No. 2, Feb., 1994, pp. 95-99.

19 - Meyer, Earl C., "A philosophy of entrepreneurship education", Business Education forum, Feb. 1992, pp. 8-9.

20 - National Business Incoulator Association, State of the business incubators industry, Athens, OH, 1990.

21 - Rosenfeld, Staurt A., "Rural vocational education for a technological future", Journal of State Government, 61:1. Jan/Feb. 1988, pp. 16/21.

22 - Udell, Gerald, G., "Academy and the Goose that lays its Golden Egg", Business Horizons, 33:2, Mar/Apr. 1990, pp. 29-37.

23 - Udell, Gerald G., "Strategies for stimulating home-grown technology-based economic development", Business Horizons, 31"6, Nov./Dec. 1988, pp. 60.

24 - Wanderlic, Personal Test Inc., "Entrepreneurial quotient test", Entrepreneur, Vol. 22, No. 2, Feb. 1994, pp. 100-109.

دور المؤسسات غير الرسمية في التثقيف الأمني والتحصين القيمي ضد الجريمة والانحراف

د. عبدالرحمن بن محمد عسيري(*)

مقـــدمة:

الجريمة والانحراف من الأمراض الاجتماعية التي تصيب المجتمع، فلا يوجد مجتمع من المجتمعات قديمها، وحديثها، يخلو منهما. وبالرغم من كونهما ظاهرة اجتماعية لا يخلو منها زمان أو مكان إلا أنها تختلف باختلاف القوانين والتشريعات فما يجعل الفعل جريمة ليس الفعل في ذاته ولذاته بل نظرة المجتمع إليه.

وقد حرصت جميع المجتمعات الإنسانية على اختلاف أيديولوجياتها وأنظمتها السياسية على محاربة الجريمة والانحراف بشتى أنواعها، لما لذلك من أهمية في استقرار المجتمع، ونموه، وتطوره. وتنقسم طرق مكافحة الجريمة والانحراف إلى قسمين:

قسم يهتم بالجريمة والانحراف قبل حدوثهما. ويتم ذلك في مرحلة ما قبل حدوث الجريمة أو الانحراف ويضطلع بمهمة ذلك العديد من المؤسسات غير الرسمية، مثلا: الأسرة، وجماعة الرفاق، والحي، والقبيلة. والمؤسسات الدينية كالمسجد. .

(*) رئيس قسم الاجتماع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

والقسم الثاني يهتم بهما بعد وقوعهما . وتقوم به المؤسسات الرسمية الحكومية كالسجون، والإصلاحيات، وما في حكمها

وما يهمنا في هذه الدراسة هو الجانب الأول الذي يهتم بالجانب الوقائي لا الجانب العقابي وهو دور المؤسسات غير الرسمية، باعتبارها تمثل البيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها الفرد ويكتسب من خلالها قيمه وأنماط سلوكه فالانحراف في نظر علماء الاجتماع ما هو إلا ظاهرة اجتماعية تقوم على الاعتقاد بأن الفرد ما هو إلا نتاج للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، والتي يتشكل وفقاً لتأثيراتها فهم لا يهتمون كثيراً بالنواحي الفردية التي لها علاقة بانحراف الفرد وإنما يركزون على دراسة عوامل خارجية، مثل التنشئة الأسرية، والرفقة، والحي، والتعليم، ووسائل الأعلام. (الحديثي ١٤١٦ : ٨٧) ويرى الحديثي «أن تجاهل دور البيئة الاجتماعية في تهيئة الفرد للانحراف يؤدي إلى التركيز على فاعل الجريمة دون إصلاح بيئته، وهذا قد يؤدي إلى ظهور مجرمين آخرين تولد هم تلك البيئة الفاسدة» (الحديثي١٤١٦ : ٨٨).

وقد اهتم بدراسة البيئة المحيطة بالفرد ودورها في الوقاية من الانحراف أو المساهمة في حدوثه الكثير من علماء الاجتماع والجريمة حيث ظهرت العديد من النظريات التي تفسر تلك العلاقة من زوايا مختلفة. فيرى أصحاب نظرية الثقافة الفرعية (Sub-Culture Theory) أن الانحراف ليس ظاهرة فردية أو مرضاً نفسياً ولكنه نمط حياة تمارسه بعض المجموعات الثانوية في البناء الاجتماعي كوسيلة للتكيف مع الوضع العام. فالثقافة الفرعية قد تكون قطاعاً اجتماعياً، أو ثلة رفاق، أو عصابة، لها الكثير من العوامل التي تساعد على تماسك تلك الجماعة كحل المشكلات الاجتماعية

لبعض الأعضاء الناتجة عن الطبقية ، واكتساب الهوية الاجتماعية من خلال نمط الحياة المتميز والمنعكس في الملبس والكلام ، والتفكير ، وطريقة تصفيف الشعر . فكل هذه العوامل تعد وسائل للانتماء والتميز ، والشعور بالأمن والقيمة الشخصية ، وملء لأوقات الفراغ بنشاطات يجد الفرد في ممارستها متعة (المالك ١٩٩٠ : ٣٦) .

وقد تفرع من هذه النظرية عدة نظريات أخرى منها نظرية الجماعة المرجعية (Reference Group) والتي ترى أن الجماعة المرجعية للفرد أو ثلة الرفاق تقوم بدور بارز في انحراف الأحداث حيث أنها تكو ن البديل عن الأسرة ، ويتضاعف احتمال جنوح الحدث بزيادة طول الوقت الذي يمضيه مع تلك الجماعة . (مالك : ١٩٩٠ : ٣٦) .

بينما يرى أصحاب النظريات الاجتماعية (Micro Social Theory) أن الجنوح يأتي من خلال افتقار الأفراد إلى التفاعل الأسري والمفاهمة والمشاركة بين الكبار والصغار في الأسرة (المالك : ١٩٩٠ : ٣٩) . أما نظرية الضبط الاجتماعي (Social Control) فكما يشير هيرشي (Hirshi 1988 :168) ترى أن جميع البشر معرضون للانحراف وارتكاب الجريمة ولكن الضوابط الاجتماعية هي التي تساعد على حفظ النظام والامتثال للقوانين . كما يرى أن الخضوع والامتثال لقانون الضبط الاجتماعي ينشأ من خلال أربعة محاور رئيسة هي :

١ ـ الارتباط ، أو التعلق (Attachment) فرغبة الفرد في الارتباط بالآخرين تجعله يضطر إلى امتثال القيم والقوانين التي تؤمن بها تلك الجماعة أو المجتمع الذي يرتبط به . وعند ضعف تلك الرغبة أو الاهتمام بتلك

الضوابط يجد الشباب أنفسهم متحررين من القيود مما يجعلهم يرتكبون الجرائم. غير آبهين بقيم المجتمع ونظمه.

٢ ـ الالتزام (Commitment) فكلما استطاع الفرد أن يبني له مستقبلاً أفضل من حيث التعليم، والمركز الاجتماعي، والمستوى الاقتصادي والمالي كلما كان أقل إقبالا على أي انحراف يضر بسمعته أو مركزه الاجتماعي، والعكس صحيح.

٣ ـ الانغماس (Involvement) ويتمثل في كون الفرد كلما كان أكثر انغماساً في النشاطات العامة من حوله في الأسرة، والمدرسة كلما كان أكثر تقبلاً للمعايير المثالية لتلك المؤسسات.

٤ ـ الاعتقاد (Belief) يشترك الأفراد الذين يعيشون في مجتمع معين ومحدد في القيم والمعتقدات والحقوق المشتركة، كما يشتركون في تمثل تلك القيم والولاء لها كجزء من اعتقادهم بضرورتها وأهميتها، وحين يغلب ذلك الاعتقاد بأهمية تلك القيم أو يضعف فإن الفرد يكون أكثر عرضة لارتكاب الجريمة أو الانحراف.

ويرى هيرشى أن هذه المحاور الأربعة تعمل مجتمعة حيث أن بينها كثير من الترابط والتداخل ويؤثر ويتأثر كل منها بالآخر. أما أصحاب نظرية التعلم الاجتماعي (Social Learning) أمثال (أدوين سوثرلاند) (Edwin Sutherland) دانلد قلاسر (Danie Glaser)، ديفيد ماتزا (David Matza) ورانلد اكرس (Ronald Akers) فيرون أن كل العمليات المتعلقة والمتصلة بالانحراف والجريمة مثل الاتجاه والمهارات والسلوك جميعها أمور مكتسبة يتعلمها الفرد من خلال اتصاله بالمجتمع المحيط به كالأسرة والأصدقاء، حيث يرون أن الفقر، والطبقة الاجتماعية ليست كافية بمفردها لشرح عوامل الانحراف.

ويحدد سوثر لاند(Edwin Sutherland) تسعة مبادئ أساسية يرى أنها ربما تقود إلى الانحراف منها على سبيل المثال :

١ـ السلوك المنحرف مكتسب ومتعلم. وبذلك يختلف سوثر لاند عمن يرون أن السلوك الإجرامي سلوك موروث.

٢ ـ السلوك الإجرامي يكتسب من خلال الاتصال بالآخرين. حيث يرى أن الفرد لا يكون مجرماً لمجرد كونه يسكن في بيئة منحرفة، أو لكونه يتصف ببعض الخصائص المعينة كنقص الذكاء، أو نظراً لوجود بعض المشكلات الأسرية في أسرته، ولكن يتعلم السلوك الإجرامي من خلال اتصال الفرد بأفراد منحرفين يعلمونه الانحراف فالانحراف لا يظهر لدى الفرد بدون مساعدة الآخرين.

٣ـ السلوك الإجرامي يكتسب من خلال الجماعة المرجعية للفرد. فالأطفال يختلطون ويتفاعلون مع الجماعة المحيطة بهم كالأسرة والأصدقاء، والزملاء، حيث أن لهذه الجماعة دوراً كبيراً في التأثير على سلوك الأفراد. كما أن اتصال الفرد بهذه الجماعة يشكل سلوك الفرد اليومي ويتصرف وفق الضوابط التي تحددها الجماعة التي يتصل بها في تعامله اليومي.

٤ ـ تعلم السلوك الإجرامي يتضمن تعلم طريقة ارتكاب الجريمة، سواء كانت كثيرة التعقيد أو في غاية البساطة. فالفرد الحديث في الإجرام يتعلم من الآخرين أساليب الإجرام وطرقه، والمصطلحات المستخدمة من الأشخاص الأقدم منه وأكثر تمرساً في الإجرام. (Larry & Joseph 1988: 158-160).

وعليه يتضح أن السلوك الإجرامي سلوك يكتسبه الفرد من خلال

اتصاله بالآخرين وليس سلوكاً يولد به، أو يرثه من أسرته ولذا يبرز دور المجتمع المحيط بالفرد في توجيه سلوك الأفراد.

هدف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى مناقشة كيفية تفعيل المجتمع المحيط بالفرد أو ما نطلق عليه المؤسسات غير الرسمية لتساعد الفرد على اكتساب السلوك السوي وتجنبه السلوك المنحرف ولعل من أهم هذه المؤسسات وأقربها اتصالاً بالفرد الأسرة الأولية، التي تمثل الجماعة الأولى التي تلقن الفرد الكثير من القيم والمبادئ والسلوك، يليها ذلك جماعة الرفاق التي تمثل الجماعة المرجعية للفرد، ثم يلي ذلك الأسرة الكبيرة التي ينتمي لها الفرد (العشيرة أو القبيلة) ثم الحي الذي يقطنه الفرد وأخيراً المؤسسات الدينية الموجودة في المجتمع التي تهذب سلوك الأفراد وتوجه سلوكهم نحو الخير و اكتساب الفضائل. وسوف نتحدث عن كل من هذه المؤسسات لتوضيح دور كل منها في المساعدة لحماية الأفراد ووقايتهم من الانحراف والجريمة.

أولاً: الأســــرة

اهتم الكثير من علماء الاجتماع العائلي، والمنظرون الاجتماعيون بدور الأسرة في الضبط الاجتماعي. فيرى بعض أنصار المدرسة البنائية الوظيفية أن التنشئة الاجتماعية تعتبر من أهم الوظائف التي تقوم بها الأسرة في عملية الضبط الاجتماعي داخل المجتمع. ولذا فإن ضعف الأسرة في التنشئة الاجتماعية لا يؤدى إلى ضعف عملية الضبط الاجتماعي فحسب وإنما قد يؤدى إلى التفكك والانحراف الاجتماعي (الحامد١٤١٥ : ٧٧ ـ ٧٨). ويشير كل من لاري وجوسف (Larry & Joseph: 1899:243) إلى

أن الأسرة تعد هي الخط الأول في الحماية من الانحراف . فالعلاقة بين وظيفة الأسرة وانحراف الأبناء من الأمور المعقدة والمتداخلة حيث يؤثر بعضها على البعض ويتأثر بعضها بالآخر . وقد استندا في معالجتهما لهذه الجزئية إلى نتائج الدراسة المسحية التي قام بها كل من راولف (Rolf)، وماجدا (Majda) والتي استعرضا فيها الدراسات والنظريات التي تناولت العلاقة بين دور الأسرة في الحماية والوقاية من انحراف الأحداث حيث وجدا أن هناك أربعة عوامل رئيسة تؤدى وتقود إلى انحراف الأحداث هي كالتالي :

١ ـ إهمال الأسر لسلوك أبنائها واحتياجاتهم العاطفية والنفسية

٢ ـ المنازعات والخلافات بين أعضاء الأسرة وأفرادها .

٣ ـ انحرف سلوك لأحد الأبوين أو كلاهما مما يجعله ينقل هذا السلوك إلى أبنائه وأفراد أسرته .

٤ ـ التفكك الأسرى اما بالانفصال أو الطلاق .

وسوف نتحدث عن كل من هذه العوامل الأربعة ودورها في الوقاية من الانحراف والجريمة

١ ـ التنشئة الأسرية (socialization)

تشير الدراسات والنظريات الاجتماعية إلى أهمية دور التنشئة الاجتماعية الأسرية في تكوين شخصية الفرد وسلوكه حيث وجد جوسف ولاري(Larry & Joseph, 1988: 246) من خلال تحليلهما للدراسات الاجتماعية التي اعتمدت التقارير الشخصية للأسر ، والتقارير الرسمية أن الأسر التي تعامل أبناءها بضعف شديد وترضخ لطلباتهم ، أو تلك التي تعامل أبناءها بصرامة شديدة غالباً يكون أبناؤهم أكثر عرضة للانحراف

من تلك الأسر المعتدلة في التعامل . كما يشيران إلى أهمية المراقبة الأسرية لسلوك الأبناء ويريان أن الأبناء الذين يعلمون أن آبائهم على معرفة بالأعمال التي يقومون بها أو الرفاق الذين يخالطونهم، يكونون غالباً أقل عرضة للانحراف وارتكاب الجرائم من أولئك الذين يعلمون أن أسرهم لا تهتم لما يقومون به أو من يخالطون . وقدا شارا إلى نتائج المسح الوطني الشامل (national survey) في الولايات المتحدة الذي قام به تشارلز (Charles) حيث وجد أن الأبناء غالباً ما يخشون عدم موافقة أبويهم على سلوكهم أو خوفهم من عقاب الأبوين أكثر من خوفهم من العقوبات القانونية . كما وجدا أيضاً أن أحد العوامل الرئيسة في ارتفاع نسبة المنحرفين من الذكور مقارنة بالإناث إنما يعود إلى عوامل التنشئة الصارمة والرقابة المستمرة التي تخضع لها البنات من قبل الآباء مقارنة بالذكور .

ويشير ولسون Wilson في (المالك ١٤١١ : ٢٠٢) إلى أن رداءة الاشراف الأبوي على الأحداث من أهم وأقوى العوامل الأسرية ارتباطاً بالجنوح وقد حدد ضعف الرقابة والإشراف الأسرى بما يلي :

١ ـ عدم وجود قوانين داخلية أسرية تضبط سلوك الأفراد في الأكل والنوم والعمل .

٢ ـ عدم وجود رقابة على الأحداث في حياتهم اليومية وبالتالي عدم معرفة نشاطهم

٣ ـ تقلب الأبوين في التعامل مع الحدث حيث لا توجد أساليب ثابتة للثواب والعقاب وقد يثاب الحدث على سلوك جانح .

٤ ـ انعدام المهارة في حل المشكلات الأسرية بدلاً من أن تحظى بالحل .

كما يشير جان (John 1988: 384) إلى أن تحليل الخلفية الاجتماعية للعديد من المنحرفين توضح أنهم لم ينشئوا في بيئة سليمة، تهتم بتقويم سلوكهم وتعوِّدهم على الأعراف والمعايير التي تضبط سلوكهم وتهذبه. وقد يعود ذلك إلى عدم وجود الأبوين أو عدم وجود شخص بالغ يقوم بدور الأبوين في التنشئة. فالسلوك المنحرف في نظره يعود إلى أيام النشأة الأولى من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية التي يتعرض لها الفرد.

فالسلوك الإجرامي أو الانحراف كما يشير ادوان (Edwin 1988: 299) سلوك يتعلمه الفرد. فالفرد في نظره لا يولد منحرفاً، بل يتعلم الجريمة ويتدرب عليها فهو لا يخترعها من تلقاء ذاته. ويضرب لذلك مثالاً بأن الشخص لا يستطيع أن يخترع الأدوات الميكانيكية ما لم يكن قد تدرب على الميكانيكا. فالجريمة والانحراف تتعلم من خلال الاختلاط والتفاعل مع الآخرين. فالتفاعل مع الآخرين والاتصال بهم يتم خلال مراحل زمنية مختلفة في حياة الفرد وهي ما يطلق عليها (التنشئة الاجتماعية) ويساعد الأبوان أو الأسرة على تحديد اتجاه ذلك الاتصال ونوعه حسب القيم والمبادئ التي يؤمنون بها وينشئون أبناءهم وفقاً لتلك القيم والمبادئ وهذا ما ذهب إليه الشاعر العربي حين يقول:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا — على ما كان عوده أبوه

فالتنشئة الاجتماعية تعد من أهم الأمور المؤثرة في شخصية الفرد واتجاهاته المستقبلية، وتحديد سلوكه لذا أولى الإسلام ذلك عناية خاصة وحث على ضرورة تنشئة أبناء المسلمين تنشئة صحيحة تقوم على تدريبهم على الطاعات منذ مرحلة التمييز قال ﷺ «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع،

واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع» رواه أبو داود والحاكم صححه. (الجزائري ١٣٩٩ : ٢٣٤)

وعليه فان الأسرة يمكنها عن طريق الأساليب السليمة للتنشئة تجنيب النشء من الانحراف والجريمة وذلك باتباع ما يلي :

١ ـ الاهتمام بالأبناء وسلوكهم وعدم إهمالهم وتركهم يتعلمون العديد من قيمهم وثقافتهم من المحيطين بهم سواء جماعة الرفاق في الحي أو المدرسة. أو من الأقارب و الجيران وما شابه دون توجيه أو تدخل أو تقويم لسلوكهم خاصة إذا لوحظ انحراف في السلوك.

٢ ـ عدم التشدد في المتابعة لهفوات الأبناء والتجاوز عن اليسير منها كي لا يشعروا بالقهر والاضطهاد فيعبرون عن احتجاجهم بالتمرد والعصيان والعنف أو الهروب والا نحراف. ومحاولة معالجة أخطائهم بالنصح والإرشاد، بين وقت وأخر. وقد أشار تراسلر (Trasler 1962) إلى أن الفروق بين الأغنياء والفقراء في الجنوح ناتجة عن فروق في أساليب التنشئة الاجتماعية. حيث أن الفقراء يميلون أكثر إلى استخدام أسلوب العقاب البدني أو الما دي في ردع صغارهم ويؤدي هذا الأسلوب في العقاب إلى إضعاف نمو الضمير الجمعي لدى الصغار ويرسخ في سلوكهم عادة استخدام العنف لبلوغ غاياتهم. أما الأثرياء فيستخدمون أسلوب العقاب المعنوي مما يؤدي إلى تقوية عادة الشعور بالذنب ومحاسبة الذات في (المالك ١٩٩٠ : ٢٥٣).

٣ ـ عدم الإفراط في التدليل وتوفير طلبات الأبناء مهما كلف ذلك دون إشعارهم بالإمكانات أو النقاش معهم عن مدى حاجتهم لذلك. حتى لا ينشأ الأبناء استغلاليين انتهازيين لا يفكرون سوى في الأخذ دون

عطاء مما يجعل ذلك سجيَّة في أخلاقهم وصفة تلازمهم والتي ربما تقود إلى عدم البر بآبائهم في الكبر وعدم الامتثال لأوامرهم، أو الخروج على أعراف المجتمع وقيمه في سبيل تحقيق رغباتهم الشخصية وطلباتهم المستمرة. فالإفراط في التدليل يقود إلى عدم الإحساس بالمسئولية أو لامبالاة.

٤ ـ تستطيع الأسرة المساهمة في استقطاب ا لأبناء الجانحين العائدين والتائبين من الجريمة والانحراف وذلك بعدم وصمهم بالذنب الذي اقترفوه، ومحاولة مساعدتهم على تخطى الأسباب التي أدت بهم إلى الانحراف، ومعاملتهم على أنهم أفراد أسوياء فقد أوضحت دراسة العمري: ١٤١٦ أن من أهم الأسباب التي تؤدى إلى العو د إلى الجريمة معاملة المجتمع المحيط وهم يمثلون الأسرة و الجيرة والأقارب والمعارف حيث ينعتونهم بأنهم أشخاص منحرفون.

٢ ـ العلاقات المتبادلة داخل الأسرة (Family Relations)

العلاقات الأسرية ذات أبعاد متعددة. إلا أن ما يهمنا هنا هو العلاقات الداخلية لأفراد الأسرة مع بعضهم البعض وليس علاقات الأسرة مع المجتمع المحيط ويمكن تقسيم العلاقات الأسرية الداخلية إلى قسمين ريئسين هما:

١ ـ علاقة كل من الأبناء والأباء وشعورهم اتجاه بعضهم البعض.

٢ ـ وعلاقة الأبوين بعضهم ببعض. فكلا هذين العنصرين يؤثران بشكل مباشر أو غير مباشر على تحديد سلوك الأبناء.

فالعلاقات الأسرية الحميمة بين الأبناء والأباء والتقارب الأسري من أهم العوامل المساعدة في حماية الأحداث من الانزلاق في الجريمة والانحراف،

فقد وجد ريتشا رد (Richard) أن قرب الأمهات من أطفالهم والتودد إليهم يعد من أهم العوامل الواقية من الانحراف . بينما تريكيندي (Cindy) بأنه كلما كانت العلاقة بين الابن والأب تتصف بالبرود والتباعد كلما كانت احتمالية انحراف الأبناء أقوى . في (Larry & Joseph 1988: 247) . ويحدد كل من ريتشارد وجمس(Richard & James) أربعة عوامل رئيسية تحدد الفرق في جعل الأبناء منحرفين أو غير منحرفين هي :

١ ـ افتقاد الحنان والحب مع الأب .

٢ ـ مقدار العلاقة والاتصال بين الأبناء والآباء .

٣ ـ افتقاد إشراف الأب وتولى الأم الأشراف على التربية دون الأب .

٤ ـ سوء العلاقة والتفكك داخل الأسرة في :Larry & Joseph: 1988) (247 . كما وجد المالك (١٩٩٠ : ٢٥٣) في دراسته المقارنة بين الجانحين والعاديين أن الجانحين والعاديين يبدون الشعور ذاته نحو أحب الأقرباء إليهم . ولكن بالنظر إلى نوعية الأقرباء الذين لا يحبهم الحدث الجانح اتضح أن الغالبية العظمى من الأطفال الجانحين ينفرون بصورة أكثر مقارنة بغير الجانحين من الأب أو أشخاص ينتمون إلى الأب . مما يعني أن الأحداث الجانحين ربما تكون علاقاتهم بآبائهم سيئة إلى حد ما .

أما علاقة الأبوين بعضهما ببعض فتلعب دوارا هاما في توجيه سلوك الأبناء والتأثير عليهم لا يقل عن علاقة الآباء بالأبناء . حيث وجد المالك (١٩٩٠ : ٣٠٩) من خلال تحليله لمجموعة من حالات الأحداث المنحرفين في مدينة الرياض» انه بالرغم من كون النسبة الغالبة للآباء في أسر الأحداث هم من المتزوجين بأم الحدث فقط إلا أن ذلك لم يحل دون انحرافهم وهذا مرجعه إلى نوعية العلاقات القائمة بين الوالدين ، وانعدام روح التفاهم

بينهما، وكثرة الخلافات والمنازعات بينهما، مما ينعكس بدوره على جو الأسرة وبالتالي على الأبناء الذين يبحثون خارج البيت عما هو بديل مستقر تحقيقاً للاستقرار وما يترتب على ذلك من مخاطر وانحرافات لهم.

وبالرغم من أن الحياة الزوجية لا يمكن أن تخلو من النزاع واختلاف وجهات النظر بين حين وآخر إلا أن الأبوين العاقلين يحاولان إبقاء تلك المنازعات بينهما وأن لا يشركا الأبناء في مشاهدتها وسماعها، بل يظهرا أمام الأبناء بمظهر الود والوئام والمودة. فالطفل عندما يشاهد الأب وهو يضرب الأم، أو يهددها أو يوبخها فإنه ربما تتكون لديه أحد ردود الأفعال التالية:

١ ـ الانحياز إلى جانب الضعيف منهما وهو في هذه الحالة الأم، وبالتالي يكره الأب وتنشأ لديه نزعة عدوانه للانتقام.

٢ ـ الانحياز إلى جانب القوي وهو هنا الأب، وفي هذه الحالة يكون جباراً لا يهتم بالضعفاء ولا يحترمهم.

٣ ـ كذلك عند مشاهدة الصغار الأبوين وهما يتشاجران فإن ذلك يقلل من احترامهم لهما وربما تقليدهم لسلوكهما في التعامل مع الأبوين ذاتهما أو مع الآخرين.

ولكي تقوم الأسرة بالدور الأمثل في حماية ذاتها وأبنائها من الانحراف والتفكك، فإن البداية تكون من الأبوين في إعطاء الأبناء الصورة الحسنه والنموذج الأمثل في التعامل فيما بينهما واحترام أحدهما للأخر وعدم إظهار خلافاتهما أمام الأبناء وعدم تسفيه أحدهما لآراء الأخر والتعامل بما يمكن أن تسميه القدوة الحسنة. كذلك معاملة الأبناء معاملة تتصف بالعدل والاعتدال، والمحبة.

٣ ـ سلوك الآباء (Parents Behavior)

اهتم علماء النفس، والاجتماع، والتربية، بأهمية المحاكاة والتقليد في سلوك الأفراد، فظهرت العديد من النظريات في علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي تدعم هذا الجانب وتحلله. وتعد نظرية التقليد والمحاكاة التي أسسها العالم الفرنسي (Tard) من أشهر النظريات التي اهتمت بهذا الجانب. والمحاكاة في المجتمع الإنساني تتجاوز الأفراد إلى المجتمعات بأكملها، فبعض المجتمعات يتخذ من مجتمع آخر قدوة له. أما على مستوى الأفراد أو الأسرة بشكل خاص فيلاحظ أن الأبوين هما المثل الأعلى الذي يحرص الأبناء على تقليد تصرفاتهما. فالطفل كما يرى البعض «كائن صغير مقلد يتأثر بصدق بكل ما يحيط به من أنماط سلوكية مختلفة وليس دون الوالدين من يستطيع أن يرسم للطفل طريق المحاكاة والتقليد. فالطفل يتعلم الكثير من والديه بسرعة فائقة لذا فكل اضطراب في سلوك الوالدين أو انحراف في شخصيتهما لاشك يعكس آثاره على شخصية الطفل عاجلاً أو آجلاً». (الدوري: ١٩٨٤: ٢٩٢)

وفي التراث الإسلامي، والثقافة العربية العديد من الأحاديث والأقوال والحكم والأمثال التي تدعم هذا الجانب وتؤكده قال صلى الله عليه وسلم (ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه رواه البخاري) وقد أظهرت العديد من الدراسات العربية والأجنبية العلاقة القوية بين انحراف الآباء وانحراف الأبناء. فعلى سبيل المثال وجد كل من دانلد Donald وفرانجتن Farrington أن نسبة كبيرة من الشباب المنحرفين ينتمون إلى أسر ذات أبوين منحرفين في :Larry & Joseph) (1988:248 كما أظهرت الدراسة المتعمقة التي استخدمت أسلوب دراسة

الحالة والتي قام بها وست وفرنجنتن (West & Farrington) وشملت ٣٥٦ حدثا أن هناك ٣٧٪ من تلك الحالات ينتمون إلى اسر قد ارتكب فيها الأباء اكثر من جريمة . في (Larry & Joseph: 1899:248) وفى العالم العربي أظهرت دراسة (الدباغ :) أن هناك نسبة كبيرة من المنحرفين ينتمون إلى أسر يسود فيها الانحراف والفساد فقد اتضح أن ٥,٣١ ٪ على الأقل من الأحداث المنحرفين دخل آباؤهم السجن (الدباغ ١٤٠٩ : ١٦٥) كما وجد (العمري ١٤١٦) أن ٥١ ٪ من الأطفال المنحرفين الذين أجري عليهم الدراسة قد سبق أن دخل أحد أقاربهم لدار الأحداث أو ارتكب جريمة (العمري ١٤١٦ : ١٨٤) وفي بحث أجري في السويد تبيَّن أن ١٧٪ من آباء الجانحين كانوا مجرمين مقارنة ب ٥,٤ فقط من آباء غير الجانحين كما أوضحت دراسة أجريت في كامبردج أن ٣٩٪ من الجانحين آباؤهم جانحون بينما ١٧٪ من أبناء غير المجرمين (المالك ١٩٩٠ : ٢٠٠)

ويفسر البعض ذلك بأن الجريمة تنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء أما علماء النفس فيرون أن الأمر ربما يعود إلى عملية التنشئة للطفل فالأبوان قد ينقلان عن طريق التنشئة إلى أبنائهم نفس صفات شخصياتهم مما يجعل الأبناء يتصرفون ويسلكون السلوك ذاته الذي سلكه الآباء وهو الجريمة أما علماء الاجتماع فيرونْ بأن العلاقة بين انحراف الأبناء وانحراف الآباء تعود إلى البيئة المحيطة بالطفل فالأباء عندما ينشئون تنشئة معينة في بيئة معينة فأنهم غالباً ينقلون ما تعلموه من خبرات إلى أبنائهم كما يفسر بعض علماء الاجتماع أن السبب في انحراف الأبناء الذين ينتمون إلى أسرة منحرفة يعود إلى ضعف العلاقة بين الأبوين والابن مما يجعله يفقد عصر التوجيه والنصح كما تفسر بعض النظريات الاجتماعية ذلك بكون الأبناء الذين

ينتمون إلى أسر منحرفة غالباً ما يوصمهم المجتمع بنفس الوصم الذي يصم به الأبوين مما يجعل الأبناء يتقبلون ذلك الوصم ويتصرفون في ضوئه.

فالقدوة الحسنة من أهم الأمور التي يجب على الأسرة مراعاتها والاهتمام بها من أجل صلاح واستقامة الأبناء. فعن طريق القدوة الصالحة للأبوين يمكن تجنيب الأبناء العديد من مزالق الانحراف والتشرد والضياع. ولذا يلاحظ أن الإسلام قد أمر بالاستتار عند ارتكاب المعصية، ونهى عن المجاهرة بها. فالأبوان غالباً ما ينظر إليهما الأبناء على أنهما قدوة ومثال للصلاح والاستقامة، حتى لو لم يكونا كذلك. وحينما تهتز هذه الصورة المثالية في نظر الأبناء فانهم بذلك يفقدون احترامهم لمثلهم الأعلى وبالتالي يفقدون الثقة في الآخرين والمجتمع المحيط بهم فينظرون إلى كافة الناس على أنهم مخادعون، غير جديرين بالاحترام. وهنا تكمن الخطورة في اهتزاز القيم لدى الأبناء لأن ذلك غالباً ما يقود إلى الانحراف.

٤ ـ التفكك الأسري(Broken Homes)

يعود بداية الاهتمام بدراسة العلاقة بين التفكك الأسري وانحراف الأبناء إلى الدراسات التي قام بها كل من آشلي وويك (Ashley & Week) وشيلدون واليـنور (Sheldon & Eleanor) ثم دراسات جاكسون توبي (Toby) وروث موريس (Morris) حيث أثبتت تلك الدراسات أن غياب الأبوين أو بعضهما من العوامل الهامة المساعدة على انحراف الأبناء، كما أوضحت الدراسات أن أبناء الطبقات المتوسطة، والراقية يتأثرون بشكل أكبر من جراء التفكك الأسري وغياب الآباء من أبناء الطبقات الفقيرة (Larry & Joseph: 1899:244). أما في العالم العربي فقد أوضحت

دراسة الساعاتي في المجتمع المصري والتي شملت حوالي ٨٠٠ حدث جانح ومتشرد أن حوالي ٧٦٪ من أسر الجانحين كانت مفككه في (الحامد ١٤١٥ : ١١٤) . وبالرغم من أن بعض الباحثين أمثال مكاي (McKay) و كليفورد (Clifford) يرون انه لم تثبت أن هناك علاقة قوية بين انحراف الأبناء والتفكك الأسرى . ويريان أن معظم الدراسات التي اهتمت بهذا الجانب فشلت في إثبات دليل قاطع يوضح العلاقة بين الانحراف والتفكك الأسري، وبالرغم أن الإحصاءات الرسمية توضح ارتفاع نسبة ا لأحداث المنحرفين ممن ينحدرون من أسر مفككة بالطلاق أو الانفصال إلا أن ذلك لا يعنى في نظرهما أن ذلك دليل على وجود علاقة بين الأمرين . ويريان أن ذلك ربما يعزى إلى عوامل أخرى، مثل ضعف الرقابة الأبوية على الأبناء، نظراً لغيابهم . (Larry & Joseph !988: 424) . ويشير لارى إلى النتيجة ذاتها التي توصل إليها (McKay) في كون الدراسات المتعلقة بالتفكك الأسرى والانحراف لم تثبت بشكل قاطع قوة العلاقة بين المتغيرين إلا انها جميعها تشير إلى أن التفكك الاسرى يضعف الرقابة الأبوية على الأبناء مما يجعل فرصة انحر اف الأبناء تبدو بشكل أكبر في الأسر المفككة . وقد أشارا إلى نتائج دراسة جو سف (Joseph) والتي شملت (٢٢٤٢) حدثا حيث توصلت الدراسة إلى أن الأحداث الذين تربوا في أسر تفتقد وجود الأبوين كانوا أكثر احتمالية في ارتكاب المخالفات القانونية والانحراف مثل الهرب من المنزل والسرقة (Larry & Joseph: 1899:246) . كما تشير نتائج أبحاث جون بولبي (Bowlby) إلى انه ليس الانفصال الجسدي عن الأم هو الذي يقود إلى معاناة الطفل من الأعراض النفسية والجسدية المهيأة للانحراف ولكن أيضاً الانفصال المعنوي المتمثل في تهديد الطفل بالترك

خوف الانفصال في (المالك ١٩٩٠ : ١٩٩) . ويرى المالك : « أن الأبحاث التي تناولت أثر الخلافات الأسرية من قبل الانفصال أو الطلاق أو الهجر . الخ في جنوح الأحداث غالباً ما تعجز عن توفير تحديد دقيق لمفاهيم الانفصال والطلاق والهجر ، بل تأخذها على عواهنها على حين أن الطلاق أنواع والانفصال أنواع والهجر أنواع . الخ ورغم هذا تتفق هذه الدراسات على أن لهذه المتغيرات تأثيراً معلوما في الجنوح . » المالك (١٩٩٠ : ٢٠٠)».

ومهما يكن من خلافات حول أهمية هذا المتغير ودوره المباشر أو غير المباشر في انحراف الأبناء إلا انه لا يوجد من ينكر أن التفكك الأسرى يعد من أهم العوامل المساعدة على الانحراف سواء في مراحل التنشئة الأولى للأبناء وحتى لمن هم في سن الرشد من البالغين . فتفكك الأسرة سواء بالوفاة ، أو الطلاق ، أو الانفصال يؤدى إلى العديد من المشكلات فالحدث الصغير الذي يجد نفسه فجأة يفقد أحد أبويه ويضطر إلى السكن مع أحدهما أو مع أسرة أخرى غير الأبوين ربما يقوده ذلك إلى الانحراف والجريمة وذلك كنتيجة لسوء التكيف .

ويؤدي انفصال الأبوين اما بالهجر أو بالطلاق إلى إقامة الطفل مع أحدهما ، أو مع أحد الأقارب ولكل من ذلك تأثيراته الاجتماعية على شخصية الطفل وسلوكه . فبقاء الطفل مع الأم في ظل غياب الأب قد يوفر للطفل الحنان والعطف الذي يحتاجه في هذه المرحلة إلا أنه لا يوفر له الظروف المعيشية ، ولا الشعور بالأمن مثلما كان يجده في السابق مع وجود الأبوين معاً . كما أن الطفل الذي يعيش مع أمه فقط غالباً ما تعزز لديه الأم الرغبة في الشعور بالمسئولية في أن يصبح رجلاً في سن مبكرة مما قد يدفعه

إلى ارتكاب العديد من السلوكيات غير النظاميه . أوقد تبالغ في تدليله رغبة منها في تعويضه فقد الأب أو للاحتفاظ به كي لا يحتاج إلى الأب . مثل هذا النوع من المعاملة قد يؤدي إلى إيجاد جيل مدلل اتكالي ، انتهازي ، يريد الحصول على كل ما يريد بالقوة مما يدفع البعض إلى ارتكاب العديد من الجرائم أو الجنح . كما أن الأمهات في مجتمعنا العربي يعتبرن الأب هو السلطة العقابية ، ولذا يلاحظ أن الأم في مجتمعاتنا غالباً ما تردد بأنها ستخبر الأب في حالة ارتكاب الابن لأي خطأ ولذا يلاحظ أن الابن في الثقافة العربية يعتبر الأم رمزا للحنان ، بينما يعتبر الأب رمزاً للقوة ، أو السلطة التنفيذية للعقاب .

ولذا يلاحظ أن الأبناء غالباً لا يخافون الأمهات ، ففي حالة تفكك الأسرة ، وانتقال الأبناء للعيش مع الأم فإن الأم غالباً ما تلجأ إلى أخوتها (الأخوال) ، أو إلى والدها (الجد) للقيام بدور الأب كسلطة عقابية . وهنا ينشأ ما يمكن أن نسميه(بداية التمرد على أنظمة الأسرة) ، وعصيان الأم التي غالباً ما تكتفي بالتهديد والوعيد وحيث أن تلك التهديدات غالباً لا تنفذ لعدم وجود رقابة دائمة فإن الطفل أو الحدث مع الوقت لا يهتم بتلك التهديدات ويبدأ في التمرد على أنظمة الأسرة ، وربما يعد بداية للجنوح .

النمط الثاني أن يعيش الطفل مع الأب دون وجود الأم وفي هذه الحالة فإن الوضع يأخذ صورة أخرى فالطفل في هذه الحالة يفقد عنصري ، (الرعاية ، والحنان) معاً . فالأب مهما كان حريصاً لا يستطيع تعويض الابن لفقد أمه . ويزداد الأمر سوءً في حالة وجود زوجة الأب التي غالباً لا تكون علاقتها بالأبناء من الزوجة السابقة علاقة حميمة . مما يجعلها تحيك المؤامرات للوشاية بهم ، وترصد هفواتهم لمعاقبتهم من قبل الأب

فينشئون وهم يحملون بين جوانحهم الكره والبغضاء. وربما أدى ذلك إلى هروبهم من المنزل، والبحث عن الحنان و الأمان والانتماء خارج المنزل، وربما يقود ذلك إلى انخراطهم مع قرناء السوء مما يكون بداية انحرافهم. .

ونظراً لما للتفكك من أخطار جسيمة على الفرد والمجتمع فإن الدين الإسلامي حث على ضرورة المحافظة على الكيان الأسرى بشتى الطرق والوسائل، كما حث على الإصلاح بين الزوجين وسلك كافة الطرق لإبقاء الحياة الزوجية، حتى في حالة انعدام الحب. ولذا نجد الإسلام قد حث الرجال على تحمل النساء، كما حث النساء على حسن التبعل وطاعة الزوج. ووضع أسساً وحقوقا لكل من الزوج والزوجة حتى يتسنى لكل فرد معرفة حقوقه فلا يطغى على الآخر ولا يهضمه حقه. فإذا استقامت هذه الأمور استقامت الحياة الزوجية وإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، فالأسرة الصالحة هي التي تخرج النشء الصالح الذي يساهم في بناء الأمة.

ثانياً جماعة الرفاق(Peers Group)

يرى كل من (Larry & Joseph) أن المهتمين بدراسة الانحراف والجريمة قد انقسموا إلى قسمين متضادين في تحديد تأثير جماعة الرفاق (Peers Group) حيث يرى أصحاب النظرية البنائية الاجتماعية أمثال (Clifford & Frederick) أن انحراف الأحداث من الذكور يعود إلى ما يجدونه من اهتمام وشعور با لذات من خلال انتمائهم إلى جماعة الرفاق. حيث يجد أبناء الطبقة الفقيرة في هذه الجماعة نوعاً من التعويض والاحترام والانتماء. ويتمثل ذلك من خلال انتمائهم إلى جماعة العصابات (gang) التي تشعرهم بأهميتهم كأفراد يتصفون بالشجاعة والقوة والرجولة).

وتتفق هذه النظرة مع ما يذهب إليه أصحاب نظرية التعلم الاجتماعي (Social Learning Theory) الذين يرون أن السلوك يكتسب بالتعلم الذي يتم عن مخالطة الآخرين والتفاعل معهم كذلك تتفق مع نظرية (Labeling Theory) التي ترى أن الوصم يجعل الأفراد يلتصقون بمن يماثلهم كجماعة فرعية

وفي المقابل يرى أصحاب نظرية الضبط الاجتماعي أمثال (Hirschi) أن المنحرفين متحررين من قيود جماعة الرفاق، مثلما هم متحررون من القيود الاجتماعية ففي حين يرى المنحرفون أن لهم أصدقاء إلا أن علاقتهم فيما بينهم تصف بالبرود والتعويض لملء الفراغ الذي يشعرون به (Larry & Joseph: 1899:276) ومهما اختلفت الآراء عن قوة أو ضعف جماعة الرفاق في التأثير إلا انه لا يمكن تجاهل ذلك الدور مهما كانت قوته أو ضعفه ولذا يلاحظ أن الإسلام قد حث على حسن الصحبة وحسن اختيار الصديق، أو الخليل : فيصور لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أثر الصحبة الصالحة والصحبة السيئة افضل تصوير في قوة التأثير حيث يقول (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة) رواه البخاري ومسلم فجماعة الرفاق غالباً ما توجه العديد من سلوكيات الأفراد سلباً أو إيجابا سواء على مستوى الأسرة أو على مستوى الأبناء.

فعلى مستوى الأسرة قد يكون لها تأثيرات سلبية على الزوجين، وعلى درجة علاقتهما فقد يؤثر أصدقاء السوء في خلق المنازعات بين الزوجين بتحريض كل منهما على الأخر مما يجعل حياة الزوجين في دوامة من المشكلات اليومية.

أما على مستوى الأبناء. فيعد الأصدقاء من أكثر الفئات المؤثرة في تحديد السلوك. حيث يرى البعض «أن فاعلية جماعات الأقران يقوى تأثيرها عندما ينتظم الطفل في حياة المدرسة، ويقل دور الحياة الأسرية وخاصة في الأسرة التي تعتقد أن دورها ينتهي بانتقال الطفل إلى المدرسة. فالأقران يقومون بدور هام في حياة الصغار بوصفهم عوامل للتنشئة الاجتماعية حيث يعلم أحدهم الأخر كيف يكون سلوكه في المواقف الاجتماعية المختلفة ويتم ذلك بصور مختلفة منها:

١ ـ قد يقوم بعض جماعات الأقران بتقديم بعض المكافئات والعقوبة لرفاقهم.

٢ ـ قد توفر جماعة الأقران فرص تعلم وتفاعل الطفل مع أترابه أو رفاق عمره وتشاركه في مشكلاته وصراعاته وانفعالاته ومشاعره.

٣ ـ يتأثر الطفل بالنمط السائد بين أقرانه ورفاقه من قيم واتجاهات فإذا كانت العصبة منحرفة انحرف معها وإذا كانت لا تهتم بالأعمال المدرسية قد يدعو هذا إلى عدم الانتظام في التحصيل

قد تؤثر جماعة الأقران على قيم الأطفال فيما يتعلق بالمقارنات التي قد يترتب عنها مشكلات وانحرافات سلوكية مما قد يرفع من تقدير الطفل لذاته أو يحقر من شأنه وما قد يسببه ذلك من انحرافات سلوكية.» (منصور ١٤١٠: ٨٤ ـ ٨٥). ويشير المالك إلى أن ظاهرتي الرفاق والأصدقاء أمر حتمي تحدث لأي مراهق وتنتهي عادة ببلوغ سن السابعة عشرة. فالرفاق في نظره ظاهرة انتقالية بل ضرورية أحيانا إلا انها تصبح خطرة ومساعدة على الانحراف في حالة تفكك الأسرة. ويشير المالك إلى نتائج دراسة (Floyol and South) عن أهمية الرفاق في تحديد أذواق واتجاهات الأحداث

حيث اتضح أن الأحداث الذين تقل أعمارهم عن الحادية عشر يفضلون أن يتبعوا الأبوين في ذوقهم في ا ختيار الملابس أو تقليدهم بينما يقل تقليد الأحداث لذوق الأبوين ويصبح أكثر تأثراً بالأصدقاء في السن ما بين ١١ - ١٣ سنه ثم يبدأ في الانخفاض مرة أخرى ليصل لمرحلة الاختيار الشخصي في السابعة عشرة تقريباً . مما يعني أن أثر الرفاق يصل قمته في المرحلة العمرية ما بين(١١ - ١٣)سنة من العمر . (المالك ١٩٩٠ : ٢١٠)

وتشير بعض الدراسات الميدانية إلى أهمية الدور الذي تقوم به جماعة الرفاق في انحراف الحدث فعلى سبيل المثال وجد الدباغ أن ٤٥٪ من أفراد العينة التي درسها عن الأحداث المنحرفين في الرياض يذكرون أن رفاقهم هم السبب في إيداعهم دار الملاحظة فقد أودعوا الدار بسبب ما لدى رفاقهم من سوابق وخبرة في الآسرات وتعلموا منهم ممارسة مثل هذا النوع من السلوك الانحرافي ، بينما ٢٧٪ أودعوا الدار بسبب مرافقتهم لأصدقاء يتعاطون المخدرات أو المسكرات وتعلموا منهم تعاطي مثل هذه الأشياء (الدباغ ١٤٠٩ : ٨٩) كما أكدت دراسة الحامد أن الأصدقاء لهم دور بارز في انحراف الحدث حيث اتضح أن ٥٦٪ من عينة المنحرفين أفادوا بأن علاقتهم تمت عن طريق الجيرة في الحي . كما أن نمط التعارف عن طريق أصدقاء آخرين يظهر أكثر وضوحا عند المنحرفين . (الحامد ١٤١٥ : ٢٦٢)

فالشخص المنحرف لا يكتفي بجر من يعرف إلى الانحراف وإنما يجعل الآخرين ممن يتعرف عليهم يساعدون في ذلك مما يوسع دائرة الانحراف والجريمة حيث يتحول المجرم مع الوقت إلى عنصر فاسد يسعى إلى إيجاد وتكوين عناصر فاسدة .

ويمكن للأسرة الواعية أن تقي أبناءها شر الصحبة الفاسدة عن طريق الوسائل التالية :

١ ـ المتابعة الدائمة والواعية وتوجيه الأبناء لاختيار الأصدقاء الصالحين المتصفين بالاعتدال في تصرفاتهم وسلوكياتهم. وإبعادهم عن أصدقاء السوء بشتى الطرق الممكنة بالإقناع وليس بالعنف. فالمراهق يزداد تعلقاً بأقرانه إذا حاولت الأسرة منعه عنهم بالقوة وقد يؤدى ذلك إلى هروبه من المنزل

٢ ـ محاولة تعديل سلوك الأصدقاء عن طريق الجلوس معهم ومحاولة نصحهم برشادهم . .

٣ـ اشغال وقت فراغ الصغار والمراهقين بما يفيد من رياضة وقراءة ورحلات حتى لا يجدوا الوقت للتفكير في الآخرين.

٤ ـ التقرب من الأبناء ومحاولة فهم احتياجاتهم والسماع لمشكلاتهم وأخذ آرائهم في الآخرين وغرس المبادئ الفاضلة في نفوسهم حتى يكون الدافع الذاتي لديهم في اختيار الأصدقاء الصالحين ونبذ الأصدقاء الفاسدين ذاتيا وليس مفروضاً.

٥ ـ تخصيص وقت كاف لكافة أفراد الأسرة للتحدث والسماع إلى مشكلات الأبناء ومساعدتهم على حلها وذلك بتكوين صداقة بين أفراد الأسرة مبنية على الثقة المتبادلة حتى لا يحتاج الأبناء إلى البحث عن الآخرين خارج الأسرة لحل مشكلاتهم مما قد يؤدى إلى جرفهم إلى الانحراف كحل لمشكلات قد تكون بسيطة. فالأسرة الواعية هي التي تجنب ذاتها وأبناءها شر المجتمع المحيط بها إذا كان فاسداً أو منحرفاً وكذلك تساهم في إصلاح ما يحيط بها من أقارب وأصدقاء.

ثالثاً: الحي

يساهم الحي في تزويد الفرد ببعض القيم والمواقف والاتجاهات والعادات والمعايير السلوكية التي يتضمنها الإطار الحضاري العام الذي يميز المنطقة الاجتماعية، وقد حاول بعض علماء الجريمة والاجتماع ربط الجريمة بالأحياء الفقيرة، أو المزدحمة بالسكان، أو المغلقة، أو الفاسدة التي تنتشر فيها الرذيلة إلى آخر ما هنالك. (الدوري ١٩٨٤ : ٢٧٩)

فالحي لا يقل أهمية عن دور الأسرة أو دور الأصدقاء في إمداد الفرد بالكثير من القيم. وغالباً ما يحدد المستوى الاقتصادي للفرد نوع الحي الذي يسكنه. فالفقير لا يستطيع سكنى الأحياء التي تفوق قدرته المالية، والغنى لا يسكن الأحياء الفقيرة، وكذلك الطبقة المتوسطة نجد أنها تسكن في أحياء معينة.

أما عن العلاقة بين الانحراف والجريمة ونوع الحي فقد أوضحت النظرية الأيكولوجية التي طورها بارك(Park) العلاقة بين الحي وانتشار الجريمة حيث ترى أن تطور المدينة يؤدى إلى إيجاد دوائر اجتماعية واقتصادية فكلما بعدت الدائرة عن مركز المدينة التجاري ارتفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي للسكان. أما الجريمة فتبلغ ذروتها في الأحياء المتاخمة لمركز المدينة التجاري.

وكذلك الحال بالنسبة للأحياء المتاخمة للمراكز الصناعة والتجارية. (الخليفة ١٤١٣ : ٥٧). ومن أهم الدراسات في الوطن العربي التي اهتمت بتوزيع الجريمة على الأحياء دراسة (الخليفة ١٤١٣) التي وجدت أن هناك ارتباطاً قوياً بين نوع الجريمة والحي. فبعض الأحياء تنتشر بها جرائم معينة تختلف عن جرائم الحي الآخر. كما وجد (مدبولي ١٩٨٦) من خلال تحليله

لأضابير نزلاء دار الرعاية الاجتماعية بالرياض من(١٣٩٢ ـ ١٤٠٠) أن ٤,٦٦٪من النزلاء قدموا من أحياء شعبية مثل الديرة والبطحاء ومنفوحة. بينما ٧,٤٪فقط من الأحياء الراقية في(الملك ١٤١١ : ٢٧١).

ويشير بعض الباحثين إلى أن نسب الجنوح والجريمة ترتفع بازدياد التمدن ويعزو ذلك إلى عامل العزلة حيث يرى أن اكتشاف الباب لا يقل أهمية عن اكتشاف النار إلا أن لكل منهما مساوئ فالنار تقتل الإنسان والباب يقلص علاقة الإنسان بالإنسان وحيث تكثر الأبواب والجدران تضعف الجيرة والمشاركة في شئون الآخرين، بعكس القرى التي لا يكثر فيها مثل ذلك مما يشجع على العلاقات التي تؤدي إلى تقليص الاعتداء فحيث يعرف الجار جاره لا يحدث اعتداء ولكن في المدن الكبيرة حيث تقوم الجدران عوازل تشجع على الاعتداء والعنف ويرى بأنه من الطبيعي أن يقوى الفرد على إيذاء شخص مجهول لديه أو أن يتقاعس عن إنذاره بخطر يحدق به. (الملك ١٤١١ : ٢١٦).

وكما تؤدى العزلة الاجتماعية بين الجيران إلى الجريمة، فقد يؤدي الاختلاط في بعض الأحيان إلى الانحراف أيضاً فقد أثبتت دراسة (المالك ١٤١١) أن شوارع الحي تكون مناسباً لتبادل الخبرات الإجرامية والانحراف بين الأحداث فقد اتضح أن ٢,٤٣٪ من المبحوثين المنحرفين يلتقون بأصدقائهم في شوارع الحي.

لذ فإن الحي يمكن أن يكون أحد العوامل الدافعة للجريمة أو أحد العوامل الواقية من الجريمة ويمكن إيجاز أهم الوسائل التي يمكن بواسطتها أن يقوم أبناء الحي بالدور الأمني المنشود لوقاية من الجريمة والانحراف فيما يلي:

١ ـ اختيار الحي الآمن للسكنى فبالرغم من كون العامل الاقتصادي يحدد نوع الحي الذي يسكنه الشخص كما أشير سابقا. إلا أن الشخص يستطيع أن يختار من بين الأحياء التي لا تشتهر بالرذيلة، أو الجريمة وفقاً لإمكاناته المالية.

٢ ـ يستطيع الشخص أن يؤثر سلباً وإيجاباً في الحي الذي يسكنه. ففي الولايات المتحدة على سبيل المثال يقوم سكان الحي الواحد بدور بارز في محاربة الجريمة وذلك بتوزيع النشرات التحذيرية عن المجرمين، ووضع إشارات للمنازل المراقبة من الجيران. . الخ ما هنالك من الأمور التحذيرية التي تساعد على تكاتف أبناء الحي على محاربة الجريمة.

٣ ـ التناصح بين الجيران فالجار مسئول عن تصرفات جاره فإذا رأى منه ما يكره ينصحه مراراً فإن لم ينته يهدده بالنظام. والصديق يفعل ذلك مع أصدقائه ليتعاون الجميع من أجل إنشاء وبناء مجتمع مسلم، فالحسبة ليست وقفاً على رجال الحسبة بل أنها أمر مشروع لكافة المسلمين. . فالتناصح بين أفراد المجتمع المسلم أمر مشروع وعند إقامة ذلك يستتب الأمن ويقل الانحراف. وتبرز الحاجة إلى ذلك بصورة اكبر في المجتمعات الحضرية حيث يكون أفراد المجتمع غير متجانسين، وتعدم الضوابط العرفية، والعادات، مما يجعل الحاجة تنشأ بصورة أكبر إلى تكاتف أفراد الحي في نبذ كل ما يخل بالأمن والتعاون لتطهير الحي من كل ما يقود إلى الجريمة أو انحراف السلوك. فرجل الأمن لا يستطيع أن يكون حاضرا في كل منزل ولكن عندما يتحول أفراد الحي إلى عيون، وآذان، لرجال الأمن يشعر المجرم بالخوف، وتقل الجريمة ويسود الأمن والطمأنينة.

رابعا: المسجد

اهتم الفلاسفة والمنظرون بدراسة الدين و أثره في تهذيب سلوك الفرد منذ زمن بعيد. فقد استرعى الدين اهتمام فلاسفة اليونان والإغريق، كما استرعى اهتمام فلاسفة الهند، والصين. فلا توجد حضارة من الحضارات الإنسانية إلا ونجد في فلسفتها ما يشير إلى التدين والعبادات. فالإنسان منذ ولادته مفطور على الإيمان بأن هناك قوة خفية أوجدته وخلقته. وأن عليه طاعتها وعبادتها. فمنهم من هداه الله إلى الطريق الصحيح فيهتدي إلى الخالق الباري. ومنهم من حاول أن يبحث عن أي قوة يراها عظيمة فيحترمها ويقدسها.

فالدين فطري في طبيعة البشر، ولكن نوع المعبود هو الذي يحدده المجتمع الذي يعيش فيه الشخص إلى حد كبير وخاصة في أيام النشأة الأولى حينما لا يكون للشخص حرية ولا قرار. ولذا فقد استرعي الدين اهتمام العلماء والفلاسفة والمنظرين فمن الدراسات القديمة التي اهتمت بدراسة العلاقة بين التدين والجريمة دراسة دوركايم (Durkheim: 1917) المشهورة عن الانتحار التي قارن فيها بين أتباع المذهب البروتستانتي، والكاثوليكي. والذي وجد أن أتباع المذهب الكاثوليكي أقل اقداما على الانتحار من أتباع المذهب البروتستانتي. ويرى دوركايم ضرورة قيام النظام الديني في المجتمع لأنه يؤدي إلى التماسك والترابط وانه كلما زاد الانسجام والتلاحم بين أجزاء النسق الديني زاد تبعا لذلك تضامن وتماسك المجتمع في(الحامد ١٤١٥ : ١٢٨).

كما أجريت بعد ذلك العديد من الدراسات التي تقارن بين درجة تدين الفرد ومدى إقباله على ارتكاب جريمة ما، حيث ترى معظم تلك الدراسات

أن الأفراد الذين تكون درجة تدينهم عالية يكونون أقل إقداما على ارتكاب الجريمة، كما أن معدل الجريمة ينخفض بين الأشخاص الذين يحرصون على أداء الواجبات الدينية، وارتياد أماكن العبادة، مقارنة بأولئك الذين لا يحرصون على ذلك. فمن الدراسات التي أثبتت ذلك دراسة بيك (Peek:1985) الذي درس العلاقة بين التدين والانحراف لدى الشباب وقد أوضحت الدراسة أن مستوى التدين يسهم في خفض السلوك الانحرافي وارتكاب الجريمة بينما تدني مستوى التدين يسهم في زيادة الانحراف (في الحامد ١٤١٥ : ١٢٨). كما أثبتت دراسة (الفالح ١٤٠٩) التي طبقت على متعاطي المخدرات بالرياض أن هناك مؤشرا قويا نحو انخفاض مستوى التدين لدى المتعاطين فقد اتضح أن ٤٦٪ منهم لا يحافظون على إقامة الصلاة. بينما ١١٪ لا يقيمون الصلاة مطلقاً بينما ٢٣٪ لا يقيمون الصلاة إلا في أوقات متفرقة في (السيف ١٤١٦ : ١١٨) كما أوضحت دراسة (السيف ١٤١٦) أن مرتكبي الجرائم الأخلاقية في مدينة الرياض ٥٨٪منهم لا يهتمون بالصلاة ولا يحرصون على إقامتها. «ويفسر الباحثون النفسيون الأثر الإيجابي للصلاة على السلوك الإنساني بأنه راجع لوقوف الإنسان في الصلاة أمام الله سبحانه وتعالى في خشوع وتضرع في خمس أوقات. وهذا ما يبعث في الإنسان الاسترخاء والهدوء وراحة العقل وذلك له اثر علاجي في تخفيض حدة التوترات العصبية الناشئة عن ضغوط الحياة اليومية وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لبلال رضى الله عنه «قم يابلال فأرحنا بالصلاة» رواه احمد في مسنده ج٥ : ٣٧١) كما أن صلاة الجماعة تتيح للفرد فرصة التعرف بجيرانه وبكثير من الأفراد الآخرين ممن يسكنون في نفس الحي وهذا يساعد على تفاعله مع الآخرين مما يحقق أسلوب الضبط

الاجتماعي والوقاية من الشعور من العزلة والوحدة». (السيف ١٤١٦ : ١١٩).

ولذا يتضح أن المسجد والصلاة الجماعة في العالم الإسلامي تقوم بدور بارز في تهذيب سلوك الأفراد وذلك للأسباب التالية :

١ ـ يتمتع المسجد بمكانة خاصة في نفوس المسلمين وذلك لما للمسجد والعلماء وائمة المساجد من المكانة البارزة في نفوس المجتمع حيث أن الناس يتقبلون من العلماء، وأئمة المساجد ما قد لا يتقبلونه من رجال الأمن. مما يجعل المسجد يقوم بدور هام في التثقيف الأمني والقيمي ضد الجريمة في العالم الإسلامي فإمام المسجد يستطيع أن يقوم بدور فاعل ورئيس في تثقيف الجمهور وأفراد المجتمع بكافة القضايا الأمنية، وتبصيرهم بها وشرحها لهم بأسلوب مبسط، وطلب تعاونهم مع رجال الأمن في الإبلاغ عن كل ما يمكن أن يخل بالأمن العام.

٢ ـ معظم المجتمعات الإسلامية، والعربية ترتفع فيها نسبة الأمية بشكل كبير مما يقلل من فرص حضور أفراد المجتمع المحاضرات العامة، أو الاستماع إلى البرامج التثقيفية أو الإعلامية المتعلقة بذلك. مما يجعل خطب الجمعة ومواعظ ما بعد الفروض أفضل الوسائل التي يمكن الاستفادة منها في نشر الوعي الأمني لدى كافة طبقات المجتمع. .

٣ـ حرص المسلمين على حضور خطب الجمعة، والمواعظ ليس فقط للاستفادة وإنما أيضا لطلب الأجر من الله، ولذا يرتفع عدد الذين يحرصون على الحضور.

أما أهم الأمور التي يمكن للمسجد في المجتمع الإسلامي في صورته

المثالية أن يقوم بها بهدف التثقيف والتحصين القيمى والأمني فتتلخص فيما يلي :

١ ـ يحضر المسلم ما يزيد على ٤٨ خطبة جمعه جميعها تحذر من كافة أشكال الانحراف كما تحث على مكارم الأخلاق وتبصير الناس بالحلال والحرام. هذا بالإضافة إلى الكم الهائل من الخطب والمحاضرات الأخرى والمواعظ اليومية التي تلقى عقب كل صلاة حيث يقوم إمام المسجد بالتنبيه على بعض الأخطاء التي يراها في المجتمع المحيط به من أفراد الحي، أو المرتادين للمسجد.

٢ ـ يمكن أن يقوم الإمام بالتعاون مع رجال الأمن بالتنبيه على كل ما يراد التنبيه عليه عن الأخطار الأمنية المنتشرة في الحي، أو في المجتمع المحيط وحث المواطنين على التنبه لها ورصد حركات مرتكبيها ومحاربتهم والإبلاغ عنهم. وهنا يكون كافة أفراد الحي يقظين لما يجرى ومراقبين له.

٣ ـ تقوية الوازع الديني بين صفوف المسلمين، وشرح الحلال والحرام، وكذلك معالجة العديد من الأمور المتعلقة بالتعامل، والأسرة، والبيع. الخ والتي غالباً ما تكون سبباً في حدوث المشكلات والجرائم، والتركيز على بعض الظواهر السلبية في المجتمع ونبذها وتبغيض المجتمع لها والدعوة إلى محاربة مرتكبيها. فمثل ذلك يلقى قبولاً واسعاً لدى فئات عديدة من المجتمع. .

٤ ـ يمكن أن يقوم إمام المسجد بدور هام في تفقد أبناء الحي، ومعرفة أحوالهم المعيشية، والاقتصاد يه، ويكون بمثابة المنسق بين الجهات المختصة من الجمعيات الخيرية، والمؤسسات الحكومية التي تقدم

مساعدات مالية للأسر المحتاجة ، وذلك لمساعدتهم على العيش الكريم وتجاوز مشكلة الفقر . فالفقر أحد الأسباب الرئيسة في العديد من الجرائم فتدني المستوى الاقتصادي للأسرة يقود إلى العديد من المشكلات والانحرافات داخل الأسرة ، كما أن أبناء الأسر الفقيرة يكونون أكثر عرضة للانحراف عن طريق التغرير بهم وإغرائهم بالأموال فيستغلون لأعمال الترويج المخدرات ، والتسول ، والدعارة ، والعصابات المختصة بالنشل وما شابه ذلك . وقد أكدت العديد من الدراسات العلاقة القوية بين الجريمة والفقر ، أو البطالة فعلى سبيل المثال وجد الزهراني (ب ت) في الدراسة التي أجراها عن جرائم العصابات أن ٤١ ٪ من أفراد العينة اقدموا على ارتكاب جرائمهم تحت ضغط الحاجة وذلك لعدم وجود عمل لديهم . كما أشارت دراسة الحامد المقارنة بين الأسوياء والمنحرفين أن ٣,٥٤٪ من المنحرفين هم من العاطلين عن العمل . (الحامد ١٤١٥ ص ٢٧٢) . كما أظهرت نتائج دراسة مصطفى عن الأحداث المنحرفين في لبنان أن عدد الأحداث القادمين من أسر تعاني من العوز والفقر بلغ ٥,٧٥٪ من مجموع عينته . في (الدباغ١٤٠٩ : ٨٠) .

فالمسجد يمكن أن يؤدى دوراً هاماً بواسطة الإمام في تفقد المحتاجين من أبناء الحي ومحاولة مساعدتهم بشتى الطرق عن طريق الإعانات ، والصدقات التي يتلقاها المسجد أو مساعدتهم على الانضمام إلى الجمعيات الخيرية أو الضمان الاجتماعي وذلك من اجل مساعدتهم على العيش الكريم ومساعدة أبنائهم على تجنب سبل الغواية والانحراف . .

٥ ـ يمكن أن يقوم المسجد أيضاً عن طريق الإمام بحث المسلمين من أبناء الحي ومرتادي المسجد على التبرع ، وإخراج الزكوات والصدقات ،

وكذلك معرفة الميسورين من أبناء الحي ومحاولة حثهم على البذل والعطاء والتصدق لأبناء الحي من المحتاجين فالزكاة في المجتمع الإسلامي لو دفعت بشكل صحيح ووزعت على فقراء المسلمين لما بقى في العالم الإسلامي محتاج أو فقير.

٦ ـ يمكن للمسجد بواسطة جماعة المسجد المكونة من أبناء الحي الواحد والمساكن المجاورة للمسجد أن يقوموا بدور الصمام الأمني في الحي وذلك بتوطيد العلاقة بينهم فالإمام الواعي المثقف يستطيع أن يستقطب أكبر عدد ممكن من أبناء الحي للانضمام لمثل تلك التجمعات الاجتماعية لتوطيد العلاقات فيما بينهم مما يخفف الشعور بالغربة والعزلة الاجتماعية التي تعانى منها المجتمعات الحضرية كما أنه أحد الأسباب الرئيسة في ارتفاع الجريمة في المدينة بالمقارنة بالقرية. فالعلاقات الاجتماعية تؤدي دوراً رئيسا في عملية الضبط الاجتماعي، فالفرد غالباً ما يحجم عن ارتكاب كل ما يخل بالأمن أو يتنافى مع الأخلاق، أو الآداب إذا كان معروفاً مخافة أن يفتضح أمره ويصبح منبوذا من المجتمع المحيط به و يمكن للمسجد أن يحقق مثل هذا التعارف والتقارب بين أبناء الحي، عن طريق المناسبات الاجتماعية، وخلق فرص للقاءات، وتوطيد العلاقات. وللمراكز الإسلامية في البلدان غير الإسلامية دور نشط في هذا الجانب يمكن للمساجد في البلاد الإسلامية أن تستفيد من ذلك وتحاول تطبيق بعض من برامج المراكز الإسلامية مما سيساهم في استقطاب الشباب من أبناء الحي و شغل أوقات فراغهم عن طريق البرامج الهادفة الاجتماعية، والرياضية، والثقافية ويمكن تحقيق ذلك بالتعاون مع العديد من الجهات المختصة. ولكن لا يمكن تطبيق ذلك إلاَّ

بإعادة تصميم المساجد لتكون على غرار «المراكز الإسلامية» بحيث يشتمل المسجد على العديد من المرافق الاجتماعية لإقامة مناسبات الحي، والمرافق الرياضية، والثقافية.

فالمسجد في صورته المثالية أفضل الأماكن التي يمكن أن تساهم في ذلك إذا أعدت إعداداً جيداً وزودت بكوادر مؤهلة، وبذلك يمكن إعادة الدور الريادي للمسجد في العالم الإسلامي، والذي اقتصر دوره حالياً على أداء الصلوات فقط . .

خامساً: القبيلة

منذ زمن ابن خلدون والقبيلة محور اهتمام الباحثين والمحللين الاجتماعين. وذلك لما لها من دور واضح في التنظيمات الاجتماعية الإنسانية. فقد أوضح بيرجر (Berger) ان فردية البدوي تقابلها سلطة القبيلة. أما ليرنر فقد أوضح من خلال دراسة مقارنة للبداوة الأردنية أهم سمات الشخصية البدوية، والتي منها التمركز حول القبيلة، وولاء البدوي لقبيلته، فالبدوي لا يرتبط بالأرض قدر ارتباطه بالقبيلة. في(الفوال ١٩٧٤ : ٣٢٩)

«فمن أهم خصائص البدوي العربي بالذات أنه يدين بالولاء لجماعته القرابيه خصوصاً قبيلته أياً كان مكانها ويتشرف بالانتماء إليها ويحفظ التسلسل القرابي لقبيلته عن ظهر قلب ويتمسك بكل العادات والقيم التي تدعم صلته بها، وتزيده قرباً منها بالرغم من المسافة التي تباعد بينه وبينها وفي المنطقة العربية نجد أبناء القبيلة الواحدة قد تفرقوا إلى داخل حدود أربع دول مستقلة مثلاً ولكن متى سألت البدوي عن نفسه يقول لك دون إبطاء

وبغير تفكير أنه فلان من قبيلة كذا، لا من دولة كذا » (الفوال ١٩٧٤ : ٣٣٥) . فالقبيلة ترتبط ارتباطاً مباشراً بالعصبية التي هي أساس وحدة القبيلة ومصدر قوتها يقول ابن خلدون في هذا الشأن « ولا يصدق دفاعهم وذيادهم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد لأنهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم، إذ نعرة كل أحد على نسبه وعصبيته أهم. والمعنى أنه لا يتوهم العدوان على أحد مع وجود العصبة له وأما المتفردون في أنسابهم فقل أن تصيب أحد منهم نعرة على صاحبه فإذا أظلم الجو بالشر يوم الحرب تسلل كل منهم يبغي النجاة بنفسه . » (ابن خلدون ص١٢٨) . وتعد القبيلة جزءاً من الشخصية العربية التي لا يمكن تجاهلها ولا إغفالها . وبالرغم من ذلك فإن الدور الأمني للقبيلة لم يعط حقه من الدراسات الاجتماعية . فالقبيلة يمكن أن تقوم بدور مزدوج في تدعيم الأمن الوطني أو زعزعته . ولا سيما في المرحلة لانتقالية الحالية التي ما زالت القبيلة تؤدي دوراً بارزاً في حياة الأفراد في المجتمعات العربية .

الدور الأمني للقبيلة

١ ـ كلما زاد ارتباط الفرد بمجتمع القبيلة كلما كان أكثر خوفاً على سمعته مما يجعله أقل إقداماً على ارتكاب الجرائم التي تسيء لسمعته بين أفراد قبيلته فالفرد يتحاشى القيام بأي جريمة مخالفة لعرف القبيلة الاجتماعي مخافة الفضيحة والعار بين أفراد قبيلته .

٢ ـ يمكن عن طريق شيوخ القبائل ملاحقة المجرمين الهاربين من العدالة وضبطهم وتقديمهم للعدالة . أو الإبلاغ عن الخارجين عن القانون وتسليمهم لرجال الأمن مما يجعل شيوخ القبائل يقومون بدور مراكز

شرطة غير رسمية بين أفراد قبيلتهم ولا سيما في المناطق البعيدة عن الرقابة الأمنية الرسمية .

القبيلة والاحتياجات الأمنية للمجتمع الحديث

نظرا للتغيرات الاجتماعية في المجتمعات العربية واتجاهها نحو تبنى الأنماط الحضرية . فإن الانتماء القبلي بمفهومه العام بدأ يضعف تدريجياً ففي الدراسة التي أجراها عسيري(Asseri1991) اتضح أن الانتماء القبلي والشعور بالارتباط بالقبيلة كوحدة اجتماعية مرجعية لم يعد يشكل أهمية كبيرة للكثير من أبناء بعض القبائل في المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة حيث بدأ الاهتمام بشئون الأسرة المباشرة يشكل محور اهتمام الأغلبية . فمشكلات أبناء القبيلة أو أخطائهم الاجتماعية أو خروجهم عن الأنظمة الرسمية أو العرفية أصبح لا يشكل هاجساً لغير أفراد الأسرة المباشرة للشخص. بينما لا يمثل أهمية كبيرة لدى أبناء القبيلة فيما عدا المشكلات الكبرى المتعلقة بضرورة تضامن أبناء القبيلة كالديات وما شابه ذلك. .

ولذا فإن سلطة القبيلة في الضبط الاجتماعي لم تعد بالقوة ذاتها التي كانت عليه قبل قيام الدولة الحديثة . مما يجعل أبناء القبيلة لا يخشون من العار والفضيحة بين ابناء قبيلتهم كماأنهم لا يخشون مقاطعة أبناء القبيلة ونبذهم لهم كنتيجة للهجرة الواسعة لأفراد القبيلة وتفرقهم في مناطق مختلفة لظروف العمل والسكن وما إلى ذلك مما جعل التعصب القبلي والانتماء القبلي يفقد الدور الإيجابي للضبط .

وبالرغم من ذلك إلا إن الارتباط العاطفي بالقبيلة مازال قو ياً إلى حد ما مما يجعل الانتماء القبلي لم يعد يشكل عاملاً هاماً في الضبط الأمني

وإنما أصبح يشكل مشكلة أمنية لها العديد من السلبيات الأمنية التي يمكن إيجازها فيما يلي :

١ ـ إحتمالية التستر والمناصرة لأفراد القبيلة لأبناء قبيلتهم في حالة ارتكاب أحدهم جرماً معيناً . حيث يقومون بمناصرته وا لدفع عنه ومحاولة حمايته بشتى الطرق حتى ولو كان ذلك على حساب المصلحة العامة الوطنية .

٢ ـ تقوم القبيلة في بعض الأحيان بالتظليل الأمني وذلك لتغليب الانتماء القبلي على الانتماء الوطني لدى بعض الأفراد مما يجعله يتستر على ابن قبيلته أو يساعده على الإفلات من العقاب رغبة في كسب ود القبيلة وعملاً بأعرافها وتقاليدها التي تدعم مثل هذا السلوك وتؤيده . وتعد هذه المشكلة من المشكلات المستترة التي لم تلق حظها من البحوث والدراسات الاجتماعية .

٣ ـ يختلف مفهوم العار في العرف القبلي عن الجريمة في العرف القانوني الرسمي وذلك لكون مفهوم الجريمة في العرف القبلي يرتبط مباشرة بما يمس مصالح القبيلة ، أو شرف أفرادها . وما سوي ذلك لم يعد عاراً ولا عيباً . فالتهريب مثلاً لم يعد في عرف القبيلة عيباً ولا عاراً بينما هو مشكلة أمنية هامة تمس الأمن الوطني لأي دولة . وكذا التسلل . وغيرها من الأمور الأمنية التي استحدثت واقتضتها قيام الدولة الحديثةفي الوطن العربي العشائري .

ولمعالجة ذلك والتخفيف منه يمكن اتباع التالي :

استقلال العصبية القبلية وتوجيهها لخدمة الأمن الوطني وذلك بإضعاف الانتماء القبلي ، وتدعيم الانتماء الوطني في نفوس النشء منذ

الصغر وإبراز مساوئ القبلية، والعصبية والتركيز على ذلك في المدارس، والمساجد، ووسائل الإعلام. وإبراز دور الإسلام في محاربة العصبية القبلية. وضرب أمثلة من التاريخ الإسلامي ومحاربته للعصبية القبيلة، وإبراز المنجزات والفتوحات الإسلامية في بلاد المشرق والمغرب كنتيجة لضعف العصبية القبيلة، والانتماء للدولة الإسلامية. وضرب أمثلة من الواقع الحديث لبلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية التي أصبحت أقوى دولة في الوقت الحاضر عندما ذابت العصبيات الفردية للسكان وأصبح الانتماء للوطن الأكبر (أميركا). فإضعاف دور القبيلة في الوطن العربي وتنمية الانتماء الوطني مطلب يجب أن تسعي إليه كافة المجتمعات العربية. وذلك لما لذلك من أهمية بالغة في التحضر، وتمثل القيم الحضرية واستتباب الأمن.

الخلاصة والمناقشة

تتداخل الأدوار في المؤسسات غير الرسمية، فالأسرة، وجماعة الرفاق، والحي، الخ ما هناك جميعها مؤسسات يكمل كل منها الآخر ويؤثر ويتأثر بالأخر. فالأسرة لا تستطيع أن تنشئ أبناءها تنشئة سليمة إذا كانت تقيم في أحد الأحياء السيئة السمعة الكثيرة الانحراف. فعن طريق أبناء الحي وجماعة الرفاق يكتسب الطفل العديد من القيم السلبية التي لا قد لا تحبذها الأسرة. كما أن الفرد بحكم كونه كائناً اجتماعياً فأنه لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الآخرين دون أن يتفاعل معهم سلبا أو إيجابا ولذا فإنه لابد أن يكون على اتصال بالآخرين ولذا ففساد أي من هذه المؤسسات الاجتماعية يؤثر بشكل أو بآخر على فساد المؤسسات الأخرى مما يجعل

عملية الضبط الأمني والوقاية الأمنية في غاية الصعوبة ما لم تتضافر الجهود في كافة المؤسسات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية ابتداء بالأسرة أو المنزل كالوحدة الصغرى، وانتهاء بالقبيلة والحي كوحدات كبرى كما أن المؤسسات الدينية وخاصة المساجد يمكن أن تقوم بدور بارز في دعم المؤسسات الاجتماعية الأخرى وذلك بترسيخ القيم الفاضلة ومحاربة الرذيلة والشر والفساد الأمني والحث على الترابط الأسرى، والحث على حل المشكلات والخلافات التي تحدث في الوحدات الاجتماعية الصغرى (الأسرة) أو الوحدات الكبرى (القبيلة والحي) وإبراز الاحتياجات الأمنية للمجتمع والتبصير بالمشكلات الأمنية المنتشرة وحث الناس على محاربتها والتعاون مع رجال الأمن في إبلاغ عن كل ما يمس الأمن العام والمصلحة الوطنية.

فعن طريق تضافر هذه المؤسسات وأدائها الدور الاجتماعي والأمنى المنوط بها يمكن محاربة الجريمة والوقاية منها وتخفيف وطئتها إلى درجة كبيرة.

المراجـــع

أولاً: المراجع العربية

١ـ الإمام النووي ت ٦٧٦ الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٣٩٩

٢ ـ ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد. المقدمة، دار الباز للنشر والتوزيع مكة المكرمة

٣ـ العمرى صالح بن محمد ١٤١٦، العود إلى الانحراف في ضوء بعض العوامل الاجتماعية، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة لقسم الاجتماع كلية الآداب جامعة الملك عبد العزيز جدة.

٤ ـ الترمذي عيسى بن محمد ت ٢٩٧ الجامع الصحيح، الجزء الثالث بيروت لبنان.

٥ـ الجزائري أبو بكر ١٣٩٩ منهاج المسلم الطبعة الأولى دار الجيل لبنان.

٦ ـ الحامد محمد بن معجب ١٤١٥، دور المؤسسات غير الرسمية في عملية الضبط الاجتماعي، وزارة الداخلية أبحاث مكافحة الجريمة الرياض

٧ـ الخليفة عبد الله ١٤١٣ المحددات الاجتماعية لتوزيع الجريمة على أحياء مدينة الرياض، مركز أبحاث مكافحة الجريمة الرياض.

٨ ـ الدباغ محمد ناصر، ١٤٠٩، دراسة وصفية على الأحداث المنحرفين بدار الملاحظة بالرياض رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة لقسم الاجتماع بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام بالرياض.

٩ ـ الدوري عدنان ١٩٨٤ ، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي ، الطبعة الثانية ، ذات السلاسل .

١٠ ـ الزهراني عبد الرزاق بن حمود ، جرائم العصابات ، دراسة ميدانية على المحكوم عليهم في سجون مدينة الرياض ، وزارة الداخلية مركز أبحاث مكافحة الجريمة الرياض .

١١ ـ الساعاتي سامية حسن ، ب ت ، الجريمة والمجتمع ، الطبعة الثانية ، دار النهضة العربية بيروت

١٢ ـ الفوال صلاح مصطفى ١٩٤٧ علم الاجتماع البدوي ، سلسلة كتب علم الاجتماع والتنمية ، دار النهضة العربية .

ثانياً: المراجع الأجنبية

1 - Ronald A . Farrell, victorial L ynn Swigert, Social Deviance , Wadsworth publishing Company, Belmont, California 1988

2 - Edwin H . Southland, Differential association A chapter in Ronald A. Farrell, victorial Lynn Swigert, Social Deviance, Wadsworth publishing Company, Belmont, Californ ia 1988

3 - Jon Delimiter, on The Nature of Deviance A Chapter in Ronald A. Farrell, victorial Lynn Swigert, Social Deviance, Wadsworth publishing Company, Belmont, California 1988

4 - Larry J. Siegel, Joseph, M.S.W, j. D, Juvenile Delinquency, west Pub lishing Company New York 1988

5 - Asseri abdulrahman, familism and The Urbaniza tion of Rural Villagers in the South western Region of Saudi Arabia , Ph , D Dissertion , Michigan State University 1991

المرور والبيئة: الأضرار البيئية الناجمة عن استخدام المركبات

د.علاء عبد الرحمن البكري(*)

يلقى موضوع البيئة وحمايتها في هذه الأيام اهتماماً متزايداً على جميع المستويات وذلك لما للبيئة من آثار اجتماعية واقتصادية على حياتنا اليومية. ولما كانت العملية التنموية في معظم دول العالم عامة والدول العربية خاصة قد شهدت وما زالت تشهد تطوراً سنوياً نتيجة لخطط التنمية السابقة والحالية والتطور الاجتماعي والاقتصادي، إضافة إلى الظروف السياسية التي تمر بها المنطقة وآثارها على السكان، ولوضع الأمور في نصابها الصحيح، فان التحليل لهذه الآثار البيئية المختلفة ومنه التلوث الناجم عن المركبات أصبح ملحاً لتحديد حجم المشكلة البيئية.

لا بد من أن يتم تقييم مستوى التلوث الناجم عن المركبات والحدود التي يجب أن يسمح بها. كما أن هناك حاجة إلى وضع مجموعة من السياسات المختلفة التي تتطلب استخدام أساليب مراقبه وضبط مناسبة وقابلة للتطبيق في هذا المجال وتستند لتشريعات متطورة.

تتضمن هذه الورقة سرداً مبسطاً لعلاقة التلوث الناجم عن المركبات بالبيئة المحيطة وسبل الحد والوقاية منه والرقابة عليه. كما تتضمن تحليلاً

(*) عضو هيئة التدريس في معهد الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

إحصائياً لبيانات فحص التلوث الناجم عن نظام العادم لعينة من المركبات العاملة في الأردن . إن للعنصر البشري أهمية كبيرة في الحد من تلوث البيئة والمحافظة عليها ، لذا فإنه يتوجب رفع الوعي البيئي والتأكيد على تصرفات مستخدم الطريق كتفقد المركبة بشكل دوري وتجهيزها الفني ومراعاة شروط السلامة في القيادة ، والحاجة إلى وضع مواصفات شاملة وموحدة لاستيراد المركبات وقطع الغيار وتصنيعها استناداً لاتفاقيات جنيف لعام ١٩٥٨ م وبمشاركة جميع الجهات المعنية . وكذلك المواصفات الخاصة بقياس مدى التلوث والنسب المسموح بها ، وضرورة إعادة النظر بالتشريعات المتعلقة بتلوث الهواء والتلوث الناتج عن المركبات وزيادة الرقابة على هذه القوانين ، والاستمرار في إجراء الفحص الفني الدوري والتركيز على الجزء المتعلق في البيئة وتطويره ، وضرورة استخدام التقنيات المناسبة واستحداث مشاريع خاصة للحد من تلوث البيئة .

هناك حاجة إلى إجراء الأبحاث والدراسات المحلية المتخصصة والاستفادة من التجارب الدولية في هذا المجال . كما أن الزيادة في كلفة مشاريع المحافظة على البيئة و محدودية الموارد في الدول النامية يستدعيان اعتماد حلول هندسية للمشاكل البيئية كتلك المسماة بإدارة نظم البيئة في الدول المتقدمة .

المقدمة:

قال تعالى في سورة القمر ﴿إنا كلَ شيء خلقناهُ بقدر﴾ وفي سورة الحجر ﴿وإنْ من شيء إلا عندنا خزائنهُ وما ننزِّلهُ إلا بقدر معلوم﴾ ويلقى موضوع البيئة وحمايتها في هذه الأيام اهتماماً متزايداً على جميع المستويات وذلك لما للبيئة من آثار اجتماعية واقتصادية على حياتنا اليومية، ولما كانت العملية التنموية في معظم دول العالم عامة و الدول العربية خاصة قد شهدت وما زالت تشهد تطوراً سنوياً نتيجة لخطط التنمية السابقة والحالية والتطور الاجتماعي والاقتصادي، إضافة إلى الظروف السياسية التي تمر بها المنطقة وآثارها على السكان، ولوضع الأمور في نصابها الصحيح، فان التحليل لهذه الآثار البيئية المختلفة ومنه التلوث الناجم عن المركبات أصبح ملحاً لتحديد حجم المشكلة البيئية.

ومن العناصر الهامة التي تؤثر على البيئة قطاع النقل لما له من أثر في التطور الاجتماعي والاقتصادي حيث تستخدم وسائط النقل المختلفة لنقل الركاب والمنتجات والمواد الخام والنفط وغيرها، وتزداد الحاجة إلى النقل بشكل مستمر مع مرور الزمن ولكي تكتمل عملية النقل هذه لا بد من وجود واسطة للنقل ومن أهم وسائط النقل المركبة، وبهذا فإن من أهم عناصر المرور المؤثرة على البيئة هي المركبة والآثار التي تنجم عنها[١، ٢، ٣، ٤].

يتباين تأثير المركبة على البيئة من بلد إلى آخر ويعدأكبر تأثيراً في الدول المتقدمة ويعود ذلك لأعداد المركبات، وتطور أطوال شبكات النقل والمرور وأنظمتها. أما في الدول النامية فإن المشكلة ما زالت في بدايتها مما يعطي الفرصة للتخطيط السليم ولتجنب المخاطر والتأثيرات السلبية الناتجة عن التلوث، والاستفادة من تجارب الدول المتقدمة، واعتماد الناجح منها خاصة

وأن موارد الدول النامية والموازنات التي تخصص لمجال البيئة هي أصلاً محدودة، وأن الكثير من المشاكل قد تكون ناجمة عن السلوكيات الخاطئة أي العنصر البشري (٥، ٦، ٩، ١٠، ١٨، ١٩).

بناءً على توصيات العديد من اللقاءات الدولية والاجتماعات العربية وقرارات أصحاب السمو والمعالي وزراء الداخلية العرب فإنه لا بد من أن يتم تقييم مستوى التلوث الناجم عن المركبات والحدود التي يجب أن يسمح بها، والحاجة إلى وضع مجموعة من السياسات المختلفة التي تتطلب استخدام أساليب مراقبه وضبط مناسبة وقابلة للتطبيق في هذا المجال وتستند لتشريعات متطورة. تتضمن هذه الورقة سرداً مبسطاً لعلاقة التلوث الناجم عن المركبات بالبيئة المحيطة وسبل الحد والوقاية منه والرقابة عليه. كما تتضمن تحليلاً إحصائياً لبيانات فحص التلوث الناجم عن نظام العادم لعينة من المركبات العاملة في الأردن.

مشكلة البحث وأهميته:

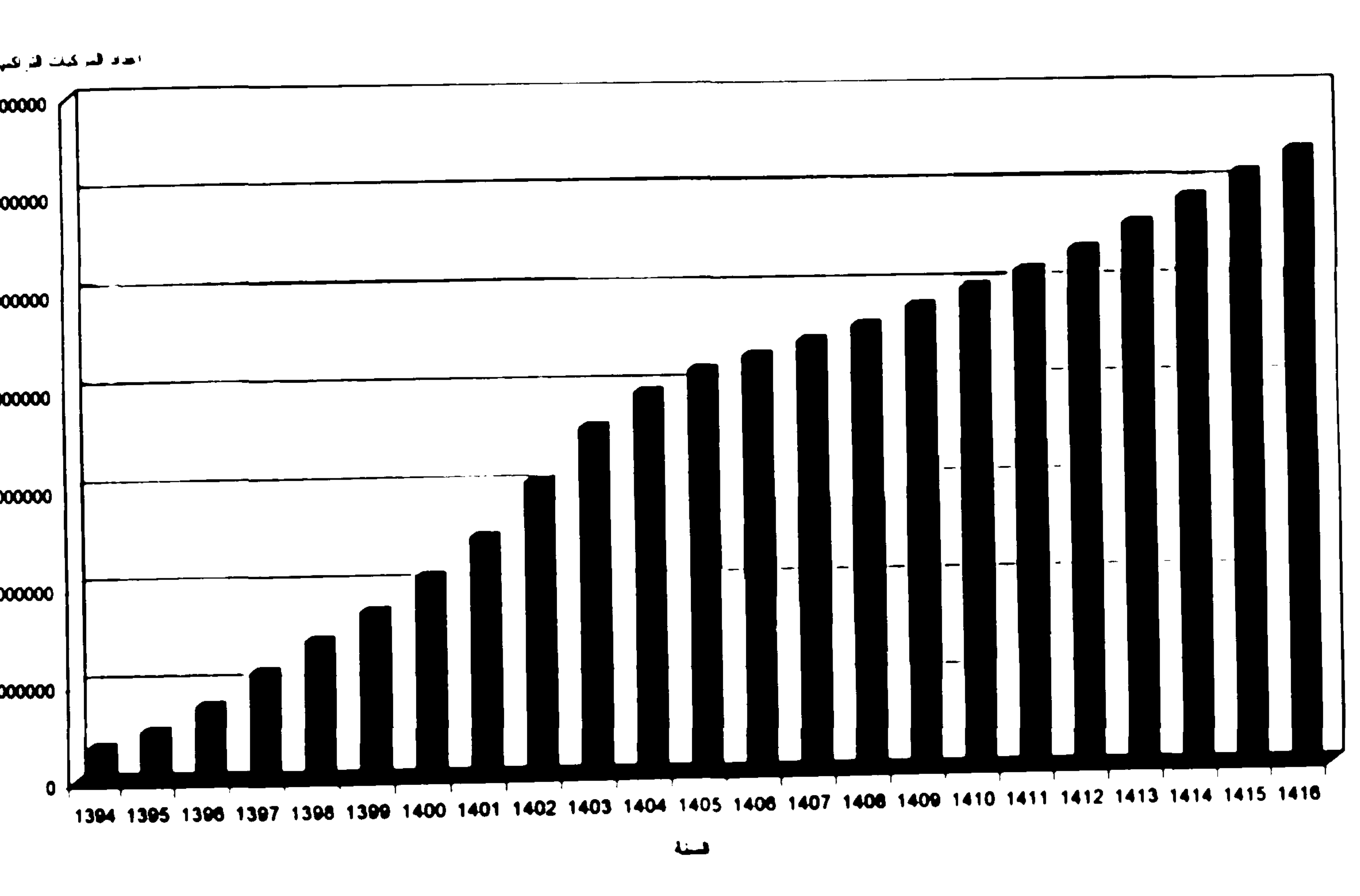
ازدادت أعداد المركبات في السنوات الأخيرة بشكل كبير على مستوى العالم، ففي عام ١٩٥٠م سجل في العالم حوالي ٥٣ مليون سيارة، أما الآن وبعد أكثر من ٤٠ سنة فتقدر أعداد السيارات المسجلة في العالم بحوالي ٤٣٠ مليون مركبة، أي أكثر من ثمانية أضعاف وبمعدل زيادة سنوية مقدارها ٩,٥ مليون مركبه. وإذا أضفنا إلى هذا العدد أعداد المركبات التي تعمل بمحرك ميكانيكي وذات عجلتين كالدراجات النارية والتي يقدر عددها بـ ١٠٠ مليون دراجة، فإن عدد المركبات الكلي في العالم لعام ١٩٩٢م بلغ ٦٧٥ مليون مركبة، وتجدر الإشارة هنا بأن الزيادة السنوية في أعداد المركبات

هي أعلى من الزيادة السنوية في عدد السكان، أما الزيادة في أعداد الدراجات النارية فتقدر بأربعة ملايين دراجة سنوياً[٧].

إن الزيادة في أعداد المركبات في الدول النامية هي أعلى من معدلات الزيادة السنوية للمركبات في الدول المتقدمة، ويعود ذلك إلى الزيادة الكبيرة في أعداد السكان في الدول النامية مقارنة بالدول المتقدمة بناءً على دراسة قامت بإعدادها منظمة الصحة العالمية[٨].

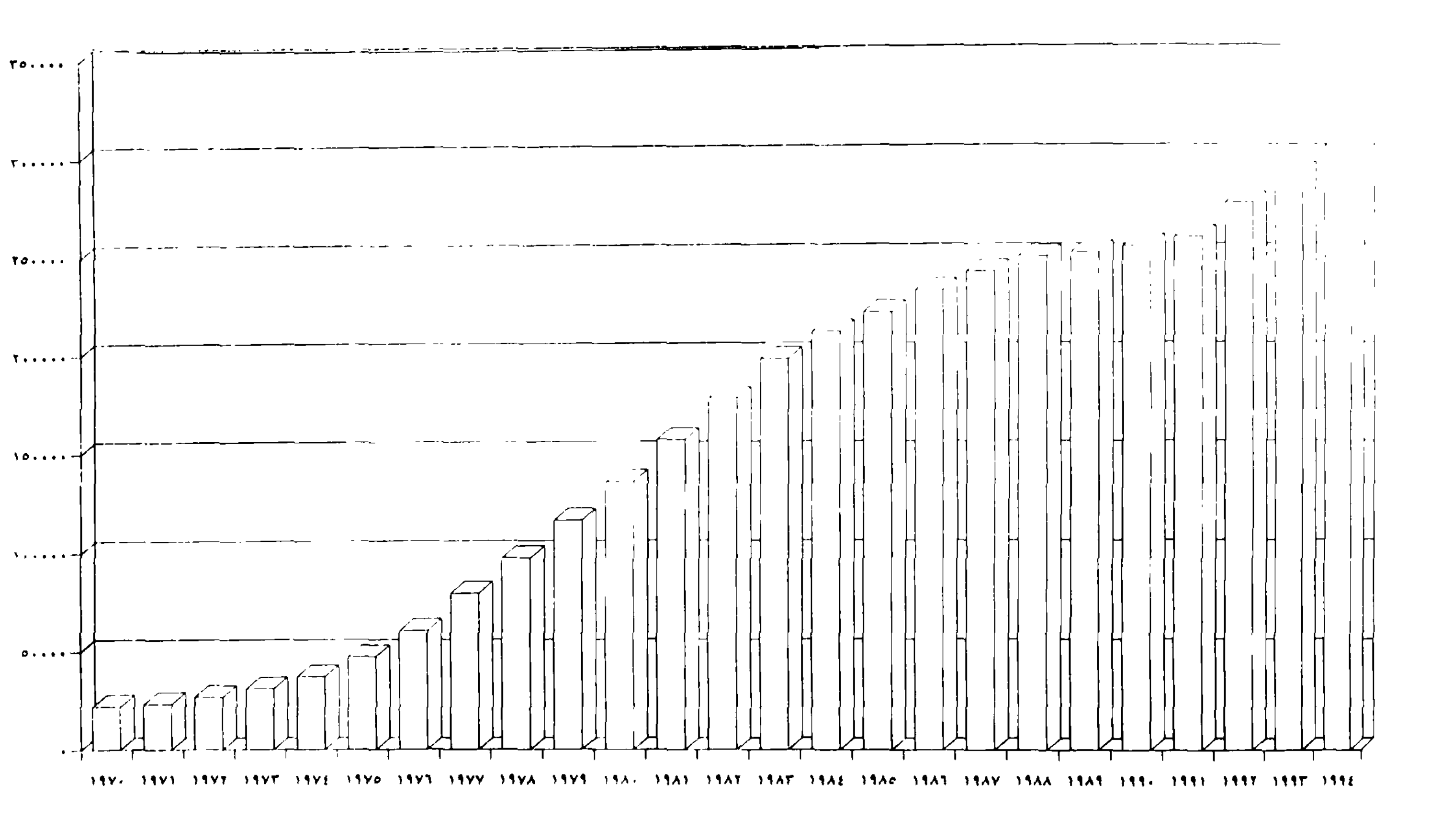
وبنظرة تفحصيه لتوزيع أعداد المركبات منسوبة إلى السكان في دول العالم المختلفة نجد بأن هذه النسبة تتراوح بين أقل من مركبة واحدة لكل ألف شخص لتصل إلى ٦٠٠ مركبة لكل ألف شخص، أي أن توزيع المركبات منسوبة إلى عدد السكان في الدول المتقدمة هي أعلى بكثير منها في الدول النامية. تطورت أعداد المركبات المسجلة دولياً بشكل كبير متخذة شكلاً رياضياً يسمى بمنحنى من (S) حيث يكون هذا التطور كبيراً جداً في بداية سنوات التنمية الاقتصادية والاجتماعية لأي بلد ثم يأخذ هذا التطور في ملكية السيارات إلى الاستقرار بزيادة بسيطة في أعداد المركبات.

ويلاحظ أن الوضع العربي كالسعودي والأردني[١٥، ١٦، ١٧] لا يختلف كثيراً عن المنحنى الدولي باستثناء بعض المؤثرات الخاصة مثل الوضع الاقتصادي والخطط التنموية وغيرها. وكما هو مبين في الشكلين رقم (١) ورقم (٢) التاليين.



الشكل رقم (١)

تطور أعداد المركبات المسجلة حسب السنة في المملكة العربية السعودية



الشكل رقم (٢)

تطور أعداد المركبات المسجلة حسب السنة في المملكة الأردنية الهاشمية

ويلاحظ بأن عدد المركبات المسجلة يختلف عن عدد المركبات العاملة فعلياً والتي لا يوجد لها إحصائية دقيقة في معظم الدول حتى الآن، وذلك لوجود مركبات مشطوبة غير عاملة وأخرى مشطوبة ومضى على انتهاء ترخيصها أكثر من سنتين، إلا أنها ما زالت تعمل على الطرق وكذلك السيارات الأجنبية والسيارات العسكرية التي تعمل ولكنها غير مسجلة، وتبقى إحصائية المركبات المسجلة مهمة في الدراسات البيئية و المرورية[٢٢، ٢٣، ٢٤].

بناءً على ما تقدم فان هناك حاجة لمعرفة أنواع الملوثات الناجمة عن استخدام المركبات في الدول العربية سواء التي تعمل على الديزل أو التي تعمل على البنزين، وتحديد المركبات التي تسهم أكثر من غيرها في هذا التلوث خاصة وأن المكتبة العربية تفتقر لمثل هذه الدراسات.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١ ـ معرفة مدى التلوث الناجم عن نظم عادم المركبات والمقاس أثناء الفحص الفني للمركبات وعلاقته بالمواصفات القياسية المسموح بها في الأردن كمثال للدول العربية.

٢ ـ معرفة أنواع وخصائص المركبات التي تسهم في هذا التلوث.

٣ ـ اقتراح مجموعة من التوصيات للحد من هذا التلوث.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

انطلق تخطيط وتنظيم المدن في الدول العربية من خلال تجمع سكاني في وسط المدن ومن ثم تطور بناءً على الانتشار السكاني ولكن دون وجود تخطيط وتنظيم شامل مسبق. وإذا أخذنا بالاعتبار موقع الدول العربية

الاستراتيجي في الشرق الأوسط حيث يعد معبراً للقارات الثلاث الإفريقية والآسيوية والأوروبية إضافة إلى تنامي أعداد المركبات، لأدركنا حجم المشكلة الناجمة عن استخدام هذه المركبات وأثرها على البيئة.

شهدت الدول العربية زيادة كبيرة في أعداد المركبات منذ عام ١٩٧٠م وكما سبق ذكره، وأدت هذه الزيادة الكبيرة في زيادة تلوث الهواء نتيجة لاستخدام هذه المركبات، إضافة إلى الملوثات الصلبة والتلوث الناتج عن الزيوت والتشحيم. يتكون نظام المواصلات العربي بشكل رئيس من النقل على الطرق مما يسهل المشكلة من وجهة النظر الهندسية والتنظيمية والرقابة. عندما تمتد المدن وتنتشر بشكل كبير يمكن أن تتعدى حدودها الجغرافية و الإدارية، مما يؤدي إلى وجود أكثر من جهة مسؤولة عن شبكة المواصلات ضمن هذا الانتشار[١٠، ١١، ١٢]، وبالتالي وجود أكثر من جهة مسؤولة عن هذه الشبكة و أكثر من جهة للإشراف على التلوث الناجم عن هذا التوسع. وينتج عن استخدام المركبات الكثير من ملوثات الهواء ومن أهمها أكاسيد الكربون وأكاسيد النيتروجين والأجسام الصغيرة (SPM) مثل الرصاص (PB) وغيرها. ويقاس التلوث هذا بوحدة غرام لكل ١٠٠ كيلومتر أو بالمسافات الكيلو مترية المقطوعة سنوياً كطريقة غير مباشرة للقياس، ويعود ما نسبته ٩٠٪ من أول أكسيد الكربون (CO) في المناطق المأهولة للمركبات. وقد وجد أعلى مستوى لهذا التلوث (٢٠-٣٠ ملغم / م^{٣}) في مناطق الإختناقات المرورية، وهذا بدوره قد يؤدي إلى ما نسبته 3٪ من كاربكسي هيموجلوبين (CHOB) والذي له تأثيرات سلبية على الصحة البشرية أما مادة ثاني أكسيد النيتروجين (NO_2) وهو غاز بني مائل إلى الحمرة (SMOG) والذي ينتشر في المدن المزدحمة فإنه يسبب مشاكل صحية وخاصة في تنفس الأطفال. وترداد

نسبة الخطورة بمقدار ٢٠٪ مقابل ٣٠ مايكرو غرام للمتر المكعب الواحد، وقد يصل هذا الرقم لأكثر من ١٠٠ مايكرو غرام للمتر المكعب الواحد كما في بعض مدن العالم[٧].

يتفاعل أكسيد النيتروجين مع الهيدرو كربون مشكلاً الأوزون (O_3) في أجواء المدن وبمساهمة من المركبات مقدارها ٦٠ - ٨٠٪ من مجموع أوزون المدن، ويمكن أن تصل نسبته من ٢٠٠ إلى ٤٠٠ مايكرو غرام للمتر المكعب في ساعة معينة، وعندها يؤدي هذا المستوى من التركيز إلى انتفاخ الرئة ومشاكل صحية أخرى. قدرت منظمة الصحة العالمية الحد الحرج بـ ١٥٠ - ٢٠٠ مايكرو غرام للمتر المكعب علماً بأن هذا الرقم يصل ما بين ٦٠٠- ٧٠٠ في عدد من المدن الكبرى. إن نسبة الأجسام الصغيرة الناتجة من المركبات (SPM) هي أقل من نسبة أكسيد الكربون وأكاسيد النيتروجين حيث يبلغ احتمال الوفاة بسببها بواحد لكل ألف. وتسهم المركبات بتلوث البيئة بشكل كبير في النواحي التالية:

١ ـ تسهم بما نسبته ٤٢٪ من تلوث أكاسيد النيتروجين و ٤٠٪ من الهيدرو كربون و ٦٠٪ من أول أكسيد الكربون و ١٣٪ من الأجسام الصغيرة و٣٪ من أكسيد الكبريت.

٢ ـ تستهلك المركبات ما مقداره ٨٢٪ من مجموع الطاقة المستخدمة في العالم لقطاع النقل والمقدرة بـ ٣٠٪ من مجموع الطاقة الكلية المستخدمة. أما بالنسبة إلى ثاني أكسيد الكربون فيسهم النقل ب ١٥٪ منه ويسهم بظاهرة البيت الأخضر (GREEN HOUSE)[٨]، وإذا أضفنا إلى ذلك نوعية الوقود المستخدم فإننا نجد بأن مواصفات الوقود المستخدمة من البنزين و الديزل في الدول العربية بحاجة إلى اهتمام أكبر في التصنيع خاصة في تقليل نسبة الرصاص في البنزين والكبريت في السولار (الديزل).

٣ـ تسهم المركبات بمستوى ضجيج قد يصل إلى أعلى من ٦٥ ديسيبل(أ) وهو قريب من الحد الحرج الذي يؤدي إلى الإيذاء ويتعرض ١٦٪ من السكان لهذا التلوث الناجم عن المركبات وخاصة في الدول النامية.

٤ـ تسهم الزيوت المستخدمة في المركبات في تلويث مصادر المياه السطحية والجوفية، وتؤدي هذه الزيوت إلى مشاكل كثيرة في محطات التنقية، كما و يتسرب وقود المركبات من الآبار التخزينية إلى المياه الجوفيةً.

٥ـ حوادث السير التي تترك الكثير من المخلفات وهياكل المركبات، والتلوث الناتج عن بعض الحوادث مثل الصهاريج والشاحنات حيث تشكل هذه الظاهرة مشكله حقيقية عند انسكاب بعض المواد المنقولة بها وخاصة في الدول النامية.

يسهم مستخدم الطريق في الدور الرئيس في الحد من تأثير المرور والنقل على البيئة، ومن أهم المؤثرات هو التصرف السليم وإتباع أسس الوقاية، فمثلاً عندما يتفقد السائق مركبته بشكل دوري ويقوم بصيانتها فإنه يؤدي إلى خفض نسبة التلوث مثل إخراج الدخان الكثيف ونزف الزيوت وتقليل الضجيج الناتج عن المركبة، كما ويسهم مستخدم الطريق في إلقاء النفايات على الطرق، واستخدام جهاز التنبيه (المنبه) وغيرها من التصرفات السلبية أحياناً، ويجب إعطاء عناية خاصة للمركبات التي تعمل على مادة الديزل خاصة فيما يتعلق بإخراج الدخان الكثيف والملوثات الأخرى. أما تأثر الناس بالملوثات المختلفة فيمكن أن يحدث للأشخاص أثناء وجودهم داخل المركبة كالسواقين والركاب وذلك نتيجة للمركبات المحيطة بهم، كما يتعرض المشاة أثناء سيرهم على الأرصفة أو العمل على الطرق لمثل هذه

الملوثات. ويقوم سكان العالم بـ ٣,٤ مليار رحلة ـ مركبة حيث يتعرض يومياً ما مجموعه ١٢٠ مليون شخص للملوثات المختلفة نتيجة وجودهم على الطريق لفترات زمنية طويلة (١٣، ١٤).

نصت قوانين المرور العربية على مجموعه من المخالفات المتعلقة بالتصرفات السلبية وأثرها على البيئة، مثل مخالفات التجهيز المتمثلة بفحص المركبات وإخراج الدخان الكثيف واستخدام المنبه وإلقاء النفايات على الطرق وشروط السلامة والنظافة العامة، وبالرغم من وجود هذه المخالفات وتفصيلاتها القانونية والعقوبات والرقابة المستمرة على هذه المخالفات إلا أنها و بمجموعها تبقى غير مؤثرة إذا غابت الرقابة الذاتية والحس الوطني للمحافظة على موارد البلد(٢٠، ٢١). يستهلك بناء شبكات الطرق الكثير من الموارد المالية والأراضي والطاقة، ولكي تواكب سعة هذه الطرق الزيادة في أعداد المركبات والسكان فلا بد من توسعها بشكل مستمر؛ فمثلاً بلغ أطوال طرق دول السوق الأوروبية المشتركة عام ١٩٧٠م ما مجموعه ٧٣ ألف كيلومتر، وقدرت عام ١٩٨٨م ب ١٣٢ ألف كيلومتر أي بزيادة مقدارها ٨١٪. وبالرغم من التطور في أطوال الطرق فإنها ما زالت دون مستوى التطور في أعداد المركبات في معظم الدول العربية. ويسهم إنشاء الطرق والمواد المستخدمة فيها في تلوث البيئة وتعرض العاملين على إنشائها لمشاكل صحية كثيرة مثل الغازات المنبعثة من الخلطات الإسفلتية والمواد الكيماوية الأخرى والغبار والضجيج، إضافة إلى الاعتداء على المناطق الخضراء والزراعية والمجاري الطبيعية للمياه ومواطن الحيوانات والطيور والنباتات البرية والحياة الفطرية.

ولإزالة التلوث الناتج عن عادم السيارات لا بد من وجود خطط فورية وأخرى طويلة المدى كخطط تكثيف الرقابة على المركبات من خلال الدوريات اليومية الموزعة على الطرق الرئيسة ، وتنظيم مخالفات بحق سائقي السيارات التي تخرج دخاناً كثيفاً من العادم وإحالتها إلى إدارة ترخيص المركبات ، والتي تقوم بدورها بإعادة فحص السيارة وإخضاع كافة المركبات عند الفحص الفني الدوري إلى فحص وقياس نسبة الغازات التي تخرج من العادم ، والقيام بالدراسات وتجميع وتوثيق الإحصائيات والمعلومات المتعلقة بهذا الموضوع . هذا إضافة إلى الحملات الإعلامية التي يجب أن تقوم بها الجهات المختلفة من خلال وسائل الإعلام بأنواعها من صحافه وتلفزيون وإذاعة .

أما الخطة المستقبلية فيمكن أن تتضمن تزويد كافة أقسام الترخيص بأجهزة الفحص المطلوبة لهذه الغاية ضمن الإمكانات المتاحة ، ومتابعة الرقابة على الطرق و توفير أجهزة فحص متنقلة لاستخدامها على الطرق ميدانياً . وكذلك التنسيق مع الجمعيات المتخصصة بحماية الطبيعة والبيئة والمؤسسات المعنية الأخرى للحصول على المواصفات المحددة لقياس نسب التلوث المسموح بها من العادم وتتضمن الخطط المستقبلية أيضاً المشاركة في إعداد الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع بالتعاون مع الجهات المختلفة ، وضرورة دعم مديريات الشرطة لإيجاد موارد تمويل لهذه الأجهزة ، وتخصيص الموازنات اللازمة لتدريب وتأهيل كوادر متخصصة بموضوع الرقابة البيئية والمواضيع الأخرى ذات العلاقة . ونظراً للتطور الكبير في أعداد المركبات في الدول العربية ، فان هناك حاجه للتركيز على الفحص الدوري للمركبات(كل سنه أو سنتين) إضافة إلى

الفحص الروتيني غير المعلن على الطرق بواسطة مختبرات محملة على سيارات الدوريات.

لقد تم خفض نسبة الرصاص في الوقود الأمريكي بشكل كبير في السنوات الأخيرة، علماً بأن مادة الرصاص ضارة جداً وسامة خاصة للأطفال، ويمكن الاستفادة من هذه التجربة في الدول العربية. كما أن هناك حاجة لإيجاد مناطق خاصة بالمشاة وبمركبات النقل العام الجماعية فقط، وذلك لتقليل التلوث في هذه المناطق مثل مناطق صحن البلد ومراكز المدن. كما أن هناك حاجة لإيجاد مجموعة من المواصفات والقوانين الخاصة بمنع تلوث البيئة الناجم عن استخدام المركبات بشكل عام. وتتجه النية إلى توفير بنزين خال من الرصاص في عام ٢٠٠١م وديزل بنسبة كبريت تعادل ٠,٣٪ في المملكة العربية السعودية وفي العديد من دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي[٢٤].

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على التدرج في تحليل البيانات الرسمية المتوفرة حول قياس نسب التلوث الناجمة من عادم المركبات المفحوصة خلال عام ١٩٩٦م، وقد تم قياس ما مجموعه ١٧٨ مركبة تعمل على الديزل و ٤١٢ مركبة تعمل على البنزين في الإدارة العامة لترخيص السواقين والمركبات في عمّان، وقد تم توثيق هذه القياسات كجزء من قواعد بيانات الجمعية الأردنية للوقاية من حوادث الطرق، وتعتمد منهجية هذا البحث على كل من التحليل الوصفي والتحليل الاستدلالي لهذه البيانات واستخدام الرزم الإحصائية عن طريق الحاسوب[٢٦].

تحليل البيانات والنتائج:

يبين الجدولان رقم (١) ورقم (٢) مثالاً للمركبات المختلفة التي تم إدراجها في قياسات هذه الدراسة وهي التي تعمل على الديزل والتي تعمل على البنزين على التوالي. وقد تضمنت هذه المركبات صناعات مختلفة أمريكية ويابانية وألمانية وكورية وغيرها حيث أعطيت رموزاً رقيمة خاصة بكل دولة. كما وتضمنت سيارات صغيرة و كبيرة، و سنوات صنع مختلفة، وكان منها ما يعمل بالأجرة ومنها ما هو خاص.

الجدول رقم (١)

مثال من مجموعة المركبات المفحوصة التي تستخدم الديزل كوقود

الصنع	صفة الاستعمال	سنة الصنع	الاستخدام	الحمولة بالطن	نسبة الرسوب
١	٢	١٩٨٨	١	٢,٥	٨١
١	٢	١٩٩٢	١	٢٥	٨٣
١	٦	١٩٩٢	١	٥	٩٦
١	٦	١٩٨٦	١	٥	٩٤
٢	٤	١٩٩٤	١	١٩	٤٧
٢	٤	١٩٩٤	١	١٩	٩٤
٢	٤	١٩٩٤	١	١٩	٥٣
٢	٣	١٩٩٢	١	١	١٠٠
٣	٢	١٩٨٩	٢	٢,٥	٧١
٤	٢	١٩٩٣	١	٢,٥	٩٢
٥	٤	١٩٨٤	١	٢٣	١٠٠
٥	٤	١٩٨٨	٢	٢٣	٩٩
٥	٤	١٩٨٧	٢	٢٣	٩٥
٥	٧	١٩٨١	٢	٥	٧
٥	٢	١٩٨٧	١	٢,٥	٥٣
٥	٢	١٩٨٨	١	٢,٥	٦٣
٥	٢	١٩٨٧	١	٢,٥	٦١
٥	٢	١٩٩٠	١	٢,٥	٥٤
٥	٢	١٩٨٥	١	٢,٥	١٧
٥	٢	١٩٨١	١	٢,٥	٧٧
٥	٢	١٩٨٤	١	٢,٥	٨٧
٥	٢	١٩٨٩	١	٢,٥	٩٨
٥	٣	١٩٩١	١	١	١٠٠

المصدر الجمعية الأردنية للوقاية من حوادث الطرق، عمان، الأردن، ١٩٩٦م.

الجدول رقم (٢)

المركبات المفحوصة التي تستخدم البنزين كوقود

الصنع	العدد	نجاح co٪	نجاح co٪	نجاح co٪	نجاح co٪
٥	٦٢	٣,٠٤	٢٩,٠٠	٧,٧١	٢,٤٢
١٢	٢٦	١,٦٤	١,٦٤	٥,٨٣	٢,٩١
١٤	١٦	٥٢,٦٥	٧,٠٥	٥,٠٠	٥٧,٣٤
١٨	٣٢	٥٧,٣٤	٢,٦٥	٥٧,٣٤	٦,٠٤
٢٠	٢٦	٧,٧٥	٢٧,٠٠	٧,٧٠	٤,٥١
٢١	٤١	٤,٣٦	٧١,٠٠	٦,٦٣	٦,٤١
٢٨	٢١	٨,٣٢	٥,٩٠	٩١,٠٠	٥,٩٠
٣٠	٥٩	٤٤,٠٠	٥,٧٤	٦,٨١	٢٢,٠٠
٣١	٣٦	٢٥,٠٠	٢,٢٢	٦,٦١	٤,١٠
٣٢	٢٨	٥,٠٠	١,٢٣	١,٢٣	٦,٣٠
٣٣	١٨	٣,٣٣	٩,٨٣	٢٢,٠٠	٢,٢٢
٣٤	١٦	٥٢,٦٥	٥٢,١٣	٥٧,٧٣	٥٢,٦٠
٣٥	١٤	٣٤,٠٠	١,٧٥	٥,٠٠	٥,٠٠
٣٦	٩	٥,٥٣	٥,٥٥	٣,٣٣	٠,٠٠
٥٦	٨	٥,٢٦	٥,٠٠	٥٢,٠٠	٥,٢١

المصدر: الجمعية الأردنية للوقاية من حوادث الطرق، عمان، الأردن، ١٩٩٦م.

التحليل والنتائج:

تم تحليل البيانات تحليلاً إحصائياً وصفياً، كما تم تجربة مجموعة من النماذج الاستدلالية كالانحدار متعدد المتغيرات إلا أن التحليل الوصفي أعطى افضل النتائج، وفيما يلي وصف لهذه النتائج:

أولاً: المركبات التي تعمل على الديزل

١ ـ الصنع.

ويلاحظ بأن أعلى نسب هي السيارات من نوع تويوتا ونيسان وهي أصلاً من أكبر أعداد سيارات الديزل المسجلة في الأردن.

الجدول رقم (٣)

المركبات المفحوصة حسب الصنع

النوع	التكرار	النسبة المئوية
نيســـان	٢٩	١٦,٥٪
تويوتا هايلكس	٢٤	١٣,٦٪
كياموترز	١٧	٩,٧٪
تويوتا	١٦	٩,١٪
دايهاتسو	١٢	٦,٨٪
مرسيدس	١١	٦,٣٪
متسوبيشي	١٠	٥,٧٪
توتويا كوستر	٩	٥,١٪
تويوتا ديانا	٧	٤,٠٪
داتسون	٧	٤,٠٪
أسوزو	٤	٢,٣٪
آسيا	٤	٢,٣٪
متسوبيشي روزا	٤	٢,٣٪
جولف	٣	١,٧٪
جمس	٣	١,٧٪
شفرليه	٣	١,٧٪
بقية الأنواع	١لكل منها	٠,٦٪ لكل منها

٢ ـ الحمولة:

شكلت حمولة سيارات الشحن الصغيرة ٥, ٢ طن أعلى نسبة، تلا ذلك سيارات الركوب المتوسطة (حافلة صغيرة) سعة ٢٣ راكب. وهذا أيضاً يتفق وعدد مركبات الديزل المسجلة في الأردن.

الجدول رقم (٤)

المركبات المفحوصة حسب الحمولة

الحمولة	التكرار	النسبة المئوية
٢,٥ طن	٩٠	٪١,١
٢٣ راكباً	٢١	٪١١,٩
١,٠ طن	٢٠	٪١١,٤
٠,٥ طن	١٩	٪١٠,٨
٣,٠ أطنان	٧	٪٤,٠
١٤ راكباً	٥	٪٢,٨
١,٥ طن	٣	٪١,٧
١٩ راكباً	٣	٪١,٧
٥,٠ أطنان	٢	٪١,١
٨,٠ أطنان	٢	٪١,١
سيارة ركوب متوسطة	١	٪٠,٦
٢,٠ طن	١	٪٠,٦
٧,٠ أطنان	١	٪٠,٦
٢٥ راكباً	١	٪٠,٦
المجموع	١٧٦	٪١٠٠

٣ ـ صفة الاستخدام:

شكلت السيارات الخاصة أعلى نسبة، تلا ذلك سيارات الأجرة. وهذا أيضاً يتفق وعدد مركبات الديزل المسجلة في الأردن

الجدول رقم (٥)
صفة استخدام المركبات

الصفــة	التكرار	النسبة المئوية
خصوصــي	١٣١	٧٤,٤٪
أجرة / عمومــي	٤١	٢٣,٣٪
حكومــي	٤	٢,٣٪
المجمــوع	١٧٦	١٠٠٪

٤ ـ صفة الاستعمال:

شكلت سيارات الشحن الصغير (بكب) أعلى نسبة، تلا ذلك سيارات الركوب المتوسطة (حافلة صغيرة). وهذا أيضاً يتفق وعدد مركبات الديزل المسجلة في الأردن.

الجدول رقم (٦)
صفة استعمال المركبات

الترخيص	التكرار	النسبة المئوية
شحن صغير (بكب)	١١٠	٦٢,٥٪
ركوب متوسطة	٢٩	١٦,٥٪
نقل مشترك	١٧	٩,٧٪
شحن (فان)	١٤	٨,٠٪
شاحنة	٣	١,٧٪
شحن (قلاب)	٢	١,١٪
ركوب صغيرة	١	٦,٠٪
المجموع	١٧٦	١٠٠٪

٥ ـ سنة الصنع.

شكلت سيارات موديل ١٩٩٢م أعلى نسبة، تلا ذلك سيارات موديل ١٩٨٨م. وكانت أقل سنة صنع هي ١٩٦٤م أحداثها ١٩٩٤م . وهذا أيضاً يتفق وعدد مركبات الديزل المسجلة في الأردن

الجدول رقم (٧) سنة صنع المركبات

سنة الصنع	التكرار	النسبه المئوية
١٩٩٢	٢٣	٪١٣,١
١٩٨٨	١٨	٪١٠,٢
١٩٨١	١٤	٪٨
١٩٨٣	١٤	٪٨
١٩٨٧	١٣	٪٧,٤
١٩٨٦	١١	٪٦,٣
١٩٩٣	١١	٪٦,٣
١٩٨٥	١٠	٪٥,٧
١٩٨٤	٩	٪٥,١
١٩٩٠	٩	٪٥,١
١٩٨٠	٧	٪٤
١٩٨٠	٧	٪٤
١٩٨٢	٦	٪٣,٤
١٩٩١	٦	٪٣,٤
١٩٩٤	٥	٪٢,٨
١٩٨٩	٤	٪٢,٣
١٩٧٦	٤	٪٢,٣
١٩٧٩	٢	٪١,١
١٩٧٥	١	٪٠,٦
١٩٦٤	١	٪٠,٦
١٩٧٢	١	٪٠,٦
١٩٧٨	١	٪٠,٦
المجموع	١٧٦	٪١٠٠

٦ ـ نتائج الفحص : نسبة رسوب المركبات العاملة على الديزل

الجدول رقم (٨) نسبة رسوب المركبات العاملة على الديزل

نسبة الرسوب	التكرار	النسبة المئوية للتكرار
١٠٠	٢٠	١١,٤٪
٩٩	١١	٦,٣٪
٩٨	٨	٤,٥٪
٧٧	٦	٣,٤٪
٩٤	٦	٣,٤٪
٤٤	٥	٢,٨٪
٩١	٥	٢,٨٪
٩٥	٥	٢,٨٪
٩٦	٥	٢,٨٪
٤٩	٤	٢,٣٪
٦١	٤	٢,٣٪
٧٢	٤	٢,٣٪
٧٨	٤	٢,٣٪
٩٧	٤	٢,٣٪
٣٤	٣	١,٧٪
٤٦	٣	١,٧٪
٥٣	٣	١,٧٪
٦٣	٣	١,٧٪
٧١	٣	١,٧٪
٨٩	٣	١,٧٪
٩٢	٣	١,٧٪
٩٣	٣	١,٧٪
نسب أخرى	٢ أو ١	١,١٪ أو ٠,٦٪ لكل منها على التوالي

• شكلت نسبة رسوب ١٠٠٪ أعلى نسبة رسوب، تلا ذلك نسبة رسوب ٩٩٪. وكانت أدنى نسبة رسوب ٦٪، وأعلاها ١٠٠٪ وبمتوسط حسابي مقداره ٧٢٪. وقد تقل هذه النسبة بعد إصلاح المركبة، إلا أن هذه النسب من الرسوب في فحص عادم الديزل تشير إلى تلوث كبير ناجم عن مركبات الديزل، خاصة أنه يحوي مادة الكبريت الضارة، ويؤكد ذلك أهمية فحص المركبات للحد من هذا التلوث.

الجدول رقم (٩)

نسبة رسوب المركبات العاملة على الديزل

حسب أعلى نسبة تكرار لسنة صنع السيارة

سنة الصنع	التكرار	النسبة المئوية	نسبة الرسوب بفحص الديزل
١٩٨٢	٢	٢٨,٦٪	٩٩٪
١٩٨٤	٢	٢٢,٢٪	١٠٠٪
١٩٩٠	٢	٢٢,٢٪	١٠٠٪
١٩٨٩	١	٢٠٪	٩٨٪
١٩٩٤	١	٢٠٪	٩٤٪
١٩٨٦	٢	١٨,٢٪	١٠٠٪
١٩٨٨	٣	١٦,٧٪	١٠٠٪
١٩٩١	١	١٦,٧٪	١٠٠٪
١٩٨٧	٢	١٥,٤٪	١٠٠٪
١٩٨٣	٢	١٤,٣٪	١٠٠٪
١٩٨١	٢	١٤,٣٪	٩٩٪
١٩٨٠	١	١٤,٣٪	٩٢٪
١٩٨٥	١	١٠٪	٩٨٪
١٩٩٣	١	٩,١٪	٩٩٪
١٩٩٢	٢	٨,٧٪	١٠٠٪
	مختلف	مختلفة	مختلفة

٧ ـ نتائج الفحص حسب سنة الصنع:

شكلت نسبة رسوب ٩٩٪ أعلى نسبة وهي للمركبات صنع ١٩٨٢م تلا ذلك نسبة رسوب ١٠٠٪ للمركبات صنع ١٩٨٤م. ويدل ذلك على زيادة نسبة التلوث مع قدم عمر المركبة لذا لا بد من فحصها وإصلاحها بشكل دوري.

٨ ـ نتائج الفحص حسب صفة الاستخدام.

الجدول رقم (١٠)

نسبة رسوب المركبات العاملة على الديزل حسب صفة استخدام السيارة

صفة الاستخدام	أعلى تكرار	النسبة المئوية	نسبة الرسوب بفحص الديزل
حكومـــي	١	٢٥٪	١٠٠
خصوصـي	١٠	٧,٦٪	٩٩
عمومـــي	٢	٤,٩٪	١٠٠

شكلت نسبة رسوب ١٠٠٪ أعلى نسبة وهي للمركبات الحكومية، تلا ذلك نسبة رسوب ٩٩٪ للمركبات الخاصة. ويدل ذلك على زيادة نسبة التلوث للمركبات الحكومية والخاصة، لذا لا بد من فحصها وإصلاحها بشكل دوري

٩ ـ نتائج الفحص حسب صفة الترخيص:

الجدول رقم (١١)

نسبة رسوب المركبات العاملة على الديزل حسب صفة ترخيص السيارة

صفة الترخيص (الاستعمال)	أعلى تكرار	النسبة المئوية	نسبة الرسوب بفحص الديزل
ركوب صغيرة	١	٪١٠٠	١٠٠
شحن (قلاب)	١	٪٥٠	١٣
شاحنة	١	٪٣٣,٣	٤٣
شحن صغير (فان)	٤	٪٢٨,٦	١٠٠
نقل مشترك	٣	٪١٧,٦	١٠٠
شحن صغير (بكب)	١٢	٪١٠,٩	١٠٠
ركوب متوسط (حافلة صغيرة)	٣	٪١٠,٣	٩٥

شكلت نسبة رسوب ١٠٠٪ أعلى نسبة وهي لمركبات الشحن الصغيرة (فان)، تلا ذلك نسبة رسوب ١٠٠٪ للنقل المشترك والشحن الصغير (البكب)، لذا يجب فحصها وإصلاحها دورياً.

١٠ ـ نتائج الفحص حسب صنع المركبة:

الجدول رقم (١٢)

نسبة رسوب المركبات العاملة على الديزل حسب صنع السيارة

الصنـــع	التكرار	النسبة المئوية	نسبة الرسوب فحص الديزل
متسوبيشي	٤	١٦,٧٪	١٠٠٪
تويوتا ديانا	٢	٨,٣٪	٣٤٪
تويوتا كوستر	٢	٨,٣٪	٧٢٪
مرسيدس	٢	٨,٣٪	١٠٠٪
كياموترز	٣	١٢,٦٪	٩٨٪
ديهاتسو	٢	٨,٣٪	٤٦٪
داتسون	١	٤,٢٪	١٠٠٪
نيسان	٤	١٦,٧٪	١٠٠٪
تويوتا	٢	٨,٢٪	١٠٠٪
تويوتا هايلكس	٢	٨,٣٪	١٠٠٪

شكلت نسبة رسوب ١٠٠٪ أعلى نسبة وهي مركبات المتسوبيشي تلا ذلك نسبة رسوب ١٠٠٪ لمركبات صنع مرسيدس، لذا يجب إصلاحها بشكل دوري.

١١ ـ نتائج الفحص حسب حمولة المركبة:

الجدول رقم (١٤)

نسبة رسوب المركبات العاملة على الديزل حسب حمولة السيارة

حمولة المركبة	التكرار	النسبة المئوية	نسبة الرسوب بفحص الديزل
ركوب صغيرة	١	١٠٠٪	١٠٠٪
٢ طن	١	١٠٠٪	٤٤٪
٧ أطنان	١	١٠٠٪	٣٠٪
٢٥ راكباً	١	١٠٠٪	٩٣٪
٥ أطنان	١	٥٠٪	١٣٪
٨ أطنان	١	٥٠٪	٤٣٪
١,٥ طن	١	٣٣,٣٪	٩٩٪
١٩ راكباً	١	٣٣,٣٪	٩٤٪
٣ أطنان	٢	٢٨,٦٪	٣٤٪
طن	٤	٢٠٪	٩٩٪
١٤ راكباً	١	٢٠٪	٩٥٪
نصف طن	٣	١٥,٨٪	٩٦٪
٢,٥ طن	١٢	١٣,٣٪	١٠٠٪
٢٣ راكباً	٢	٩,٥٪	٩٨٪

شكلت نسبة رسوب ١٠٠٪ أعلى نسبة وهي مركبة واحدة ركوب صغيرة صنع ١٩٦٤م تلا ذلك نسبة رسوب ١٠٠٪ لمركبات حمولة ٢,٥ طن، لذا يجب إصلاحها وفحصها بشكل دوري.

ثانياً: المركبات العاملة على البنزين:

مثلت العينة ٤١٢ سيارة تعمل على البنزين وكانت نتائج التحليل الإحصائي ما يلي:

١ ـ نتائج الفحص للسيارات العاملة على البنزين ونسب النجاح.

الجدول رقم (١٤)

نسب نجاح المركبات العاملة على البنزين

المتغير	المتوسط	المدى	القيمة الدنيا	القيمة العليا	المجموع
نسبة نجاح غاز O_2	١٢,٢٠	٥٧,٣٤	٠٠	٥٧,٣٤	١٨٢,٩٦
نسبة نجاح غاز CO_2	١٥,١٨	٦٩,٧٧	١,٢٣	٧١,٠٠	٢٢٧,٦٩
نسبة نجاح غاز CO	٢٠,٦٦	٥٥,٧٠	١,٦٤	٥٧,٣٤	٣٠٩,٨٧
نسبة نجاح غاز HC	٢٢,٣٩	٨٩,٧٧	١,٢٣	٩١,٠٠	٣٣٥,٩٢
المركبات المفحوصة	٢٧	٥٤	٨	٦٢	٤١٢

شكلت نسبة النجاح في غاز (HC) أعلى نسبة تلا ذلك نسبة النجاح في غاز أول أكسيد الكربون وثاني أكسيد الكربون على التوالي أما نسبة النجاح في غاز الأكسجين فكانت أدنى نسبة.

٢ ـ نتائج الفحص حسب أعلى نسب نجاح وعدد المركبات المفحوصة وصنع المركبة:

الجدول رقم (١٥)

نسبة نسب نجاح وعدد المركبات المفحوصة وصنع المركبة

البيـــان	أعلى قيمة	العدد المفحوص	الصنـــع
HC	٪٩١	٢١	نيســان
CO2	٪٧١	٤١	متوبيشي
CO	٪٥٧,٣٤	٣٢	فولكس فاجن
O2	٪٥٧,٣٤	١٦	رينـــو
عدد المركبات المفحوص	٦٢	٦٢	تويوتــا

شكلت سيارات نيسان أعلى نسبة نجاح ٩١٪ لغاز HC تلا ذلك نسبة نجاح ٧١٪ لمركبات نوع متسوبيشي لغاز ثاني أكسيد الكربون، أما أكبر عدد مركبات تم فحصه فكان تويوتا.

٣ـ نتائج الفحص حسب أدنى نسب نجاح وعدد المركبات المفحوصة وصنع المركبة:

الجدول رقم (١٦)

نسبة نجاح المركبات العاملة على البنزين حسب

نسب نجاح وعدد المركبات المفحوصة وصنع المركبة

البيـــان	أدنى قيمة	العدد المفحوص	الصنـــع
O_2	٠٠	٩	فولفو
HC	٪١,٢٣	٢٨	BMW
CO_2	٪١,٢٣	٢٨	BMW
CO	٪١,٦٤	٢٦	داتسون
عدد المركبات المفحوص	٨	٨	هونداي

شكلت سيارات فولفو أدنى نسبة نجاح لغاز O_2 تلا ذلك بحيث رسب جميعها نسبة نجاح ١,٢٣٪ لمركبات نوع بي أم دبليو (BMW)، أما أقل عدد مركبات تم فحصه فكان هونداي.

٧ ـ الخلاصة والتوصيات :

تبين من خلال تحليل البيانات السابقة لقياس ملوثات نظم عادم المركبات التي تعمل على الديزل والبنزين بأن السيارات من نوع تويوتا ونيسان هي أصلاً من أكبر أعداد سيارات الديزل المسجلة في الأردن وقد شكلت حمولة سيارات الشحن الصغيرة ٢,٥طن أعلى نسبة حمولات، تلا ذلك

سيارات الركوب المتوسطة (الحافلات الصغيرة) سعة ٢٣ راكباً، وهذا أيضاً يتفق وعدد مركبات الديزل المسجلة في الأردن.

شكلت السيارات الخاصة أعلى نسبة في هذه الدراسة، تلا ذلك السيارات التي تعمل بالأجرة. ومثلت سيارات الشحن الصغير (بكب) أعلى نسبة سيارات ديزل، تلا ذلك سيارات الركوب المتوسطة (باص). وقد كانت سيارات موديل ١٩٩٢م أعلى نسبة في سيارات الديزل، تلا ذلك سيارات موديل ١٩٨٨م. وكانت أقدم سنة صنع هي ١٩٦٤م أحدثها ١٩٩٤م. وقد سجلت نسبة رسوب ١٠٠٪ كأعلى نسبة، تلا ذلك نسبة رسوب ٩٩٪. وكانت أدنى نسبة رسوب ٦٪ وأعلاها ١٠٠٪ وبمتوسط حسابي مقداره ٧٢٪. وقد تقل هذه النسبة بعد إصلاح المركبة، إلا أن هذه النسب من الرسوب في فحص نظم عادم الديزل تشير إلى تلوث كبير ناجم عن مركبات الديزل، خاصة وأن الديزل يحوي مادة الكبريت الضارة، ويؤكد ذلك على ضرورة فحص المركبات بشكل دوري للحد من هذا التلوث.

شكلت نسبة رسوب ٩٩٪ أعلى نسبة وهي للمركبات صنع ١٩٨٢م، تلا ذلك نسبة رسوب ١٠٠٪ للمركبات صنع ١٩٨٤م. ويدل ذلك على زيادة نسبة التلوث مع قدم عمر المركبة، لذا لا بد من فحصها وإصلاحها بشكل دوري. كما كانت نسبة رسوب ١٠٠٪ أعلى نسبة وهي للمركبات الحكومية، تلا ذلك نسبة رسوب ٩٩٪ للمركبات الخاصة. ويدل ذلك على زيادة نسبة التلوث للمركبات الحكومية والخاصة، الذي يستدعي فحصها وإصلاحها بشكل دوري.

وأدرجت نسبة رسوب ١٠٠٪ كأعلى نسبة لمركبات الشحن الصغيرة

(فان)، تلا ذلك نسبة رسوب ١٠٠٪ لمركبات النقل المشترك والشحن الصغير (البكب). ويدل ذلك على زيادة نسبة التلوث لهذه الأنواع من المركبات. أما نسبة رسوب ١٠٠٪ فهي أعلى نسبة لمركبات المتسوبيشي، تلا ذلك نسبة رسوب ١٠٠٪ لمركبات صنع مرسيدس، وكانت نسبة رسوب ١٠٠٪ أعلى نسبة وهي لمركبة واحدة ركوب صغيرة من صنع عام ١٩٦٤م، تلا ذلك نسبة رسوب ١٠٠٪ للمركبات حمولة ٥, ٢طن.

وسجلت السيارات صنع نيسان أعلى نسبة نجاح (٩١٪) لغاز HC ، تلا ذلك نسبة نجاح ٧١٪ للمركبات نوع متسوبيشي، أما أكبر عدد مركبات تم فحصه فهو تويوتا. وقد سجلت السيارات صنع فولفو أدنى نسبة نجاح لغاز O_2 ، تلا ذلك نسبة نجاح ٢٣, ١٪ لمركبات نوع بي أم دبليو (BMW)، أما أقل عدد مركبات تم فحصه فكان هونداي.

بناءً على ما تقدم فإن التوصيات التالية قد تكون مبررة:

١ ـ إن للعنصر البشري أهمية كبيرة في الحد من تلوث البيئة والمحافظة عليها، لذا فإنه يجب رفع الوعي البيئي والتأكيد على تصرفات مستخدم الطريق كتفقد المركبة بشكل دوري وتجهيزها الفني ومراعاة شروط السلامة في القيادة.

٢ ـ الحاجة إلى وضع مواصفات شاملة وموحدة لاستيراد المركبات وقطع الغيار وتصنيعها استناداً لاتفاقيات جنيف لعام ١٩٥٨ م وبمشاركة جميع الجهات المعنية. وكذلك المواصفات الخاصة بقياس مدى التلوث والنسب المسموح بها.

٣ـ ضرورة إعادة النظر بالتشريعات المتعلقة بتلوث الهواء والتلوث الناتج

عن المركبات وزيادة الرقابة على هذه القوانين، والاستمرار في إجراء الفحص الفني الدوري والتركيز على الجزء المتعلق في البيئة وتطويره.

٤ـ ضرورة استخدام التقنيات المناسبة واستحداث مشاريع خاصة للحد من تلوث البيئة.

٥ـ الحاجة إلى إجراء الأبحاث والدراسات المحلية المتخصصة والاستفادة من التجارب الدولية في هذا المجال.

٦ـ إن الزيادة في كلفة مشاريع المحافظة على البيئة و محدودية الموارد في الدول النامية يستدعيان اعتماد حلول هندسية للمشاكل البيئية كتلك المسماة بإدارة نظم البيئة في الدول المتقدمة.

المراجــــع

1. U.S .Department of Transportation, Alternatives For Improving Urban Transportation, Technology Sharing Report 177-215, October, 1977

2. Falcocchio, John C., The TSM Approach To Solving Congestion And Circulation Problems In the Older Cities of the United States, Paper for Regional Conference on Urban Transportation, Italy, October, 1983

3. Weeks, Neville E., Traffic Engineering and Transport Planning in Developing Nations, ITE: 711,1984.

4. Gilbert, A. Keith, Signalized Intersection Capacity, ITE Journal: 48-52,1984

5. David, Jarrett H, Streets in Arab Communities, ITE: 23-25, 1984.

6. Kay, Jack L, Institutional Issues Surrounding Traffic Engineering in Developing Nations, ITE: 12-15, Washington, D.C., 1984

7. UNEP, Saving Our Planet, 1992.

8. WHO, Motor Vehicle Air Pollution, 1992

9. Halcrow Fox and Associates, Amman Region Transportation Study, Report for Hashemite Kingdom of Jordan. Amman, 1981

10. Daniel, Mamen, Traffic Engineering Practices in Developing Countries, An Overview of Practices With Respect to Development and Traffic Characteristics, ITE: 16-21, Washington, 1984.

11. Box, Paul C., and Oppen, J.C., Manual of Traffic Engineering Studies, Arlington, I.T.E, 1976

12. Maycock, G, and Hall, R.D., Accidents At 4-Arm Roundabouts, Department of the Environment Department of Transport, TRRL SR 1120. Crowthorne, 1984.

13. Weed, Richard M., Revised Decision Criteria for Before/After Analysis, New Jersey Department of Transportation, New Jersey, June, 1985

14. Chapman & Hall. System Inc., TSM Project Violation Rates, Report for State of California, Department of Transportation and Department of the California Highway Patrol, 1982

١٥ - إدارة السير، إحصائية حوادث السير، عدة سنوات، مديرية الأمن العام، الأردن.

١٦ - إدارة ترخيص السواقين والمركبات، إحصائية المركبات المسجلة في الأردن، عدة سنوات، مديرية الأمن العام الأردنية.

١٧ - اتحاد جمعيات الوقاية من حوادث الطرق، (PRI) المجلد الثاني لسنة ١٩٩٥م، لوكسمبورغ.

١٨ - البكري، علاء عبد الرحمن، مرجع في السلامة المرورية، حوادث المرور واقع وحلول، الرياض، ١٩٩٧م.

١٩ - البكري، علاء عبد الرحمن، البيئة والسير، مديرية الأمن العام الأردنية ١٩٩٥ م

٢٠ - الجمعية العلمية الملكية، كود الصوتيات، عمان، الأردن، ١٩٩٠م

٢١ - الجريدة الرسمية، قانون السير وقانون البيئة وقانون العقوبات وقانون أصول المحاكمات الجزائية وقانون البناء الوطني في الأردن.

22. Black, J.A. and E.T.A.L., Urban Road Traffic Noise Prediction Model Using Object Oriented and GIS Technology, Transportation Research Board, 76th Annual Meeting, Washington, D.C., 1997

23 Deysher, B. and Pickell, D., Emission Reductions From Vehicle Retirement Programs, Transportation Research Board, 76th Annual Meeting, Washington, D.C , 1997.

24 . Adler, J. and E.T.A.L., An Expert System Architecture for Computer-Aided Environmental Analysis, Transportation Research Board, 76th Annual Meeting, Washington, D.C., 1997

٢٥ ـ العقيل، خالد منصور . أساسيات الطاقة في المملكة العربية السعودية، مؤتمر الطاقة العربي السادس، دمشق: ١٩٩٨م، ص ٩٧ ـ ١٠٣

٢٦ ـ الجمعية الأردنية للوقاية من حوادث الطرق، إحصائيات فحص المركبات، عمان، الأردن، ١٩٩٦م

التدريب الأمني التقني: تجربة إقليمية

«دور أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية

في مجال التدريب التقني لمنسوبي الأمن العرب»(*)

العميد د. فهد أحمد الشعلان(**)

مقدمـــــة:

إنه لمن نافلة القول الإشارة إلى أن التدريب يعتبر أحد محاور التنمية الإداريه وأبرز مداخلها الرئيسة . . لذا فقد حظي باهتمام الخطط التنموية للدول رغبة في تطوير كوادرها البشريه ورفع مستوى أدائها لكي تصبح رموزاً فاعلة في مسيرة التنمية والتدريب . وهو وان مورس في العصور القديمه بشكل فردي غير منظم . . الاَّ أنه غدا في العصر الحاضر علماً قائماً بذاته له نظرياته وأسسه ومفاهيمه . . بل خصصت له مؤسسات مستقله تعنى بأوجه نشاطه .

(*) تم تقديم هذا الموضوع تحت عنوان (التدريب على التقنية الأمنية الحديثة مسيرة أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية في مجال التدريب التقني للكوادر الأمنية العربية) في مؤتمر التطور التقني وفاعلية العملية التدريبية الذي نظمتة الإدارة العامة لشرطة أبو ظبي في الفترة من ١٥ ـ ١٨ فبراير ١٩٩٨م أبو ظبي ـ الامارات العربية المتحدة (لم ينشر)

(**) عميد معهد التدريب ـ ورئيس تحرير المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب ـ أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية

وما التدريب الأ نشاط يتم التخطيط له ويهدف إلى أحداث تغييرات في الفرد والجماعه من ناحيه المعلومات والخبرات والمهارات ومعدلات الأداء وطرق العمل والسلوك والاتجاهات بما يجعل المتدربين لائقين وقادرين على القيام بأعمالهم ومسئولياتهم بكفاءةومقدره انتاجية عالية. ويعد التدريب من أهم الأدوات التى تستخدمها الإدارة إذ انه يزيد من كفاءة العاملين ويرفع من معنوياتهم إضافة إلى انه يحقق الانسجام بينهم وذلك لما ينتج عنه من تحسين لأداء الضعيف فيهم ورفعه إلى مستوى أعلى. إلى جانب ذلك فإن التدريب يكشف عن مواطن القوة والضعف لدى العاملين ويساعد الإدارة فى عملية الإشراف عليهم وفقاً لظروفهم وقدراتهم كما يؤدى التدريب إلى استقرار العاملين وتوطيد العلاقة بينهم ومع رؤسائهم[١].

والواقع ان التدريب ذو ملامح عديده وأنواع كثيرة وأوجه متنوعة وتأخذ منه كل مؤسسة ماتراه يحقق أهدافها التنمويه تبعاً لاحتياجها وجوانب القصور في أداء منسوبيها . وتخطئ الإدارة فى الحاق منسوبيها في دورات تدريبيه قبل التأكد جيداً من حاجتهم إلى هذه الدورة بالذات أو تلك إذ أن انحدار معدل الأداء للعاملين قد لايكون بسبب نقص التدريب وانما لأسباب أخرى كالحوافز على سبيل المثال [إنك تستطيع تدريب الأفرأد وتزيد من قدراتهم لأداء أعمالهم . . ولكن وبصفة عامة ستصاب بخيبة الأمل إذا اعتقدت انك تدرب الافرأد لبذل طاقه أكبر في أداء أعمالهم][٢].

(١) محمود عساف . أصول الإدارة . دار الناشر العربي القاهره ١٩٧٥ص ٥٤١.
(2) Kinger. Donald E. And John Nalbandian. Public Personnel Management: Contexts And Strategies Prentice
Jall Inc Englewood Cliffs N.J. U.S.A. 1985.P235.

ولا يعزب عن البال الثورة التقنيه التي يعيشها عصرنا الحاضر والحاجة الملحه إلى توظيف هذه التقنيات المتقدمه لخدمة الأغراض التنموية في كافة مؤسساتنا الحكومية والخاصة . . مما يستلزم بالضروره توجه التدريب الى هذه التقنية سواء بالتدريب على استخداماتها . . أو بالاستعانه بأدواتها لتقديم خدمة تدريبية افضل .

وتتحمل المؤسسات التدريبية بكافة أشكالها هذه المسئولية . . مما حدا بها إلى اعأدة حساباتها وتنظيم أساليبها وآلياتها بما يحقق فعاليتها في خضم عصر التقنية الحديث .

وتقف بشموخ أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية . الجهاز الأمني العلمي العربي لتتحمل مسئوليتها في التدريب التقني للكوأدر الأمنية العربية مستعينه بمالديها من إمكانات وخبرات ثرية وعلاقات قوية مع المؤسسات العربية والدولية . وفي هذا الإطار فقد حققت الأكاديمية انجازات بارزة في مجال التدريب التقني لمنسوبي الأجهزة الأمنية فى الدول العربية . ولاتزال ترنو إلى تحقيق المزيد خدمة للأهداف التي رسمها أصحاب السمو والمعالي وزراء الداخلية العرب .

لذا . . فستتناول هذه الدراسة اسهامات أكاديمية نايف العربيه للعلوم الأمنية - كمؤسسة علمية إقليمية - فى مجال التدريب التقني للعاملين بأجهزة الأمن والعدالة الجنائية في عالمنا العربي الكبير .

أولاً : أهـــداف التدريـــــب

هناك في الحقيقة العديد من الأهداف التي ترمي إليها البرامج التدريبية وتختلف بطبيعة الحال هذه الأهداف تبعاً لنوع البرنامج التدريبي

ومجاله . . ولكن وبصفة عامة هناك العديد من الأهداف التي تحاول المنظمات المختلفة تحقيقها عند تصميم برامجها التدريبية ومن ذلك[١] :

١ـ زيادة الكفاية الإدارية والانتاجية وتحسين أسلوب الإدارة .

٢ـ تحقيق رغبات المتدربين في النمو والتقدم وإشباع حاجاتهم الارتقائية مما يؤدى إلى رفع روحهم المعنوية وشعورهم بالأهمية داخل منظماتهم .

٣ـ يهدف التدريب إلى المساعدة فى تخطيط القوى العاملة في المنظمة

٤ـ اعدأد المتدربين لشغل الوظائف الأعلى وذات المسئولية الأكبر من وظائفهم الحالية .

٥ـ تدريب المتدربين على أساليب حل المشكلات التي تواجه المنظمة .

٦ـ تخفيف العبء على المشرفين . . إذ أن التدريب يجعل العاملين يلمون بأعمالهم وبالتالي تقليص الوظائف الإشرافيه وتقليل تكلفتها .

ويحدث أحياناً أن يتعلم المتدرب ولكنه لا يوظف تلك المعارف في تحسين سلوكه وأدائه العلمي . . عندها يجب على المديرين البحث عن أسباب أخرى لهذا المستوى المتدني إذ أن الحاق مثل هذا الفرد بدورات أخرى لن يضيف جديدا[٢] .

ثانيــاً : التدريــــب والتقنية الحديثة

الواقع أن العلاقة بين التقدم التكنولوجي والتدريب جد قوية وراسخة

---

(١) محمد عبدالفتاح ياغي ، مبادىء الإدارة العامة ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ١٤٠٣ ص ٣٢١ـ٣٢٢.

(2)Nadler Leonard Corprate Human Resources Development VAN NASTRAND REINHOLD CON NEW YORK, 1980,[109.

وبينهما ارتباط وثيق . فالتكنولوجيا تستحيل الاستفأدة منها دون تدريب جيد للعاملين بحيث يكونون قادرين على توظيفها بفعالية . وفي الوقت نفسه فإن التدريب ينفخ في بالون مخروق إن هو تجاهل التكنولوجياً سواء في التدريب على استخدامها أو بتوظيفها في أساليبه . فعلى سبيل المثال كيف لنا ان نتخيل نجاح مؤسسة تدريبية معينة دون الاستفادة من تكنولوجية المعلومات [للربط بين التكنولوجيات المعلوماتيه الحديثه وبين العملية التدريبية نجد أنفسنا أمام رابطة عضوية بين هذين النوعين من الأنشطة البشرية بحيث نستطيع أن نقول بصدق أن النشاط التدريبي في العصر الحالي يستحيل أن يحقق أهدافه دون استعانه بتكنولوجيا المعلومات والإمكانات الهائلة التي تقدمها في خدمة تطور ونمو البشر][1] .

وبالنظر إلى العالم العربي يتضح الاقبال على التكنولوجيا الحديثة في بعض المجالات . . ولكن بتفاوت بين الدول العربية تبعاً لامكانياتها الاقتصأديه وخطط تنميتها المحلية .

إن مستقبل التقنية في الوطن العربي يتوقف أساساً على :[2]

١ ـ التنسيق بين الطاقات العلمية التقنية الموجوده في الدول العربية وترجمة هذه الطاقات إلى خدمة الاحتياجات على مستوى الوطن العربي ككل

---

(١) محمد ماهر قنديل . المدرب والمتدرب وتقنيات عصر المعلومات ورقة علمية مقدمه الى ندوة المدرب والمتدرب الادارة العامة لشرطة أبوظبي الامارات العربية المتحدة يناير ١٩٩٦ ص ٣

(٢) علي لطفي . مستقبل التكنولوجيا في الوطن العربي . في كتاب ادارة القرن الحادي والعشرين . الدكتور سعيد يس عامر مركز وابد سيرفس للاستشارات والتطوير الإداري القاهرة ١٩٩٧ ص ١٩٥ ـ ١٩٦

والبدايه في هذا الشأن تكمن في انشاء قواعد بيانات يتم تحديثها سنوياً عن انشطه المؤسسات العلمية والتقنية في الدول العربيه .

٢ـ تصميم خطه قوميه للاستعانه بالعلماء العرب المغتربين . . للحصول على خبرات علمية وتقنية ذات مستوى عالمي جيد وخاصه في المجالات ذات الأهمية في الاقتصاد العربي .

أما على مستوى كل دولة عربية فإن الأمر يستدعى مايلي :

١ ـ الاهتمام بالبنية الأساسية التحتية للتنمية التقنية والمتمثلة في محو الأمية ـ التعليم ـ التدريب ـ البحث العلمي .

٢ـ ضرورة القيام بتغيير التعليم وذلك بالانتقال من فلسفة التلقين إلى فلسفة التعليم Learring وهذا يستدعي زيادة مقررات التدريب في المنظومة التعليمية لكي يمكن تنمية العقل والفكر والابداع . . ومن ثم يمكن لقوى العمل الجديدة الدخول إلى سوق العمل الدولي مزودة بما يواكب التطورات التقني المتلاحقة والمتغيرات العلمية الجديدة .

٣ـ الانفتاح على التقدم العلمي والتقني في الدول المتقدمة وذلك عن طريق زيادة البعثات الخارجية . . خصوصاً في التخصصات الحديثة للتقنية المتقدمة High Tech .

ومما لاشك فيه . . أن التدريب الأمني تحديداً هو أحوج ما يكون للاستجابة للتطور التكنولوجي . . والذي يتمثل في ثلاثة ابعاد وهي[1] :

(١) سعد أحمد الجبالي . اشكالية التدريب الأمني في الوطن العربي . ورقة عمل مقدمه الى الإجتماع الخامس للمسئولين عن التدريب في الأجهزة الأمنية العربية والذى ونظمته أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ـ برأس الخيمة بدولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة ١٥ ـ ١٧ ديسمبر ١٩٩٧ . ص ٦٧ ـ ٦٩ .

البعد الأول : التدريب على التقنية:

١ ـ ضرورة اهتمام الأجهزة الأمنية باستخدام التكنولوجيا في العمليات الأمنية مثل استخدام نظم المعلومات الآلية فى مكافحة الجرائم المختلفة والاهتمام ببرامجها التدريبية .

٢ ـ التركيز على البرامج التدريبية التي تستخدم التكنولوجيا في التنسيق بين الأجهزة الأمنية محلياً وإقليمياً وعالمياً لمكافحة الجرائم المختلفة تمشياً مع عولمة الأمن في مواجهة عولمة الجريمة .

البعد الثاني: استخدام التقنية في التدريب:

لقد استخدمت التكنولوجيا في التعليم والتدريب منذ عشرات السنين ، ومن الاستخدامات التقليدية في هذا الصدد استخدام جهاز عرض الشرائح الشفافة ، وجهاز عرض الشرائح المعتمة ، وجهاز عرض الشرائح ، وأجهزة التسجيل والعرض الفيديوي والتلفزيوني باستخدام الأفلام التدريبية . إلا أن التقدم التكنولوجي قد أتاح المزيد والمزيد من التقنيات التدريبية ، ويمكن تبويب هذه التقنيات في فئتين : الفئة الأولى : هي فئه التعلم الذاتي ، والفئة الثانية هي فئة التقنيات التي تساعد المدرب على عرض المادة التدريبية ، وفيما يلي ايضاح لذلك :

١ ـ فئة تقنية التعليم الذاتي:

أ ـ ضرورة اهتمام أجهزة التدريب الأمني باستخدام برمجيات التعليم الذاتي على الحاسب الآلي الشخصي . وحيث ان الحاسب الآلي لا يمل ولا يتعب فإن هذه التقنية تستخدم في اتاحة الفرص للمتدرب في

الحصول على عدد لا نهائي من فرص التدريب على المعارف والمهارات طبقاً لمعدل تعلمه حتى يصل إلى درجة التمكن .

ب ـ ضرورة اهتمام أجهزة التدريب الأمني بتدريب منسوبي الأمن على استخدام تقنيات الإتصال بين شبكات الحاسب وما يرتبط بها من قواعد بيانات ومعلومات، ومن أهم هذه التقنيات الانترنت والبريد الإلكتروني.

٢ـ فئة تقنيات العرض:

أ ـ ضرورة اهتمام أجهزة التدريب الأمي بالاستفادة من تقنيات العرض المرتبطة بالحاسب الآلي .

ب ـ ضرورة اهتمام أجهزة التدريب الأمني باستخدام الوسائط المتعددة (Multimedia) في عرض الطرح التدريبي.

ج ـ ضرورة اهتمام أجهزة التدريب الأمني باستخدام تقنيات المؤتمرات عن بعد (Video Conferencing) باستخدام الصوت والصورة والحركة، حيث تسمح هذه التقنيات بالتفاعل الكامل بالصوت والصورة والحركة بين مشاركين وخبراء في مواقع متعددة، الأمر الذي يساعد على الاستفادة من الموارد البشرية النادرة في التدريب الأمي، والمساهمة في عولمته .

البعد الثالث : الثقافة المعلوماتية:

أ ـ يقترح أن تركز أجهزة التدريب الأمني على البرامج التدريبية التي تعني بالثقافة المعلوماتية كمتطلب مسبق للتدريب على التكنولوجيا واستخدام التكنولوجيا في التدريب، ويتضمن ذلك، على سبيل المثال،

أساسيات التعامل مع الحاسب الآلي الشخصي ، وأساسيات التعامل مع الانترنت والتي تمكنهم من تصفح المعلومات عبر محتويات القواعد التي ترتبط بها

ب- يقترح أن تركز أجهزة التدريب الأمني على استخدام الثقافة المعلوماتية في التعلم الذاتي للكوادر الأمنية حيث أدى الانفجار المعلوماتي والتطور المستمر في المعلومات الأمنية إلى صعوبة ملاحقتها عن طريق التدريب الأمني الرسمي ، ولاسبيل لذلك إلا بتفعيل دور الكوادر الأمنية في أخذ زمام المبادرة في التعلم الذاتي .

ج- يقترح أن تركز الأجهزة الأمنية على مساعدة الكوأدر الأمنية على أن تتعلم كيف تتعلم ذاتياً باستخدام آليات التطوير الذاتى في إطار برامج معتمدة ومدعومة لهذا الغرض

ثالثاً : نبذة مختصرة عن أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية :

١- نشأة الأكاديمية :

أنشئت أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية استجابة للاحتياجات العربية التي لمسها المسئولون من رجال الأمن والوقاية من الجريمة والانحراف على أساس من البحث العلمي والتدريب ، وقد بزغت فكرة اقامة هذه الأكاديمية مع عقد أول مؤتمر لقادة الشرطة والأمن العرب فى مدينة العين بدولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٣٩٢هـ (الموافق ١٩٧٢م) وأصدر المؤتمر الثاني لوزراء الداخلية العرب والذي عقد في العاصمة العراقية بتاريخ ٢/ ١١/ ١٣٩٨هـ (الموافق ٤/ ١٠/ ١٩٧٨م) قراراً بانشاء الأكاديمية .

وقامت حكومة المملكة العربية السعودية ايمانا منها بدعم العمل العربي

المشترك بتخصيص مساحة من الأرض تبلغ ١٦٠ر٠٠٠ متر مربع فى مدينة الرياض لاقامة الأكاديمية عليها، وتكفلت بتشييد المبنى وتأثيثه بالكامل[١]

٢ ـ أهـــداف الأكاديميـــــة :

تهدف الأكاديمية إلى تحقيق مايلي :

١ ـ إثراء البحث فى مجال الدراسات والأبحاث العلمية الميدانية الخاصة بالوقايـة من الجريمة والعلوم الشرطية . وترسيخ مبدأ التكامل الأمني العربى ووحدة أمن الأمة العربية على أساس من أصالة التراث الحضاري العربي، وفى حدود معطيات الشريعة الإسلامية الغراء .

٢ ـ التعريف بأحكام التشريع الجنائي الاسلامي وما تضمنه من مبادئ ونظم تطبيقية متكأملة . وابراز مميزاته وفاعليته في القضاء على المشكلات المعاصرة .

٣ ـ النهوض بمستوى التدريب في مجالات الوقاية من الجريمة ومكافحتها على المستوى العربي وإعدأد المدربين وتوظيف التقنيات الحديثة فى المجالات الأمنية لاستثمار ايجابياتها وتعميمها على الجهات المعنية .

٤ ـ تنمية وتوثيق الروابط مع المؤسسات العلمية والأكاديمية والجنائية والشرطية على المستوى العربي وتبادل المعلومات والخبرات معها[٢] .

---

(١) دليل أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤١٨هـ، ص ٩ ـ ١١

(٢) النظام الاساسي لأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ١٤١٨هـ ص ٧ ـ ٨ .

٣ ـ المعاهـــد العلمية بالأكاديميـــة :

تتكون الأكاديمية من ثلاث وحدات علمية رئيسة هي: معهد الدراسات العليا، ومعهد التدريب، ومركز الدراسات والبحوث وتتقاسم هذه المعاهد الثلاثة كافة الأنشطة العلمية التي تضطلع بها الأكاديمية من تدريس وتدريب وبحث ونشر ولقاءات علمية متنوعة .

٣/ ١ معهد الدراسات العليا

أنشيء معهد الدراسات العليا عام ١٤٠٣هـ لسد حاجة ماسة على مستوى العالم العربي للدراسات العليا في مجالات الأمن المختلفة بمفهومه الشامل ولمقابلة الاحتياجات المتطورة للأجهزة الأمنية ولتحقيق الهدف الأساسي من أنشاء المعهد على ضوء التطورات العلمية في التعليم العربي وخارجه تم مؤخراً تطوير التنظيم الأكاديمي والإداري للمعهد حيث أصبح يتكون من أربعة أقسام علمية هي .

أ ـ قسم العلوم الشرطية .

ب ـ قسم العدالة الجنائية .

جـ ـ قسم العلوم الاجتماعية .

د ـ قسم العلوم الإدارية .

وتقدم هذه الأقسام درجة الماجستير في عدد من التخصصات إضافة إلى عدة دبلومات دراسات عليا مهنية وتطبيقيه هي :

دبلوم التحقيق والأدلة الجنائية، ودبلوم الحماية المدنية وطرق السلامه، ودبلوم مكافحة المخدرات، ودبلوم إدارة المرور، ودبلوم الإدارة الأمنية، ودبلوم أعداد برامج التدريب ودبلوم التاهيل داخل المؤسسات الاصلاحية، ودبلوم العلوم الأمنية .

ومما يجدر ذكره بأن معهد الدراسات العليا عضو في اتحاد الجامعات العربية[١].

٣/ ٢ معهد التدريب :

انشئ معهد التدريب بالأكاديمية بهدف التطوير المستمر للكوادر الأمنية العربية والعمل على تنمية مهاراتهم وحسن إعداداهم وتزويدهم بالمهارات والمعلومات المختلفة المتجددة عن طبيعة أعمالهم من أجل رفع مستوى الأداء والقدره والكفاءة لكافة الأجهزة الأمنية العربية والأجهزة ذات العلاقة .

ويتيح معهد التدريب من خلال مهام أقسامه وبرامجه فرصة للمتدربين من رجال الأمن والعدالة الجنائية العرب لصقل خبراتهم العلمية بالنظريات العلمية التي يتلقونها . كما أن طرح التجارب المتنوعه في الدورات التدريبية والتعرف على المشكلات الإدارية والأمنية المختلفة في الأجهزة العربية وايجاد الحلول المناسبه لها يثري الخبرات لدى المتدربين .

ويقوم معهد التدريب بتنفيذ انشطته التدريبيه على مدار العام من خلال اقسامه الرئيسيه وهى :

١ ـ قسم البرامج التدريبية

٢ ـ قسم المختبرات الجنائية

٣ ـ قسم المعارض الأمنية

٣/ ٣ مركز الدراسات والبحوث:

يعنى مركز الدراسات والبحوث فى الأكاديمية بالبحث العلمي الأمني

(١) دليل أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ١٤١٨هـ ص ٣١ ـ ٣٢.

على نهج متميز من الجودة النوعية وتعتبر أبحاثه رائدة في ميدان وقاية المجتمع العربي من الجريمة والانحراف وقد كانت التحولات الاجتماعية والاقتصادية الهائلة وغيرها التي كان لها انعكاساتها الواضحة في بروز ظواهر أمنية مستجدة كجرائم العنف والإرهاب وجرائم الحاسوب وجرائم البيئة وتجارة المعلومات وغيرها سبباً مباشراً فى هذا التوجه للعمل الأمني العربي المشترك نحو اعطاء البحث العلمي الأمني حقه من الاهتمام ليكون رائداً وموجهاً للخطط والاستراتيجيات الأمنية العربية .

ويتكون مركز الدراسات والبحوث من الأقسام الرئيسة التالية :

أ ـ قسم الدراسات والبحوث ب ـ قسم الندوات واللقاءات العلمية

جـ ـ قسم المعلومات والحاسب الآلي . د ـ قسم النشر

وتضطلع هذه الأقسام بتنفيذ الأنشطة العلمية المختلفة لمركز الدراسات والبحوث حسب طبيعتها[١] .

وبالإضافة إلى هذه الوحدات العلمية الرئيسة للأكاديمية . . هناك عدد من الإدارات التي تختص بجوانب علمية وإدارية متنوعة

رابعاً : إسهامات الأكاديمية في التدريب التقني

حيث أن أبرز أهداف أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية يتمثل في تطوير منسوبي الأمن والعدالة الجنائية في الوطن العربي وصقل مهاراتهم وتنمية قدراتهم ومعارفهم واطلاعهم وتدريبهم على أحدث المستجدات والتقنيات الحديثة في المجال الأمني . فقد تحملت الأكاديمية هذه المسئولية

---

(١) المرجع السابق ص ٧٩ـ ١٠٥

بكل جدية منذ إنشائها . . ولاتزال تطمح في المزيد من الانجازات في هذا الإطار . فعلى سبيل المثال نفذت الأكاديمية في المجال التدريبي حتى نهاية عام ١٩٩٧ ثلاثمائة وتسع دورات تدريبية تطبيقية ومخبرية (٣٠٩ دوره) شارك فيها ستة آلاف وثمانمائة وثلاثة وثمانون مشاركاً (٦٨٨٣ مشارك) من الدول العربية . وقد حاولت الأكاديمية في نشاطها التدريبي المكثف التركيز على المجال التقني في التدريب سواءاً ما يتعلق بالتدريب على التقنيات الحديثة أو باستخدام وسائل التقنية في العملية التدريبية .

وسنتناول في هذا القسم نشاط معهد التدريب في الأكاديمية في هذا المجال موضحين إسهامات الأكاديمية في التدريب التقني ونسبة المشاركين في كل برنامج على النحو التالي :

١ ـ التدريب على التقنية في المجالات الأمنية:

يتولى تصميم وتنفيذ هذه الدورات التدريبية التطبيقية قسم البرامج التدريبيـة في معهد التدريب والذى يقوم بالتنفيذ والإشراف على العديد من الدورات التدريبية المتنوعة على مدار العام . ويمكن تقسيم الدورات التدريبية التطبيقية الذي نفذها المعهد في المجال التقني إلى ستة مجالات هي :

١ / ١ ـ التدريب على التقنية في مجال مكافحة التزييف والتزوير :

نفذ معهد التدريب في الأكاديمية عدداً من الدورات التدريبية المتخصصة في مجال مكافحة التزييف والتزوير سواء داخل مقر الأكاديمية أو خارجها ، وذلك حسب الجدول التالي :

الأعوام	عدد الدورات	عدد المشاركين	الدول المشاركة	مكان الانعقاد
١٩٨٥	٢	٤٤	١٢	مقر الأكاديمية
١٩٨٦	١	٢٧	٧	المانيـــا
١٩٨٧	١	١٦	٨	المانيـــا
١٩٨٩	١	٢٣	٧	باريـــس
المجموع	٥	١١٠		

١/ ٢ ـ التدريب على التقنية في مجال البحث الجنائي:

نفذ معهد التدريب بالأكاديمية عدداً من الدورات التدريبية المتخصصة في مجال البحث الجنائي والبصمات والتصوير الجنائي والتي تسهم في دعم الأدلة الجنائية، ونفذ بعض هذه الدورات في إطار التعاون الدولي مع بعض البلدان المتقدمة وذلك حسب الجدول التالي:

الأعوام	عدد الدورات	عدد المشاركين	الدول المشاركة	مكان الانعقاد
١٩٨٦	١	٤١	٩	مقر الأكاديمية
١٩٨٨	٢	٤+٢	٣+١	المانيـــا + هولندا
١٩٩٠	٢	١٢+١٦	٨	المانيـــا + الرياض
١٩٩٥	١	٢٠	٦	باريـــس
المجموع	٦	٩٥		

١/ ٣ ـ التدريب على التقنية في مجال أمن الاتصالات.

نفذ معهد التدريب بالأكاديمية عدداً من الدورات التدريبية المتخصصة في مجال أمن الاتصالات واستخداماتها في الأعمال الأمنية بمشاركة عدد كبير من المتخصصين في هذا المجال، وذلك على النحو التالي:

الأعوام	عدد الدورات	عدد المشاركين	الدول المشاركة	مكان الانعقاد
١٩٨٩	١	١٢	٥	مقر الأكاديمية
١٩٩٤	١	٣٠	٦	مقر الأكاديمية
١٩٩٥	١	٤٣	١٠	مقر الأكاديمية
١٩٩٦	١	٨٤	١١	مقر الأكاديمية
المجموع	٤	١٦٩		

١/ ٤ ـ التدريب على التقنية في مجال المتفجرات.

نفذ معهد التدريب بالأكاديمية دورتين تدريبيتين في مجال كشف المتفجرات وإبطال مفعولها والتعامل مع آثارها، وذلك وفقاً للجدول التالي:

الأعوام	عدد الدورات	عدد المشاركين	الدول المشاركة	مكان الانعقاد
١٩٨٩	١	٢٩	٦	باريس
١٩٩٧	١	٥٤	١١	مقر الأكاديمية
المجموع	٢	٨٣		

١/ ٥ ـ التدريب على التقنية في مجال الوقاية من الإشعاعات

نفذه معهد التدريب بالأكاديمية دورتين تدريبيتين في مجال الوقاية من الإشعاعات إحداهما في إطار التعاون الدولي وهما:

الأعوام	عدد الدورات	عدد المشاركين	الدول المشاركة	مكان الانعقاد
١٩٨٩	١	١٠	٦	النمسا
١٩٩٧	١	٣٩	١٢	مقر الأكاديمية
المجموع	٢	٤٩		

١/ ٦ ـ التدريب على التقنية في مجال الحاسب الآلي.

نفذ معهد التدريب بالأكاديمية عدداً من الدورات المتخصصة في مجال الحاسب الآلي واستخداماته في مكافحة الجريمة شارك فيها العديد من منسوبي الأجهزة الأمنية في الوطن العربي وذلك على النحو التالي:

الأعوام	عدد الدورات	عدد المشاركين	الدول المشاركة	مكان الانعقاد
١٩٩٤	١	٢٥	٦	مقر الأكاديمية
١٩٩٦	١	٣٣	٨	مقر الأكاديمية
١٩٩٧	١	٥٣	١٠	مقر الأكاديمية
المجموع	٣	١١١		

ويتضح من هذا العرض ان معهد التدريب نفذ ٢٢ دورة تدريبية تركزت حول التدريب على التقنية الأمنية الحديثة في عدة مجالات شارك فيها ستمائه وثلاثة عشر متدرباً (٦١٣ متدرب) من مختلف الدول العربية

وقد احتلت دورات البحث الجنائى المرتبة الأولى بنسبة ٢٧٪ من مجموع هذه الدورات حيث تناولت مجالات البصمات والتصوير الجنائى وبعض المواضيع ذات العلاقه . تليها فى الترتيب دوراب التزييف والتزوير إذ وصلت إلى ٢٣٪ من مجموع دورات التقنية . ثم دورات أمن الاتصالات بنسبة ١٨٪ فدورات الحاسب الآلى ١٤٪ ثم المتفجرات والاشعاعات بنسبة متساوية وصلت إلى ٩٪ من مجموع الدورات التقنيه .

أما نسبة المشاركين فى هذه الدورات فقد كان نصيب الأسد لدورات تقنية الاتصالات ٢٧٪ يليها الحاسب الآلى والتزييف والتزوير ١٨٪ ثم المشاركون فى البحث الجنائى ١٦٪ فمشاركين المتفجرات ١٣٪ وأخيراً المشاركون فى دورات مكافحة التسرب الاشعاعى ٨٪ .

والواقع ان اختلاف درجات المشاركه فى هذه الدورات يعتمد على

احتياج الأجهزة الأمنية العربية لهذا النوع من الدورات إضافة إلى ظروفها التي تختلف من دولة إلى أخرى . وبصفة عامة فالمشاركه في هذه الدورات كانت فعَّالة وقد ازدادت في الآونة الأخيرة بشكل ملحوظ

العدد	مجال التقنية	عدد الدورات	٪	عدد المشاركين	٪
١	التزييف والتزوير	٥	٪٢٣	١١٠	٪١٨
٢	البحث الجنائي	٦	٪٢٧	٩٥	٪١٦
٣	الإتصالات	٤	٪١٨	١٦٩	٪٢٧
٤	المتفجرات	٢	٪٩	٧٩	٪١٣
٥	الإشعاعات	٢	٪٩	٤٩	٪٨
٦	الحاسب الآلي	٣	١٤	١١١	٪١٨
	المجموع	٢٢	٪١٠٠	٦١٣	٪١٠٠

٢ـ التدريب على التقنية في علوم المختبرات الجنائية :

يتولي قسم المختبرات الجنائية في معهد التدريب تصميم وتنفيذ كافة الدورات المخبريه في علوم المختبرات الجنائيه . وقد انشأت الأكاديمية مختبراً جنائياً تم تجهيزه بأحدث التقنيات ويعتبر من أحدث المختبرات الجنائية في الوطن العربي ودعمته بخبرات متخصصة ومتميزة .

ويقوم هذا القسم إلى جانب مهامه الرئيسة بتنفيذ برنامج الأمم المتحدة

في مجال طرق كشف وتحليل المخدرات باللغة العربية للمشاركين الحاصلين على منحة الأمم المتحدة من البلاد العربية . ويسعى قسم المختبرات الجنائية إلى :

١ـ تدريب العاملين بالمختبرات الجنائية العربية ورفع مستوى كفاءتهم العلمية والتقنية .

٢ ـ إجراء البحوث المخبرية في مجال علوم المختبرات الجنائية .

٣ ـ تقديم المشــورة العلمية والفنية في مجالات علوم المختبرات الجنائية للبلاد العربية ويضم قسم المختبـرات الجنائيـة بالأكاديميـة عــدداً من الأجهزة التحليليـة بكل وحداته . مثل أجهزة الفصل الكروموتوغراف Ge&HPLC «سبعة أجهزة » وأجهزة الطيف UV&IR « ستة أجهزة » وأجهزة الاكتروفويسس « ثمانية أجهزة» وجهاز ال PCR جهاز الامتصاص الذري . وجهاز فيديو الطيف المقارن VSC بالإضافة إلى المجاهر المختلفة : المجهر المقارن « أربعة أجهزة » والمجهر المجسم «عشرة أجهزة » . وذلك لتمكين المشاركين في الدورات التدريبية التطبيقية من التطبيق الفعلي على هذه الأجهزة بالقدر الذى يمكن كل مشارك من استخدام الجهاز المعني بالدورة التي يشارك فيها . الأمر الذى جعل من الدورات التطبيقية التي ينفذها قسم المختبرات الجنائية دورات ذات طابع خاص من حيث شروط المشاركة وعدد المشاركين في كل دورة .

كما يوجد بقسم المختبرات الجنائية كذلك الأجهزة التحليلية المتقدمة ذات التقنية المتطورة والتي لاتوجد بأى مختبر جنائي بالبلاد العربية مثل جهاز المجهر الإلكتروني المساح SEM المستخدم في دراسة الآثار الدقيقة وأبحاثها وجهاز كروموتوغرافيا الغاز / مطياف الكتلة GC/MS المستخدم

في تحليل العينات المشتبه فيها في كافة مجالات وحدة الكيمياء الجنائية وأبحاثها وجهاز الالكتروفوريسس العامود الشعيري المستخدم في تحليل العينات البيولوجية لدراسة البصمة الوراثية .D.N.A وأبحاثها . وتتميز هذه الأجهزة بحساسيتها العالية والعناية الفائقة التي يتطلبها تشغيلها وصيانتها علاوة على التكلفة الباهظة لاقتنائها . وقد حرصت الأكاديمية انطلاقاً من دورها في هذا المجال على توفير هذه الأجهزة بقسم المختبرات الجنائية وذلك لتقديم الخدمات التدريبية المخبرية والمساعدات الفنية للمختبرات الجنائية العربية وذلك بتحليل العينات المستعصية على المختبرات العربية وإرسال تقرير واف عن هذه العينات إلى تلك المختبرات .

أما الهدف الأساسي لتوفير هذه الأجهزة فهو استخدامها في تنفيذ الأبحاث التطبيقية الواردة ضمن برنامج عمل الأكاديمية أو الأبحاث الهادفة إلى تطوير الطرق والتقنيات التحليلية أو الأبحاث المشتركة مع المختبرات الجنائية والجامعات ذات الصبغة العالمية والتي تتعاون مع الأكاديمية وذلك ضمن برامج التعاون الدولي[1] .

وقد ساهم قسم المختبرات الجنائية بتقديم العديد من الدورات المخبرية في أحدث تقنيات المختبرات الجنائية . ويمكن تقسيم هذه الدورات المخبرية التقنية في علوم المختبرات الجنائية إلى الآتي :

٢/ ١ ـ التدريب على التقنية في مجال الكيمياء الجنائية:

نظم معهد التدريب بالأكاديمية العديد من الدورات التدريبية المخبرية في مجال علوم الكيمياء الجنائية في المواضيع التالية .

(١) دليل معهد التدريب أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ١٩٩٧ ص ٣٢ ـ ٤١

أ ـ طرق كشف وتحليل المخدرات.

ب ـ التحليل المخبري للأحبار والبويات.

ج ـ تحليل السموم والمخدرات.

د ـ التحليل المخبري لمخلفات البارود والمتفجرات.

هـ ـ التحليل المخبري لآثار الحرائق.

و ـ الكشف الميداني اللوني عن المخدرات.

ز ـ تقنية استخلاص المخدرات من الشعر.

وكانت الدورات كالتالي:

الأعوام	عدد الدورات	عدد المشاركين	الدول المشاركة	مكان الانعقاد
١٩٨٨	١	١٢	٦	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٨٩	٢	٥	٢	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٩٢	٧	٤٢	٨	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٩٣	١٠	٥٠	٥	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٩٤	٨	٢٩	٦	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٩٥	١٠	٥٦	٦	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٩٦	١٠	٦٠	٩	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٩٧	٨	٩٧	١١	مقر الأكاديمية بالرياض
المجموع	٥٦	٣٥١		

٢/ ٢ ـ التدريب على التقنية في مجال الأحياء الجنائية:

نظم معهد التدريب بالأكاديمية العديد من الدورات التدريبية المخبرية في مجال علوم الأحياء الجنائية في المواضيع التالية :

أ ـ تحليل ودراسة الآثار البيولوجية والألياف .

ب ـ تقنية البصمة الوراثية DNA .

وكانت الدورات كالتالي :

٢/ ٣ ـ التدريب على التقنية في مجال الأحياء الجنائية:

نظم معهد التدريب بالأكاديمية العديد من الدورات التدريبية المخبرية في مجال علوم الطبيعيات الجنائية في المواضيع التالية

أ ـ فحص المستندات

ب ـ كشف التزييف والتزوير .

ج ـ الأساليب العلمية الحديثة لمضاهاة الخطوط اليدوية والتوقيعات .

د ـ بطاقات الإئتمان البلاستيكية الممغنطة .

هـ ـ دراسة البصمات .

و ـ التعرف على آثار الأسلحة والآلات

ز ـ مسرح الجريمة .

الأعوام	عدد الدورات	عدد المشاركين	الدول المشاركة	مكان الانعقاد
١٩٨٨	٢	٥	٣	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٨٩	٦	٢٣	٤	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٩٠	٤	٥١	٣	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٩٢	٤	٢٢	٥	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٩٣	٤	٣٧	٥	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٩٤	٦	٢٥	٤	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٩٥	٥	٢١	٦	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٩٦	٤	٣٤	٧	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٩٧	٥	٩٠	١١	مقر الأكاديمية بالرياض
المجموع	٤١	٣٠٨		

٢/ ٤ ـ التدريب على التقنية في مجال التصوير الجنائي:

نظم معهد التدريب بالأكاديمية العديد من الدورات التدريبية المخبرية في مجال التصوير الجنائي، وكانت هذه الدورات على النحو التالي:

الأعوام	عدد الدورات	عدد المشاركين	الدول المشاركة	مكان الانعقاد
١٩٨٨	١	٢	٢	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٨٩	١	٢	٢	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٩٣	١	٢	١	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٩٥	١	٨	٣	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٩٦	١	١٠	٥	مقر الأكاديمية بالرياض
١٩٩٧	١	٣٣	٥	مقر الأكاديمية بالرياض
المجموع	٦	٥٧		

ويتضح من هذا الاستعراض الدور الكبير الذى تقوم به الأكاديمية في مجال تدريب الكوادر الأمنية العربية على أحدث التقنيات في علوم المختبرات الجنائية

نفذت الأكاديمية حتى عام ١٩٩٧ مائة وخمس عشرة دورة (١١٥ دورة) في علوم المختبرات الجنائية شارك فيها سبعمائة وسته وتسعون مشاركاً (٧٩٦ مشارك) من مختلف الدول العربية وقد احتلت دورات الكيمياء الجنائية مرتبة متقدمة من حيث عدد الدورات ٤٩٪ وعدد المشاركين ٤٤٪ تليها في الترتيب دورات الطبيعيات الجنائية ٣٦٪ بمشاركة ٣٩٪ من مجموع المتدربين في دورات المختبرات الجنائية أما دورات الأحياء الجنائية فقد احتلت المرتبة الثالثة من حيث عدد الدورات ١٠٪ وكذا بالسبة لعدد المشاركين فيها ١٠٪ بينما احتلت دورات التصوير الجنائي مرتبة أخيرة سواء ما يتعلق بنسبة الدورات ٥٪ وكذا فيما يتعلق بنسبة المشاركين فيها ٧٪ .

ويلاحظ ان نسبة المشاركة في هذه الدورات ليست عالية إذ بلغ متوسط الحضور في كل دوره حوالي ٧ متدربين وهذا في الحقيقة مرده إلى طبيعة هذه الدورات والشروط العلمية للالتحاق بها . . إضافة إلى قلة العاملين في المختبرات الجنائية في الدول العربية . . وعدم قدرة تلك المختبرات على ابتعاث عدد كبير من منسوبيها لهذه الدورات نظراً للحاجة إليهم . .

وقد أدركت الأكاديمية ذلك . . وكثفت اتصالاتها مع المسئولين في المختبرات الجنائية بالدول العربية وسهلت لهم المشاركة . . ونتج عن ذلك اقبال كبير على هذه الدورات في برنامج عمل ٩٧ إذ سجل هذا البرنامج أعلى معدل للمشاركات كما هو واضح في الجداول .

العدد	مجال التقنية	عدد الدورات	٪	عدد المشاركين	٪
١	الكيمياء الجنائية	٥٦	٤٩٪	٣٥١	٤٤٪
٢	الأحياء الجنائية	١٢	١٠٪	٨٠	١٠٪
٣	الطبيعيات الجنائية	٤١	٣٦٪	٣٠٨	٣٩٪
٤	التصوير الجنائي	٦	٥٪	٥٧	٧٪
	المجموع	١١٥	١٠٠٪	٧٩٦	١٠٠٪

٣ـ التعريف بالتقنية الأمنية الحديثة :

يقوم قسم المعارض الأمنية بمعهد التدريب بالأكاديمية بتنظيم العديد من المعارض الأمنية في مختلف المجالات . وتشارك في هذه المعارض العديد من الشركات المتخصصه في انتاج وتسويق الأجهزة الأمنية ذات العلاقة بكافة التخصصات الأمنية .

وإضافة إلى ذلك فإن هذا القسم يشرف على ثلاثة معارض دائمة في الأكاديمية وهي :

١ـ معرض المخدرات والمؤثرات العقلية ووسائل التهريب والتعاطي .

٢ـ معرض الأسلحة .

٣ـ معرض الأجهزة الأمنية .

وتهدف الأكاديمية من إقامة هذه المعارض إلى اطلاع رجال الأمن المتخصصين على أحدث ما أنتجته الشركات والمصانع من أجهزة ومعدات أمنية والتعرف على كيفية الاستفادة منها في العمل الأمني . إضافة إلى ذلك فإن هذه المعارض تتيح فرصة التلاقي بين المسئولين في الأجهزة الأمنية العربية لتبادل الخبرات ووجهات النظر في مجال التقنيات الأمنية والمواضيع ذات العلاقة .

وقد نظمت الأكاديمية الكثير من المعارض عبر إنجازاتها التدريبية التقنية المتعددة . . كان نصيب المعارض المتخصصة في مجال التقنية الأمنية كبيراً . . وهو مايتضح في الجدول التالي :

عدد وأنواع معارض التقنيات الأمنية التي نظمتها أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية

اسم المعرض	السنة	الشركات المشاركة	جنسية الشركات
١ ـ معرض الأجهزة الأمنية المعدات السلكية واللاسلكية	١١/١/١٤٠١هـ	٤	فرنسا، السعودية، بريطانيا
٢ ـ معرض أجهزة ومعدات الوقاية من الحريق والانقاذ	٣ ٧ ١٤٠١هـ ٦/٥/١٩٨١م	٢	أمريكا
٣ ـ معرض السيارات في خدمة الأمن	٢٢/٤/١٤٠٤هـ ١٤/١/١٩٨٤م	٤	السويد، بريطانيا، أمريكا، السعودية
٤ ـ معرض الأدلة الجنائية	٧ـ٩/١/١٤٠٤هـ	٧	أمريكا، بريطانيا، ألمانيا الغربية، سويسرا
٥ ـ معرض إنتاج نزلاء المؤسسات الإصلاحية في الدول العربية	٣٠/٢٣/٤/١٤٠٥هـ ٢ ٢٤/١٢/١٩٨٤م	٦	الأردن، تونس، سوريا، السودان، الكويت، السعودية
٦ ـ معرض الأجهزة الأمنية	١٤/٨/١٤٠٥هـ ٤/٥/١٩٨٥م	١١	أمريكا، بلجيكا، فرنسا
٧ ـ الثياب الواقية من الرصاص والعازلة للحريق	١٠/٣ ١٤٠٦هـ ٢٦/٤/١٩٨٦م	٦	السعودية، فرنسا، بريطانيا
٨ ـ الأجهزة الكاشفة للطرود والحقائب داخل المطارات	١٧/١/١٤٠٦هـ ٢٦/٤/١٩٨٦م	٨	فلندا، السعودية، بريطانيا، ألمانيا

اسم المعرض	السنة	الشركات المشاركة	جنسية الشركات
٩ ـ معرض حماية بيانات أجهزة الحاسب الآلي	١٤/١١/١٤٠٦هـ	١٠	السعودية
١٠ ـ معرض أجهزة الإنذار المبكر	٢٠/٣/١٤٠٧هـ ٢٢/١١/١٩٨٦م	٦	السويد، السعودية، فرنسا
١١ ـ معرض الأجهزة المرورية	١٠/١١/١٤٠٧هـ ٦/٧/١٩٨٧م	٧	ألمانيا، السعودية، سويسرا، بريطانيا، فنلندا
١٢ ـ معرض الأسلحة الأمنية	٢٣ ٢٤/٤/١٤٠٨هـ	٧	أمريكا، ألمانيا الاتحادية، النمسا، سويسرا، باكستان
١٣ ـ معرض أجهزة الإنقاذ	٣٠/٨/١٤٠٨هـ ٢١/٣/١٩٨٨م	٦	السعودية، تونس، ألمانيا
١٤ ـ معرض الصناعات الألمانية	٣/٥/١٤٠٩هـ	١٠	ألمانيا
١٥ ـ معرض الأجهزة الأمنية	٢٦/٢/١٤٠٩هـ	٣٦	النمسا، ألمانيا، أمريكا، كندا، بريطانيا، سويسرا
١٦ ـ معرض أجهزة المختبرات الجنائية	٨ ـ ١٠/٤/١٤١٠هـ ٦ ـ ٨/٩/١٩٨٩م	١٢	السعودية، أمريكا، استراليا، سويسرا، اليابان، ألمانيا، بريطانيا

اسم المعرض	السنة	الشركات المشاركة	جنسية الشركات
١٧ ـ معرض أجهزة الاتصالات	١٣ـ١٥/ ٥/ ١٤١٠هـ	١٤	المانيا، فرنسا، اليابان، أمريكا، سويسرا، الدانمارك، الصين الوطنية، ايطاليا
١٨ ـ معرض التقنيات الأمنية الأول	١٦ـ١٨/ ٥/ ١٤١١هـ ٣ـ٥/ ١٢/ ١٩٩٠م	١٤	السعودية، المانيا، سويسرا، بريطانيا، اليابان، فنلده، النرويج، استراليا، السويد
١٩ ـ معرض الأجهزة الأمنية	٢٠ـ٢٢/ ٦/ ١٤١٣هـ	٧	أمريكا، ألمانيا، فنلدا، السعودية
٢٠ ـ معرض الأجهزة الأمني السادس	٢٣/ ٦/ ١٤١٤هـ ٤ـ٦/ ١٢/ ١٩٩٣م	١٦	السعودية، سويسرا، النمسا، استراليا، أمريكا، هولندا، المانيا، روسيا
٢١ ـ معرض أجهزة الإنذار ضد السرقة والحريق والعبث بالمنشآت العامة	١٨ـ٢٠/ ١/ ١٤١٥هـ ٢٧ـ٢٩/ ٧/ ١٩٩٤م	١٠	السعودية
٢٢ ـ معرض الأجهزة الأمنية السابع	١٠ـ١٢/ ٧/ ١٤١٥هـ ١٢ـ١٤/ ١٢/ ١٩٩٤م	١٠	المانيا، السعودية، أمريكا، استراليا

اسم المعرض	السـنة	الشركات المشاركة	جنسية الشركات
٢٣ ـ معرض الأجهزة الأمنية	١٩٩٥م	١٦	أمريكا، بريطانيا، فنلدا، السويد، سويسرا، المانيا
٢٤ ـ معرض الأجهزة الأمنية	١٩٩٦م	١١	بريطانيا، أمريكا، السويد، المانيا، روسيا
٢٥ ـ معرض الأجهزة الأمنية	١٩٩٧م	٨	بريطانيا، أمريكا، السويد، المانيا

ويتضح من هذا الجدول أن الأكاديمية نظمت حتى عام ١٩٩٧ خمسة وعشرين معرضاً متخصصاً في مجال التقنيات الأمنية في مختلف التخصصات . وقد شارك في هذه المعارض شركات عربية وعالمية كبيره ساهمت في انجاح هذه المعارض واستقطاب أكبر عدد من رجال الأمن في الوطن العربي لزيارتها والاطلاع على أحدث معروضاتها .

٤ـ استخدام التقنية في التدريب :

يقوم قسم التقنيات التعليمية بمعهد التدريب بالأكاديمية بتقديم كافة المساعدات التعليمية لأغراض التعليم والتدريب إضافة إلى توثيق كافة أنشطة الأكاديمية العلمية بالتسجيل الصوتي والتصوير الفوتوغرافي التلفزيونى . وإلى جانب ذلك فقد قام هذا القسم بانتاج عدد من وسائل التدريب وبعض حلقات التوعية الأمنية وفيما يلي استعرض موجز لبعض منها :

١ ـ انتاج أشرطة توعوية في مجال :

أ ـ الوقاية من الجريمة والسلامه العامة ١٥ حلقه .

ب ـ اضرار المخدرات ١٣ حلقه .

٢ ـ فيلم حول التدريب العملي في الدورة التدريبية تنمية مهارات مراقب محطات التحلية .

٣ ـ فيلم حول التدريب على فاعلية التعليم والتعلم الذاتي .

٤ ـ فيلم حول التدريب على مكافحة جرائم تزييف العملة وتزوير المحررات .

٥ ـ البرنامج التدريبي التلفزيونى على الاسلحة الكيميائية (خمس حلقات) انتاج الأكاديمية مع بعض الخبراء بجمهورية مصر العربية

٦ ـ فيلم حول البرنامج التدريبي التطبيقي في مجال التزييف والتزوير أساليب تزوير المستندات والوسائل العلمية المستخدمة في كشفها .

٧ ـ برنامج تلفزيوني تدريبي . الحماية المدنية . إعدأد وتقديم الأستاذ الزائر الانجليزي مايكل هدسون (اربع حلقات عن، إدارة الكارثة، الاعلام خلال الكارثة) باللغة الانجليزية

٨ ـ شريط تدريبي عن « D . N . A » .

٩ ـ الشريط التدريبي مضاهاة الخطوط اليدوية والتوقيعات .

١٠ ـ فيلم حول مسرح الجريمة والأدلة الجنائية .

١١ ـ التعليم المبرمج والتدريب بالحاسوب .

١٢ ـ فيلم حول مسرح الجريمة .

١٣ ـ المحاضرة التدريبية . . اعادة تخطيط الحوأدث المرورية بواسطة برنامج بي . سي . كواش «نظام وندوز» .

١٤ ـ حالة تدريبية . . عن تمثيل الأدوار في مصنع السكر .

١٥ ـ حالة تدريبية . . حول قضية مرورية

ويستفيد معهد الدراسات العليا ومعهد التدريب من هذه التقنيات في التعليم والتدريب كما يقوم هذا القسم بتوزيع هذه التقنيات ـ كمساعدات للتدريب ـ على جميع كليات ومعاهد ومراكز التدريب في الوطن العربي وذلك للاستفادة منها في العملية التدريبية أو التعليمية .

خامساً : النتائج والتوصيات :

خلصت هذه الورقة العلمية إلى ابراز وتبويب الدور النشط لأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية كجهاز علمي لمجلس وزراء الداخلية العرب وذلك في مجال التدريب على التقنية الحديثه واتضح من خلال استعراض الأنشطة التدريبية للأكاديمية ان التقنية الحديثه قد حظيت اهتماماً بالغاً في برامج الأكاديمية . ومما يجدر التنبيه الية ان الأكاديمية قد نفذت وعبر تاريخها الممتد لحوإلى عشرين عاماً العديد من الدورات التدريبيه والمخبريه بلغت ثلاثمائه وتسع دورات (٣٠٩دوره) حتى نهاية عام ١٩٩٧ وشارك في هذه البرامج التدريبية سته آلاف وثمانمائه وثلاثه وثمانون مشاركاً (٦٨٨٣مشارك) من مختلف الدول العربية . وقد غطت هذه الدورات كافة الموضوعات والمجالات الأمنية المختلفة . . عقد بعضها في مقر الأكاديمية بالرياض . . بينما تم تنفيذ البعض الآخر في بعض الدول العربية أو الدول الأجنبية . وضمن هذه الدورات المختلفة أوضحت الورقة بأن مجموع الدورات التقنية التي نفذتها الأكاديمية قد بلغت مائه وسبع وثلاثين دورة (١٣٧دورة) في عشرة مجالات هي :

١ ـ التزييف والتزوير

٢ ـ البحث الجنائي

٣ـ أمن الاتصالات .

٤ ـ المتفجرات .

٥ ـ الإشعاعات .

٦ ـ الحاسب الألي .

٧ـ الكيمياء الجنائية .

٨ ـ الأحياء الجنائية .

٩ ـ الطبيعيات الجنائية .

١٠ ـ التصوير الجنائي .

مما يشكل نسبة بلغت ٤٤٪ من مجموع الدورات التي نفذتها الأكاديمية وهذا يعطى دلالة كبيرةعلى الأهمية التي أولتها الأكاديمية لتدريب منسوبي الأمن على التقنية الحديثة .

أما ما يتعلق بعدد المشاركين في هذه الدورات التقنية فقد وصل إلى ألف وأربعمائة وتسعة مشاركين (١٤٠٩ مشاركين) مما يشكل نسبة ٢١٪ من مجموع المشاركين في دورات الأكاديمية .

وتجدر الاشاره إلى أن أعداد المشاركين في الدورات التقنيه خصوصاً الدورات المخبرية محدودة بعض الشيء وذلك لقلة العاملين في المجالات التقنية في الأجهزة الأمنية العربية . وبالتالي عدم ترشيح عدد كبير لحضور هذه الدورات . . لعدم القدرة على الاستغناء عن خدمات أولئك المتخصصين من قبل مراجعهم فترة الدورة .

يضاف إلى ذلك فإن الأكاديمية غالباً ماتحدد شروط علمية دقيقة للالتحاق بهذه الدورات المتخصصة . . والتي في الواقع لا تستوعب أعداداً كبيره نظراً للمواد والأجهزة التي يتم التطبيق عليها .

ومع ذلك فقد حاولت الأكاديمية زيادة قدرتها الاستعابية بما يتعلق بالأجهزة الأمنية للالتحاق بهذه الدورات المتخصصة . ونتج عن ذلك مشاركة فعالة خلال برنامج عمل ١٩٩٧م لم يسبق لها مثيل مقارنة بالأعوام السابقة .

وأسفرت الدراسة أيضاً عن دور الأكاديمية الملحوظ في مجال التعريف والتقنية الحديثة عن طريق معارض الأجهزة الأمنية و التقنية الحديثة التي نظمتها الأكاديمية والتي بلغت حتى عام ١٩٩٧م خمسة وعشرين معرضاً أمنياً متخصصاً . أيضاً فقد أبرزت الورقة دور الأكاديمية في مجال إنتاج الوسائل والتقنيات التدريبية .

أخيراً : توصي هذه الدراسة بضرورة استمرار الأكاديمية بتدريب منسوبي الأمن على أحدث التقنيات ، فالعالم من حولنا يتطور بسرعة مذهلة . . وتستفيد الجريمة كثيراً من التطور التقني في الوصول إلى مآربها . . ولذلك فلاغرو أن نشاهد جرائم معاصرة تم ارتكابها بطرق ووسائل حديثة جداً وباستخدام أساليب لم تكن معروفة من قبل . وتطور الجريمة لابد ان يسبقه تطور في مكافحتها وباستخدام أحدث التقنيات العلمية لاكتشافها ودك حصونها .

لذلك فإن الأكاديمية كجهاز علمي لمجلس وزراء الداخلية العرب ومن خلال خططها الطموحة يفترض منها التركيز على المحاور التالية :

١ـ زيادة طاقتها الاستيعابية في مجال التدريب التقني وما يتطلبه ذلك من إنشاء معامل حديثة للحاسبات الآلية وبناء ميادين للتطبيق العملي تسمح باستخدام أرقى التقنيات في التدريب .

٢ـ الاستمرار بدعم قسم المختبرات الجنائية وتزويده بأحدث التقنيات للتدريب على كافة علوم المختبرات الجنائية وبحيث يصبح هذا القسم أنموذجا للمعامل الجنائية العربية . . مع ضرورة توثيق عرى التعاون بين هذا القسم ومختبرات العلوم الجنائية المتقدمة في العالم للاستفاده من التجارب والأبحاث والمستجدات في هذا الحقل الهام .

٣ـ ضرورة قيام الأكاديمية بتنظيم دورات تدريبية في موضوع التدريب الذاتي وهو « تعليم الفرد كيف يتعلم » إذا ان هذا الاتجاه يتواكب وعصرنا الحاضر الذى يقذف كل يوم بجديد ويحتاج معه الفرد إلى تطوير قدراته التعليمية لكي يستفيد من هذه المستجدات ويوظفها في مجال عمله .

٤ـ قد يكون من الضروري قيام معهد التدريب بالأكاديمية بتصميم برامج تدريبية « في المواقع » بحيث يقوم الفريق التدريبي تنفيذ برنامجه التدريبي في مكان العمل وذلك للتمكن من التدريب على الأجهزة الحديثة التي تملكها الإدارة . . وبالتالي تقتصد الأكاديمية في كلفة التدريب . . وتستفيد الجهات أيضاً من بقاء منسوبيها المتدربين في مواقعهم . . وعدم تحمل تكاليف إضافية من جراء السفر والانقطاع عن العمل .

٥ـ يفترض من الأكاديمية متابعة التطورات الحديثة في مجال التقنيات الأمنية ومحاولة التعريف بها للإدارات الأمنية في الوطن العربي . وتصميم دورات متخصصة للتدريب على كل ما هو جديد .

٦ـ يفترض من الأكاديميه الاستفاده من التقنيات التدريبية الحديثة في برامجها التدريبية وذلك لتدعيم تنفيذ البرامج وأيضاً لتعريف المتدربين بها وبالتالي تعميم الاستفادة منها في المعاهد الأمنية العربية المتخصصة .

المراجــــع

المراجع العربية:

١ ـ الجبالي . سعد أحمد . اشكالية التدريب الأمني في الوطن العربي . ورقة عمل مقدمه إلى الاجتماع الخامس للمسئولين عن التدريب في الأجهزة الأمنية العربية والذي ونظميه أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية برأس الخيمة بدولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة ١٥ ـ ١٧ ديسمبر ١٩٩٧م .

٢ ـ النظام الأساسي لأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ١٤١٨هـ .

٣ـ عساف ، محمود . أصول الإدارة . دار الناشر العربي . القاهرة ١٩٧٥ .

٤ ـ قنديل ، محمد ماهر . المدرب والمتدرب وتقنيات عصر المعلومات . ورقة علمية مقدمه إلى ندوة المدرب والمتدرب . الإدارة العامة لشرطة أبوظبي . الإمارات العربية المتحدة . يناير ١٩٩٦م .

٥ ـ نطفي ، علي . مستقبل التكنولوجيا في الوطن العربي . في كتاب إدارة القرن الحادي والعشرين . الدكتور سعيد يس عامر . مركز وابد سيرفس للاستشارات والتطوير الإداري . القاهرة ١٩٩٧م .

٦ ـ دليل أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ١٤١٥هـ .

٧ ـ دليل أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ١٤١٨هـ .

٨ ـ دليل معهد التدريب . أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ١٩٩٧م .

٩ـ ياغي ، محمد عبدالفتاح . مبادئ الإدارة العامة ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ١٤٠٣هـ .

المراجع الأجنبية

1 - Klinger. Donald E. and John Nalbandian. Public Personnel Management : Contexts and Strategies Prentice ' Hall inc Englewood Cliffs N.J. U.S.A.1985
2 - Nadler . Leonard , Corprate Human Resources Development. Van Nostrand Reinhold co New York 1980.

□ مراجعات الكتب

عرض كتاب: «الجنون والجريمة والإرهاب»

تأليف: د. عبدالرحمن محمد العيسوي(*)

عرض: د. محمد فاروق عبدالحميد كامل(**)

نبذة تعريف:

صدر هذا المؤلف عن الدار الجامعية اللبنانية عام ١٩٩٤م تحت عنوان «الجنون والجريمة والإرهاب» وقد شدني العنوان لأنه يجمع بين أحد موانع المسؤولية الجنائية وهو الجنون وبين الجريمة بصفة عامة والجريمة الإرهابية منها بصفة خاصة، وهو موضوع يحتاج تناوله إلى خبرة متخصصة في كل من مجالي الطب العقلي والنفسي من ناحية ومجال العلوم الجنائية من ناحية أخرى بالصورة التي تمكن المؤلف من إيضاح الصلة بين الأبعاد الثلاثة التي يضمها عنوان الكتاب.

ويعتبر الدكتور عبدالرحمن محمد العيسوي أحد المتخصصين البارزين في كتابات علم النفس وهو الموضوع الذي يعد التخصص العلمي الدقيق له حيث تغزر كتاباته وبحوثه العلمية في هذا المجال، ومن ثم فإنه يملك ناصية الحديث عن الأمراض النفسية، وما اتصل منها بالأمراض العقلية بصفة خاصة، والجديد في هذا الكتاب أن المؤلف يمد نطاق بحثه ليربط ـ

(*) أستاذ ورئيس قسم النفس بكلية الآداب جامعة الاسكندرية وجامعة بيروت العربية.

(**) عضو الهيئة العلمية بقسم العلوم الشرطية ـ معهد الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

كما سبق أن قدمنا ـ بين تخصصه في علم النفس والأمراض العقلية والنفسية وبين السلوك الإنساني المنحرف إلى الجريمة محاولاً تلمس العلاقة بينها كوسيلة أساسية لكشف العوامل والأسباب التي تؤدي إلى الإصابة بها، ومدى تأثير وتأثر كل منهما بالآخر، مما يعطي الفرصة لتعاون وتكامل جهود العاملين في كل من حقل الطب النفسي والعقلي وحقل مكافحة الجريمة وبما يساعد على تفعيل الدور العلاجي والوقائي لهذه الجهود.

ولاشك في أن الكتاب يقدم للمكتبة الأمنية تحليلاً علمياً دقيقاً لأنواع الأمراض العقلية والنفسية والفروق القائمة بينها وعوامل تشخيصها والتعرف على أسبابها وطرق علاجها، ويحاول الكتاب من هذا الطريق أن يكشف الصلة بين هذه الأمراض العقلية والنفسية والسلوك الإجرامي بصفة عامة حيث ينتهي إلى إثبات أن كلاً من الأمراض العقلية والنفسية والسلوك الإجرامي تكاد تصدر عن أسباب وعوامل مشتركة الأمر الذي يقود إلى تأكيد تكامل وتفاعل جهود الوقاية والعلاج لكل من الجنون والجريمة رغم تنافرها الظاهري الذي يتبلور في أن إثبات الجنون ينفي بالتبعية المسئولية الجنائية عن مرتكب الجريمة.

وفيما يلي نتناول عرضاً لهذا الكتاب من خلال فقرتين نتناول فيها استعراضاً للأفكار الرئيسة التي تضمنتها فصول الكتاب وما اتصل بها من تحليلات وما انتهى إليه المؤلف من نتائج بشأنها (فقرة أولاً) ونختم عرضنا بتعليق انتقادي للكتاب (فقرة ثانياً) وذلك كله على التفصيل التالي:

أولاً: عرض الأفكار الرئيسة الواردة لفصول الكتاب:

قسم الكتاب إلى تسعة فصول تتدرج في مضمونها بدءاً من تمهيد يلفت

الأنظار إلى تفشي ظاهرة الجريمة وارتباطها بظاهرة الإدمان، ومروراً بتعريف المفاهيم والمصطلحات الفنية في مجال الجريمة والاضطرابات العقلية والنفسية والسلوكية. ثم توضيحاً للصلة بين الجريمة والجنون والشذوذ والانحرافات الاجتماعية والنفسية والفصام، ودراسة لدور الطب العقلي الشرعي في إثبات أو نفي المسئولية الجنائية، واستعراضاً للمناهج المطبقة للعلاج النفسي والسلوكي للمنحرفين، وانتهاءً بدارسة ميدانية حول استبصار الشباب للإرهاب.

ففي الفصل الأول: يتناول الكتاب بالتوضيح أسباب الانتشار المعاصر للجريمة وتغير أنماطها ويرجعها منذ البداية إلى أسباب مشتركة مع تلك التي تقود للمرض العقلي أو الجنون، حيث تنتهي هذه الأسباب المشتركة بالشخص الذي تتعرض لها إلى أحد الأشكال المرضية العقلية أو النفسية، وقد تنتهي به السلوك المنحرف إلى الجريمة، وذلك حسب ما يحتاج نفس هذا الشخص من عوامل نفسية وتربوية وصحية ووراثية مختلفة، الأمر الذي يشير إلى تعدد الأسباب والعوامل المؤدية لكل من الاضطراب العقلي النفسي والجريمة. ويبلور المؤلف أهم هذه الأسباب في البعد عن روح الدين الإسلامي السمح، والتفكك الأسري، وبطء المحاكمات القضائية بالإضافة إلى تفشي ظاهرة الإدمان على المخدرات والمسكرات وغيرها مس الموبقات، فضلاً عن تعقد مشكلة البطالة، وينتهي من استعراضه لهذه الأسباب إلى ضرورة تفعيل دور الأجهزة الأمنية وتضافر جهود الأجهزة السياسية والاجتماعية والقضائية والاقتصادية مع جهود مرفق الأمن في هذا المجال، وضرورة الاعتماد على الأساليب العلمية الحديثة في عمليات مكافحة الجريمة بصفة عامة والإرهاب بصفة خاصة.

وفي الفصل الثاني من الكتاب يقدم المؤلف تحديداً للمصطلحات الفنية المرتبطة بموضوع البحث، ففي مجال الأمراض العقلية والتي تعرّف اصطلاحاً بالذهان العقلي والذي يوصف بأنه حالة عقلية انفعالية تؤثر في سلوك الشخص فتعوقه عن ممارسة حياة سوية في المجتمع الذي يعيش فيه، وهو يختلف شدة وضعفاً، وقد يؤدي إلى ارتكاب جرائم القتل والانتحار، وتعدد أنواع المرض العقلي فهناك الذهان العقلي العضوي الذي يرجع أساساً إلى مرض عضوي، والذهان الوظيفي وهو اضطراب عقلي لا يرجع إلى أسباب عضوية ومن أهم صوره الفصام وذهان الهوس والاكتئاب الذهاني. وذهان المخدرات والمسكرات. ومن الأمراض ذات الصلة بالجريمة يبرز مرض ذهان الهوس حيث ينتاب المصاب به مرح وزهو زائد وكثرة الحركة والصياح وتشتت الأفكار وسرعة التهيج والغضب، ومن أعراضه العضوية سرعة النبض وارتفاع ضغط الدم والأرق وفقد الشهية للطعام، وهو على عدة وأنواع منها هوس الاكتئاب، وهوس السرقة وهوس الحريق وهوس التطرف الديني والهوس الجنسي وهوس الكذب وهوس القتل وهوس المخدرات وجميعها أنواع من الأمراض العقلية شديدة الصلة بارتكاب أنواع الجرائم المتصلة بها.

وتتميز الأمراض العقلية (الذهانات) بتنويعها السابق عن طائفة أخرى من الأمراض العصابية النفسية والتي ترجع بالدرجة الأولى إلى دوافع وعقد نفسية ويتميز المرض فيها أن المريض لا يعاني من تدهور في حياته ووظائفه العقلية ويعايش الحياة الواقعية في مجتمعه، بينما نجد أن الذهان العقلي يتميز بأعراض أكثر شدة وعنفاً وبعداً عن الحياة العقلية السوية البعيدة عن الاتصال بالواقع الحياتي والرغبة في الانطواء على النفس، ورغم هذا التميز

فإن الأمراض العصابية النفسية كثيراً ما تتداخل في أعراضها مع أعراض الأمراض العقلية بحيث يصعب في كثير من الأحيان التمييز بينها. وتعتبر الأمراض العصابية مصدراً هاماً لكثير من صور السلوك المنحرف إلى الجريمة وأن قل في خطورته عن الأمراض الذهانية العقلية، ويرتبط بالمرض العصابي النفسي نشوء ما يعرف بالشخصية السيكوباتية والتي تتسم بعدم النضوج الانفعالي وضعف بناء الشخصية بسبب عوامل تربوية وأسرية مختلفة الأمر الذي يؤدي إلى افتقاد الطابع الأخلاقي وضعف الإحساس بالمسئولية تجاه المعايير الاجتماعية وجميعها عوامل قد تؤدي إلى انحراف السلوك إلى الجريمة.

ويختتم المؤلف هذا الفصل بتناول تحديد المصطلحات الفنية المتصلة بالجريمة والمجرم وتحديداً لبعض أنواع الجرائم مثل الجريمة المنظمة والإرهاب والتطرف، وفي مجال تعريف الإرهاب يبرز المؤلف أن الشخص الإرهابي مختل من الناحية النفسية يفتقد احترام القانون ويتميز بالأنانية وحب الظهور والشعور بالنقص الداخلي وهي مجموعة العوامل التي تبنى عليها الشخصية الإرهابية، كما يبرز في مجال التطرف أن المتطرف يتسم بجمود الفكر وتصلب الرأي وحدة المزاج وضيق الأفق والبعد عن الواقع والواقعية والانعزال وعدم الإيمان بالمنطق العلمي فضلاً عن شخصية متسلطة يشوبها إرادة فرض السيطرة على الآخرين وفرض آرائه عليهم بالقوة والعنف، إلى جوار ذلك يعطي المؤلف تعريفاً لكل من علم النفس الإجرامي وعلم الجريمة ويبرز في هذا المجال التحول المعاصر لعلم الإجرام والذي أدخلت بمقتضاه العوامل السيكولوجية كدوافع للجريمة الأمر الذي يؤكد الصلة الوثيقة التي تربطه بعلم النفس الجنائي باعتباره علماً يهتم بدراسة نظريات

تفسير السلوك الإجرامي وسمات الشخصية الإجرامية والنزعات السيكوباتية.

وفي الفصل الثالث يركز المؤلف على إثبات الصلة بين الجريمة والجنون ويذكر في هذا المجال أن كلا من الجريمة والجنون عبارة عن سلوك شاذ يخرج عن نطاق السلوك السوي العادي، وكلاهما يحتاج فيه المجرم والمريض لأساليب علاجية أكثر منها عقابية، وتتأكد الصلة بين الجريمة والجنون أن المجرم قبل أن يقدم على ارتكاب جريمته ينتابه نوع من الإحباط أو الفشل مقروناً بالكثير من الدوافع النفسية والعصبية تبعده عن أن يكون شخصاً سوياً من الناحية الصحية والعقلية أي أنه يصاب بقدر من الاختلال العقلي والنفسي يقل أو يكثر حسب ما يتعرض له هذا الشخص من ضغوط.

ويضيف المؤلف في هذا المجال أن مدرسة التحليل النفسي أثبتت أن الجريمة لا تخرج عن كونها حيلة دفاعية يلجأ إليها الشخص تخلصاً من صراع نفسي أو أزمة داخلية، وبالتالي فإن الجريمة كثيراً ما تكون أحد نواتج الأمراض الذهانية أو العصابية. ويؤكد المعنى السابق ما أثبتته الدراسات من الأثر الفاعل للعوامل النفسية في جرائم النساء، ومن الارتباط الوثيق بين ادمان المخدرات والمسكرات، وما يصاب به المدمن من اضطرابات الاكتئاب والهستريا والفصام وغيرها من الأمراض العقلية، بالإضافة إلى ما ثبت من أن الجرائم الجنسية ترتكب عادة لاشباع أنواع من الانحرافات الجنسية وهي أمراض نفسية غالباً. إلى جوار ما ثبت من أن هناك صلة وثيقة بين بعض الأمراض العقلية والنفسية وارتكاب جرائم الانتحار.

وفي الفصل الرابع من الكتاب يبرز المؤلف الفرق بين الشخصية السيكوباتية التي يصدر عنها السلوكيات المضادة للمجتمع بسبب عوامل

نفسية داخلية، وبين الشخصية السسيوباتية وهي شخصية مضادة للمجتمع أيضاً إلا أنها تنشأ بسبب عوامل اجتماعية وبيئية، ويكمن الفرق بين الشخصيتين في اختلاف سبل العلاج في كل منها، ويضيف المؤلف في هذا المجال إلى الانتشار المتزايد للشخصية السسيوباتية في مجتمعنا العربي حيث أضحت تصيب جميع الأعمار والفئات الاجتماعية المختلفة وتلقي بسلبياتها المختلفة في انتشار التسبيب الخلقي وعدم الشعور بالذنب المرتكب وتبلد مشاعر لوم الذات وتأنيبها إزاء العديد من مظاهر الكذب والمداهنة والنفاق وعدم الوفاء بالعهود وتفشي جرائم السرقة والرشوة وغيرها. ويرجع المؤلف ذلك كله إلى سبب محوري يتبلور في البعد عن حظيرة الدين الإسلامي الحنيف، وقصور التنشئة الاجتماعية والأسرية للأفراد، ويفرق المؤلف في هذا المجال بين الشخصية السسيوباتية والشخصية الإجرامية، حيث أن القانون لا يجرم الكثير من السلوكيات السسيوباتية المعيبة كالكذب والنفاق والرياء، ومن ثم فإنه ليس كل شخصية سسيوباتية شخصية إجرامية، ولكنه يضيف أن المشاعر المضادة للمجتمع التي تتوافر في الشخصية السسيوباتية كثيراً ما تكون مصدراً من مصادر الإجرام المعاقب عليه.

وينتهي المؤلف من هذا العرض إلى ضرورة وأهمية العلاج النفسي للشخصية السسيوباتية التي تلاحظ لدى طائفة الأحداث لمنع تطورها إلى ارتكاب الجريمة، خاصة وأن العلم كشف عن العديد من الوسائل التقنية التي تمكن من اكتشاف الشخصية السسيوباتية عن طريق دراسة لنشاط الجهاز العصبي المركزي بالإضافة إلى دراسة الموجات العصبية التي يطلقها المخ والتي ثبت شذوذها في الشخصيات السسيوباتية بسبب تميزها ببطيء في التردد غير معهود في الأشخاص العاديين وأمكن علاج هذا الشذوذ بما يعيد

هذه الموجات إلى مستوى التردد العادي، هذا بالإضافة إلى أهمية العلاج السلوكي لهذه الشخصيات والذي يعتمد على أساليب التعليم الشرطي والتعليم بالاستبصار إلى جوار واستخدام أساليب الإيحاء والاسترخاء كوسائل علاج نفسي تستخدم بفاعلية في علاج الشخصية السسيوباتية. مع ضرورة الاهتمام بأساليب الرعاية اللاحقة للمجرمين ذوي الشخصية السسيوباتية بعد الإفراج عنهم من السجون.

وقد خصص الفصل الخامس من الدراسة للتعريف بدور الطب العقلي الشرعي في تحديد المسئولية الجنائية قبل من يدعي الجنون من الجناة، حيث يقع على عاتق الجهاز المسئولية الأساسية في تقرير جنون الجاني المحال إليه بقرار من سلطة التحقيق القضائي، ومن ثم إعفاؤه من المسئولية الجنائية وايداعه بمستشفى للأمراض العقلية للعلاج، أو تقرير سلامة قواه العقلية ويعيده لمتابعة إجراءات محاكمته.

ويفرق المؤلف في عرضه لهذا الموضوع بين المسئولية الجنائية والمسؤولية العقلية، ويقرر أن الطبيب العقلي الشرعي بحكم تخصيصه في الأمراض العلقية يستطيع من خلال فحص الشخص أن يقرر مدى تمكنه من السيطرة العقلية على تصرفاته ساعة ارتكابه للجريمة ومن ثم يبنى تقديره على توافر مسئوليته العقلية كشخص وهي المسئولية التي يبنى عليها بعد ذلك توافر مسئوليته الجنائية أو انعدامها بالصورة التي يتحقق بها جوانب العدالة.

ويدق عمل الطبيب العقلي الشرعي في مجال تحديده للمسئولية العقلية للجاني عندما يصطدم بحثه بضرورة التفرقة بين المرض العقلي وهو الجنون المعفى من المسئولية الجنائية، وبين مجرد الضعف العقلي الذي يفضي إلى بعض مظاهر الاضطراب السلوكي للشخص والتي لا تصل إلى درجة الجنون حيث لا تنتفي المسئولية الجنائية عن مثل هذا الشخص.

وفي سبيل حل الصعوبة السابقة التي تتداخل فيها عوامل المرض العقلي مع عوامل الضعف العقلي صاغ القضاء معياراً محدداً للجنون كمرض عقلي يعفى من المسئولية بيتبلور في أنه «لكي تقيم دفعاً تأسيساً على توافر عامل الجنون يجب أن نبرهن بكل وضوح أنه في وقت ارتكاب الفعل الإجرامي كان المتهم يعمل تحت تأثير سبب من أسباب الضعف من المرض العقلي يجعله لا يعرف طبيعة هذا العمل أو كيفية الفعل الذي يقوم به أو إذا كان يعرف طبيعة هذا العمل فإنه لم يكن يعرف أنه كان يعمل الخطأ» وبتعبير آخر فإن المرض العقلي حتى يعفى من المسئولية الجنائية يجب أن يساعد أو يسهم في عدم قدرة الشخص على مقاومة ارتكابه للجريمة. وقد استقر القضاء بعد تطوير متوالي للقاعدة السابقة على أن المرض العقلي الجنوني الذي يدفع المسئولية الجنائية هو الجنون الذي يثبته خبراء الطب العقلي الشرعي بعد استخدام الاختبارات والقياسات العلمية الدقيقة والتي تثبت أن المتهم كان واقعاً تحت ظروف عقلية تمنعه من ضبط سلوك نفسه أو التحكم والسيطرة عليه بحيث تشكل هذه الظروف العقابية في مجملها دافعاً قهرياً لا يقاوم يجبر صاحبه على ارتكاب الجريمة.

وتناول المؤلف في الفصل السادس من الكتاب بحث الصلة بين كل من ذهان الفصام والإدمان والجريمة. وقد عرف ذهان الفصام بأنه حالة من الفصام العقلي يتميز المصاب به بالبلادة والانسحاب من الحياة الاجتماعية العادية وهو مرض لا يعزى إلى أسباب عضوية في الجسم أو المخ حيث يرجع أساساً إلى اضطرابات تطرأ على الوظائف العقلية تؤدي إلى إصابة الشخص بالهلاوس والأفكار الزائفة والهذيان والبعد عن الواقع وفقدان التحكم في دوافعه وانفعالاته وقدرته على مقاومة غرائزه، وتؤدي هذه

الأعراض في جملتها إلى انحراف سلوك من يصاب بالمرض في كثير من الأحيان إلى الجريمة.

وفي مجال ارتباط الإدمان بارتكاب الجريمة يؤكد المؤلف وجود علاقة ارتباطية قوية بين الادمان بكافة صوره سواء المسكرات أو المخدرات واقدام من يصاب به على الجريمة بسبب رغبته في زيادة موارده المالية ليغطي نفقات الادمان، هذا إلى جوار ما يؤدي إليه الادمان من تأثير مباشر على القدرات العقلية للشخص مما يفقده القدرة على التحكم في سلوكياته وقد يجرفها إلى ارتكاب الجرائم.

ويؤكد المؤلف الصلة بين كل من الفصام والإدمان والجريمة من خلال أنها في مجملها تعبر عن سلوكيات شاذة وتكاد تتفق في المسببات التي تقود إليها، فضلاً عن أن علاقة السببية بينها هي علاقة دائرية حيث يقود كل منها إلى الآخر ويزيد من حدته.

وفي الفصل السابع من الكتاب يبرز المؤلف ارتباط الجريمة بمجموعة من العوامل النفسية الشعورية واللاشعورية حيث يشير إلى ما أثبتته الدراسات من إصابة نسبة كبيرة من جناح الأحداث بأمراض نفسيه وجسمية، وقد اتجهت مدارس التحليل النفسي إلى غلبة ارتباط الجريمة بالأمراض النفسية والتي يتبلور معظمها في التوتر النفسي الذي يجتاح الفرد بسبب عدم قدرته على إشباع غرائزه بطرق مشروعة الأمر الذي يؤدي إلى حدوث خلل في «أناته» النفسية حيث تتغلب «الأنا الدنيا» عنده على دفاعات «أناته الوسطى والعليا» فيصدر السلوك المنحرف إلى الجريمة، وفي ضوء ذلك تنادي مدارس التحليل النفسي إلى ضرورة أخد العوامل النفسية الشعورية أو اللاشعورية في الاعتبار عند تقدير القاضي للعقوبة المحكوم

بها حيث تتعدد العوامل المفسرة لارتكاب الجريمة وقد صاغها المؤلف في صورة معادلة كمايلي:

$$\text{الجريمة} = \frac{\text{العوامل الوراثية} \times \text{العوامل البيئية} \times \text{الزمن}}{\text{مقدار مقاومة الفرد أو قدرته على الاحتمال}}$$

وهي معادلة تكشف عن مدى صعوبة تحديد القضاء للمسئولية الجنائية للمتهمين، وهو التحديد الذي يستوجب فحص المسببات المتعددة لوقوع الجريمة وتقدير مدى ما أدت إليه من اختلال في قوى المتهم العقلية وقدرته على مقاومة ارتكاب الجريمة.

وفي الفصل الثامن من الكتاب يعرض المؤلف للأساليب العلاجية المختلفة للمنحرفين والمجرمين خاصة في مجال العلاج النفسي والطب العقلي والتنويم المغناطيسي والعلاج السلوكي ويؤكد المؤلف في هذا المجال على ضرورة المام العاملين في الهيئات الشرطية والقضائية بهذه الأساليب لحسن إدارة التحقيقات والتعامل الصحيح مع الجناة حسب ما يعتريهم من أمراض عقلية أو نفسية حيث يجب أن يحتل علاجهم الطبي أو النفسي مرتبة متقدمة في تقويم سلوكهم وإعادة تأهيلهم للحياة الاجتماعية.

وفي الفصل التاسع والأخير من الكتاب يعرض المؤلف دراسة ميدانية تدور حول استبصار الشباب للإرهاب من خلال استبانة تتضمن مجموعة من الأسئلة تدور حول آراء الشباب في ظاهرة الارهاب ومن أهم النتائج التي أوصلت إليها هذه الدراسة اتجاه رأي عينة الدراسة إلى أن الإرهاب يتضمن إزهاق أرواح أبرياء ويدمر الاقتصاد القومي وأنه رغم تستر الإرهاب وراء الدين إلا أنه يتضمن سلوكاً ونزعة إجرامية غير مشروعة ترتبط غالباً

بالتطرف والعنف والتعصب السياسي، الأمر الذي يجعله سلوكاً معادياً ومضاداً لقيم المجتمع قد يعزى في كثير من الأحيان إلى أمراض نفسية أو عقلية تصيب مرتكبي الأعمال الإرهابية.

ثانياً: تعليق انتقادي على الكتاب

لا شك أن الكتاب قد غطى ما قصد تحقيقه من أهداف تبلورت في إثبات الصلة القوية التي تربط بين الأمراض العقلية والنفسية واتجاه السلوك إلى الانحراف تجاه الجريمة. كما أن الكتاب نجح في القاء الضوء بصورة متعمقة على مختلف صور وأعراض الأمراض العقلية والنفسية على اختلاف مسمياتها مبرزاً في ذات الوقت مدى تأثيرها وتأثرها بالسلوك الإجرامي، وقد أورد المؤلف أفكاره بصورة مبسطة يستطيع القارىء العادي أن يتفهمها رغم تعقد المصطلحات العلمية الطبية والنفسية المتصلة بها.

غير أن الملاحظة الأساسية في أن عرض المؤلف للأبعاد العقلية والنفسية في الكتاب قد شابه الكثير من التكرار في العديد من أجزاء الكتاب حيث يبدو ـ في اعتقادنا ـ أن المؤلف، استعان بعدة بحوث متفرقة سبق له إعدادها بصورة منفردة وفي مناسبات متعددة في تحرير فصول كتابه، ويحتاج الأمر لمراجعتها للتخلص من هذا التكرار.

كما أنه بالنسبة لتناول المؤلف للموضوعات المتصلة ببعد الجريمة قد جاءت بصورة مسطحة ينقصها التعمق الواجب خاصة في مجال حديثه عن الإرهاب وهو أمر يعزى ـ في اعتقادي ـ إلى تركز تخصص المؤلف العلمي في علم النفس وإن كان ذلك لم يؤثر كثيراً في إبراز الارتباط بين الجريمة والأمراض العقلية والنفسية.

هذا بالإضافة إلى ما لاحظناه من أن المؤلف قدم في آخر الفصل السادس عرضاً لدراسة ظاهرة العنف أسبابها وسبل علاجها إلا أنه اكتفى في هذا الجزء بمجرد التقديم له دون استكمال الأجزاء الخاصة بالأسباب وسبل العلاج.

ورغم الملاحظات السابقة فقد جاءت لغة الكتاب واضحة ومفهومة وتقل الأخطاء اللغوية فيه، فضلاً عن صدوره في طباعة جيدة وغلاف أنيق، إلى جانب أن مضمونه - وهذا هو الأهم - يقدم إضافة جيدة للمكتبة الأمنية.

□ التقارير العلمية

تقرير عن ندوة:

الجريمة المنظمة وأساليب مواجهتها في الوطن العربي

الاسكندرية ٢٢ ـ ٢٤/ ١/ ١٤١٩هـ الموافق ١٨ـ٢٠/ ٥/ ١٩٩٨م

د. عادل عبدالجواد محمد الكردوسي(*)

مقـــدمة:

نظمت أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالتعاون مع الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا والنقل البحري الندوة العلمية السابعة والأربعين خلال الفترة ٢٢ ـ ٢٤/ ١٤١٩هـ الموافق ١٨ ـ ٢٠/ ٥/ ١٩٩٨م، بعنوان «الجريمة المنظمة وأساليب مواجهتها في الوطن العربي» وعقدت الندوة بقاعة المؤتمرات بالأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا، بميامي، بالاسكندرية، وحضر الندوة حشد من الخبراء والباحثين والأساتذة والمهتمين بالجريمة المنظمة، وقدشارك في هذه الندوة وفود من الدول العربية التالية: المملكة الأردنية الهاشمية، دولة الإمارات العربية المتحدة، دولة البحرين، جمهورية الجزائر الديمقراطية، المملكة العربية السعودية، الجمهورية العربية السورية، دولة قطر، الجمهورية اللبنانية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية الشعبية العظمى، جمهورية مصر العربية.

(*) باحث مصري، دكتوراه في علم الاجتماع

وفي ختام الندوة تم استعراض التقرير الختامي والتوصيات.

ويستعرض هذاالتقرير الهدف من الندوة والافتتاح وعناوين البحوث التي عرضت في هذه الندوة، وعرض مختصر لهذه البحوث ثم التوصيات.

أهداف الندوة:

تهدف هذه الندوة لإلقاء الضوء على التعريف بالجريمة المنظمة في العالم عموماً وفي الوطن العربي على وجه الخصوص، مع تحديد خصائصها ثم استكشاف الأبعاد الاقتصادية للجريمة المنظمة. واستعراض أبعاد التقنية للجريمة. ثم إلقاء الضوء على دور الجريمة المنظمة في عالم النقل البحري، والتعرف على أهم الوسائل المتاحة للتصدي للجريمة المنظمة اجتماعياً ونفسياً وإعلامياً وقانونياً.

الافتتاح:

أ ـ بدأت الندوة بقراءة لبعض الآيات من القرآن الكريم.

ب ـ كلمة أ. د. عبدالعزيز بن صقر الغامدي رئيس أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ألقاها نيابة عنه د. جمعان بن رشيد أبا الرقوش، مساعد رئيس الأكاديمية، حيث تحدث عن الجريمة المنظمة باعتبارها تمثل نمطاً خطيراً من السلوك الإجرامي، وأشار لاجتماع هذا العدد من الخبراء واجتماع «أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية» لهذا اللقاء العلمي مع استضافة مصر لهذا العمل العلمي.

وأشار إلى أن أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية عندما تضع برنامجها السنوي تضع في اعتبارها ما سوف تكون عليه الخدمة الأمنية في وطننا العربي، مع تحقيق الأمن والسلامة للمواطن العربي. ويتضح

ذلك من خلال الدراسة أو البرامج أو الأبحاث والدراسات التي تشارك بها مع الهيئات الدولية في هذا المجال.

ثم وجه الشكر باسم أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية إلى أكاديمية النقل البحري لمشاركتها في هذا العمل، وتحدث عن أهمية الأمن مبيناً أهمية أن ينشأ ويترعرع أي عمل في ظل الأمن.

ثم ألقى الضوء على اهتمام وزراء الداخلية العرب بالأمن، ثم شكر الحضور والمشرف العلمي لهذه الندوة وكل القائمين على تنفيذ هذا العمل.

ج ـ تحدث أ. د. السيد عبدالجليل عميد كلية النقل والتكنولوجيا فأشار إلى أن الجريمة كانت فردية، ثم صارت منظمة على شكل جماعات أو عائلات أو ما يسمى بالقرصنة البحرية (في لغة البحر) وما نعاصره اليوم أن بعض الدول تقوم بالجريمة المنظمة سواء في المنطقة العربية أو بقية العالم.

ثم بين أن الجريمة البحرية قد عادت بعد أن اختفت وتقوم بسلب ونهب ما على السفينة. واليوم نجابه الجرائم بشكل جديد، ولم تعد القرصنة البحرية كما كانت بل امتدت لتشمل المستندات البحرية.

فاليوم نحن نتعرض لنوعية جديدة من الجرائم المنظمة تنظيماً جديداً وأشار لأهمية التعاون بين الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا والنقل البحري وأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية لوضع تصور وحلول لهذا النمط من الجريمة/ .

عناوين البحوث والأوراق العلمية:

١ ـ بحث عن: ماهية الجريمة المنظمة ـ د. محمد سليمان الوهيد.

٢ ـ بحث بعنوان الجريمة المنظمة والبناء الاجتماعي ـ أ. د. علي عبدالرازق جلبي.

٣ـ بحث يتناول الجوانب الاقتصادية لغسيل عوائد الجريمة المنظمة ـ د. محمد محمد علي ابراهيم.

٤ ـ بحث يهتم بالتقنية والإجرام المنظم ـ د. ذياب البداينة.

٥ ـ بحث النقل البحري والإجرام المنظم: التسلل البحري ـ الربان مدحت عباس خلوصي

٦ ـ بحث عن: الاحتيال البحري ـ قدمه الربان محمد طلال الشواربي

عرض موجز لبحوث الندوة:

١ ـ عرض د. **محمد سليمان الوهيد**، بحثاً بعنوان «ماهية الجريمة المنظمة» حيث أشار للجريمة المنظمة في الدول العربية مبيناً أن الجريمة المنظمة نمط إجرامي يتلاءم مع بناء المجتمعات الحديثة التي تسودها مستويات عالية من العقلانية في التفكير إلى جانب امتلاك هذه المجتمعات لقدرات تكنولوجية عالية، إضافة إلى درجة من الضبط والسيطرة على المجتمع بواسطة أجهزة مركزية لها فاعليتها القوية، الأمر الذي يسر لها السيطرة الكاملة على نمط الجريمة التلقائية، موضحاً أن ظهور الجريمة المنظمة يعد الصيغة الإجرامية التي تتلاءم مع هذا النمط المجتمعي المتطور، مميزاً بين ثلاثة أنماط من الجريمة، الجريمة الآنية (الصدفة)، الجريمة المحترفة الجريمة المنظمة.

وبين أنه من المتوقع أن يلعب الدين والثقافة العربية المرتبطة به دوراً أساسياً وفعالاً في الحفاظ على المجتمعات العربية من أن تسودها معدلات عالية من الجريمة المنظمة.

فيما يتعلق بالجريمة المنظمة في إطار النظرية العامة للتجريم، بين أن النظرية العامة للتجريم اهتمت بالجرائم والانحراف التقليدية ذات الطبيعة التلقائية والفردية. وعرف الجريمة المنظمة باعتبارها ظاهرة معقدة تنتظم في سلسلة من النشاطات الموزعة ذات الطبيعة غير القانونية، مثل تنظيم المقامرات، الاحتيال المرتبط بالقروض، المخدرات، الانحراف الجنسي، وهذه تسمى عموماً الشرور المنظمة، وقد تكوت ذات جذور محلية محددة، أو على مستوى مجموعة من الدول.

وعرض لبعض مميزات الجريمة المنظمة من حيث الحجم وسلسلة الأوامر والتعليمات والتخطيط المعقد، واللجوء إلى القوة أو التهديد باستعمالها والقيادة المركزية في القمة تعتبر من أهم خصائصها

ويشير «دانيال بل» إلى أن الجريمة المنظمة ترتبط بالظروف الاجتماعية والاقتصادية في مجتمعات المدينة التي تتقبل الانحرافات الإجرامية، وعرض لمجموعة من الظروف والشروط التي تدعم تنظيم الجريمة.

بالنسبة لأنماط الجريمة في الدول العربية عرض لمفهوم الجريمة موضحاً أن أميل دوركايم (Durkhiem) يرى أنه ليس هناك مجتمعاً إنسانياً يمكن أن يكون خالياً من الجريمة.

ومن الفرضيات الرئيسة في علم الإجرام ارتباط النمط الإجرامي بطبيعة النموذج البنائي الذي يظهر في إطاره، ثم أشار إلى الانتعاش الاقتصادي

والإجرام، حيث تشير معظم الإحصاءات والدراسات إلى أن جرائم الأموال كالسرقة والرشوة المادية ينخفض معدلها في حالات الرخاء الاقتصادي، وتكثر الجرائم المتعلقة بالجنس والغباء واللواط وتعاطي المخدرات، ثم أشار لآثار الكساد الاقتصادي على نمو الجريمة.

وحدد الجرائم المنظمة في دول الخليج العربية على النحو التالي:

١ ـ جرائم مالية ترتبط بالديون والبنوك والتحويلات العينية والنقدية.
٢ ـ جرائم أخلاقية وترتبط بالجنس والمخدرات.
٣ـ جرائم مركبة تكون أهدافها الأولية غير واضحة بالنسبة للمستويات الدنيا من الشبكة الإجرامية، كالعمل مثلاً على زعزعة الاستقرار الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي، وعرض لمجموعة من الحقائق الرئيسة لتحديد طبيعة ظاهرة الجريمة المنظمة في مجتمعات الخليج.

وعرض للخدرات كنموذج للجريمة، حيث تتوفر فيها خصائص هذا النمط الإجرامي، فهو عمل مقصود ومتعمد، ويشارك في تخطيط وتنفيذ الأعمال الإجرامية في المخدرات عدد كبير من الأفراد، وأيضاً هي جريمة تتم عبر الدول، وبدأت المخدرات تنتشر في مجتمعات الدول العربية في الخليج بكميات كبيرة، لأسباب:

١ ـ فترة التحول وتفكك الأبنية التقليدية كالأسرة.
٢ ـ البنية الثقافية لمجتمعات الخليج شهدت تغيرات جذرية في منظومتها القيمية مع انتشار ظاهرة (الأنومي) بالمعنى الذي يقصده روبرت ميتون (R. Meretion).
٣ـ الجزيرة العربية داخل دائرة المخدرات، تحيطها الدول المنتجة، أو التي تعيد تصنيعها وتصديرها.

٤ ـ العمال الوافدة وينقل بعضها هذه المادة إلى المجتمعات العربية في الخليج.

٥ ـ يساعد الرخاء الاقتصادي النسبي الذي تشهده دول الخليج العربية على انتشار المخدرات.

٦ ـ وفي آخر قائمة العوامل الدافعة للمخدرات الفضول والميل إلى التجريب والمغامرة وبحث البعض عن اللذة الممنوعة.

كشف أن مادة الهيروين هي أكثر المواد انتشاراً واستهلاكاً في مجتمع الخليج، وأن دولة الإمارات العربية المتحدة هي الدولة التي ضبطت فيها أكبر كميات من المواد المخدرة المختلفة، وقلة حجم المخدرات المضبوطة من مختلف الأنواع في المجتمع السعودي.

فيما يخص نحو سياسة اجتماعية لمواجهة الجريمة المنظمة بين أن هناك الكثير الذي يقترحه العلماء تجاه محاربة الجريمة المنظمة ورفع الوعي العام لخطورتها، مع الاستفادة من طبيعة شعوب دول الخليج العربية المحافظة باستخدام الضبط الاجتماعي، وأن تقوم الاستراتيجية الأمنية بدور المبادرة.

وبين أن الثبات والحركة في سياسات قوى الأمن لمواجهة الجريمة المنظمة تقتضي:

١ ـ ثبات السياسة طويلة المدى تجاه الجريمة المنظمة.

٢ ـ سرعة الحركة في التنظيم وإعادة التنظيم للكوادر الميدانية الأمنية بما يتوافق والأبعاد الإجرامية القائمة.

٣ ـ تزويد الجهاز الأمني بالمهارات اللغوية والمعلومات الفنية لمتابعة الجريمة المنظمة.

٤ ـ إعطاء حرية نسبية ضمن تدرج مرسوم ينظم الضبط والمحاكمة والعقاب بصورة تعطي خصوصية كافية لطبيعة الجريمة المنظمة .

٥ ـ جعل سياسات متابعة وتحليل الجريمة المنظمة باعتبارها «سياسات دولية» .

٦ ـ ربط نشاطات وزارة الخارجية بقوى الضبط القانونية والشرعية .

٧ ـ بذل المزيد من المنح للدراسات المختصة بمستقبليات الجريمة المنظمة وربطها بمفهوم الأمن الشامل للبلاد .

٨ ـ إنشاء شبكة معلوماتية تربط بين المجتمعات التي يقيم بعض أفرادها داخل دول الخليج العربية .

٩ ـ مراقبة سيولة الأموال دون تقييد حريتها .

١٠ ـ تبادل المعلومات الفورية بين أجهزة الأمن في الدول الخليجية

١١ ـ عقد الدورات المختلفة لرجال الأمن .

١٢ ـ إن عناصر الأمن ورجاله هم عامة الشعب ، فيجب أن يجدوا الحوافز المادية والمعنوية والتقدير العام لهم .

٢ ـ تناول أ.د. **علي عبدالرازق جلبي ، في بحثه «الجريمة المنظمة والبناء الاجتماعي»** وبين أن المنظمات غير المشروعة أصبحت تشكل خطورة وتهديداً لمختلف الدول ، فلقد اتجهت الجريمة المنظمة لتدويل نشاطها ، موضحاً ضرورة قيام العلماء في الأنثروبولوجيا بفحص وتحليل الجوانب المختلفة من الجريمة المنظمة .

وميز بين الجريمة الاحترافية والجريمة المنظمة على أنها مشروعات عمل نظمت لتحقيق الكسب الاقتصادي من خلال نشاطات غير قانونية ، وأن جماعات النواصي Street Corner وتجمعات الجيرة والأحياء والتي غالباً ما

يطلق عليها اسم عصابات الجانحين بمثابة أمثلة جيدة على التنظيمات الإجرامية غير الرسمية .

بالنسبة للتنظيمات الإجرامية والسياق البنائي الأكبر، شهدت التنظيمات الإجرامية نمواً تنظيمياً ملحوظاً في الآونة الأخيرة، وظهرت تنظيمات إجرامية عابرة للقارات ومتعددة الجنسيات، ثم أشار إلى :

١ ـ تعقد البناء التنظيمي وتنوع أهداف التنظيمات الإجرامية

٢ ـ الصلات المتبادلة بين التنظيمات الإجرامية وصور الانحراف الأخرى في المجتمع (انحراف الصفوة وانحراف الجماهير) وتشتمل على :

أ ـ الصلات الملموسة .

ب ـ الصلات الرمزية .

٣ ـ العلاقات التكافلية بين التنظيمات الإجرامية والنظم الاجتماعية المختلفة في المجتمع من حيث تبادل المنافع والخدمات وأن تكفل كل منها الأخرى في خدمة أهدافها الخاصة، كالعلاقة بين .

أ ـ التنظيمات الإجرامية والنظم السياسية .

ب ـ التنظيمات الإجرامية والنظام الاقتصادي .

فيما يتعلق بآليات نمو التنظيمات الإجرامية، وضح أنه يقصد بالآليات مجموعة التكنيكات المختلفة التي تستخدمها التنظيمات الإجرامية وتعتبرها جزءاً لا يتجزأ من طريقة تنفيذ أنشطتها، أو هي وسائل خاصة بها، ثم أشار إلى :

١ ـ غسيل الأموال القذرة .

٢ ـ الفساد .

٣ ـ الطلب الاجتماعي على السلع والخدمات غير المشروعة .

بخصوص عولمة التنظيمات الإجرامية ونتائجها الاجتماعية، أشار لظهور تنظيمات إجرامية متعددة الجنسيات وعابرة للقارات، هذا فضلاً عن أن التنظيمات الإجرامية تمثل عنصراً متكاملاً في النظام الرأسمالي، وأشار إلى :

عولمة التنظيمات الإجرامية وهيمنة النظام الرأسمالي العالمي مبيناً إسهام النمو التنظيمي للتنظيمات الإجرامية في زيادة أعداد هذه التنظميات، وفي تعقد بنائها واكتسابها كثيراً من مظاهر الرشد والعقلانية والتحديث، وفي تنوع وظائفها واتساع نطاق نشاطاتها، ومن الأمثلة على المنظمات الإجرامية عبر الدول :

أ ـ المافيات الإيطالية .

ب ـ الإجرام الروسي المنظم .

ج ـ الجمعيات الثالوثية الصينية .

د ـ الباكوزا اليابانية .

هـ ـ الكارتلات الكولومبية

و ـ المنظمات الإجرامية النيجيرية .

بالنسبة للتنظيمات الإجرامية في بلاد العالم النامي ونتائجها الاجتماعية، بين أن احتمالات ظهور التنظيمات الإجرامية في بلاد العالم النامي في ضوء العولمة وهيمنة النظام الرأسمالي العالمي، احتمالات مؤكدة حيث اتجهت إلى إصلاح مسارها الاقتصادي، فمواردها ليست تحت السيطرة التامة، وهي هدف سهل لنشاط عصابات الجريمة، مما يسهل انتشار الفساد، وهناك نتائج اجتماعية أخرى للتنظيمات الإجرامية تتمثل

فيما تشكله من تهديد للأمن والاستقرار الداخليين للدول ذات السيادة وربما للسلام الاجتماعي في هذه الدول

٣ـ استعرض د. **محمد محمد علي ابراهيم** في بحث. «الجوانب الاقتصادية لغسل عوائد الجريمة المنظمة» إلى أنه يترتب على أنشطة الجريمة عوائد ضخمة لمرتكبيها، وقد تتخذ كقرينة على ارتكاب الجريمة، لذا يعمد مرتكبو هذه الجرائم إلى غسيل هذه الأموال بإدخالها في نشاط مشروع ثم إعادتها إلى القنوات الرسمية.

بخصوص التكلفة على المستوى القومي تعادل ٣٪ من موازنة الدول المتقدمة، ٩٪ من موازنة الدول النامية.

وأشار للأساس القانوني لمواجهة ظاهرة غسيل الأموال:

١ ـ على المستوى الدولي

٢ ـ على المستوى المحلي.

ثم عرض لبعض المتغيرات العالمية مثل العولمة والتحرر الاقتصادي وانتقال رؤوس الأموال بالنسبة لمراحل غسيل الأموال.

وتنقسم إلى ثلاث مراحل هي:

١ ـ الإيداع أو التوظيف Placement.

٢ ـ التمويه Layering.

٣ ـ التكامل Integration.

وأشار للعلاقات بين مراحل غسيل الأموال والجريمة المنظمة، والتصرفات العينية في عوائد الجريمة المنظمة بهدف غسلها، وعرض لبعض

الوسائل المتبعة في عمليات غسيل الأموال ومنها، الإيداع بالبنوك وتحويلها عبر الفروع المختلفة تحويلات مصرفية، عمليات التصدير والاستيراد، شراء أصول عينية.

فيما يتعلق بتقدير الأموال المغسولة تقدر عوائد الجريمة المنظمة بنحو ٥٠٠ بليون دولار سنوياً أي نحو ٢٪ من الناتج المحلي الإجمالي لجميع دول العالم. ثم أشار إلى الآثار الاقتصادية لغسيل الأموال وهي آثار مباشرة غير مباشرة.

٤ ـ قدم د. ذياب البداينة بحثاً عن «التقنية والإجرام» حيث تناول الجرائم المنظمة مبيناً أن لجنة منع الجريمة (الأمم المتحدة) عبرت عن الاهتمام الدولي بموضوع أثر التقنيات في الجريمة المنظمة في اجتماعها السادس (٢٨/ ٤ـ٩/ ٥/ ١٩٩٧) وعربياً فإن مجلس وزراءالداخلية العرب قد أدرج في جدول أعمال لجنة الجرائم المستحدثة عام ١٩٩٧ دراسة موضوع جرائم الانترنت.

بخصوص مفهوم الجريمة المنظمة Concept of Organized Crime: فهي منظمة اقتصادية إجرامية توحد الجماعة حول مصالحها الاقتصادية وهي مبنية على نظام اجتماعي من القواعد التي ترتب الجماعة مع بعضها البعض.

ثم استعرض خصائص الجريمة المنظمة وهي:

١ ـ الاستمرار التنظيمي (Organizational Continuity).

٢ ـ البناء الهرمي (Hierarchical Structure).

٣ ـ العضوية المحدودة (Restricted Membership).

٤ ـ القوة والعنف والإجرام (Criminalty, Violence & Power).

٥ـ الانغماس في الأعمال الشرعية (Legitomat Business Involvement).

٦ ـ استخدام الأخصائيين (Use of Specialists).

فيما يتعلق بتنظيم الجريمة المنظمة: فهي ذات بناء تنظيمي عال، حيث يمثل أعلى الهرم ما يسمى بالـ (Lords) مسؤولون عن اتخاذ القرارات الهامة وهناك القليل من المعلومات عنهم في القاعدة فهناك المجرمون (Offender) الذين يقومون بتنفيذ العمليات والتعامل مع العامة مباشرة.

بالنسبة لمخاطر الجريمة المنظمة: يمكن تلخيصها في ثلاثة أبعاد هي:

١ ـ البعد الاجتماعي (Social).

٢ ـ البعد السياسي (Political).

٣ ـ البعد الاقتصادي (Economic).

فيما يتعلق بالمجتمع التخيلي والانترنت والجريمة المنظمة بين أن طريق المعلومات السريع الذي سيربط العالم مكوناً مجتمعاً تخيلياً يمكن الأفراد من التفاعل عن بعد ويغير الكثير من مفاهيمنا وحقائقنا الحياتية والاجتماعية.

وأشار إلى أن العولمة بجوانبها أدت إلى عولمة الجريمة المنظمة، فوسق الجريمة قد تعولم بفعل التغيرات العالمية في الاقتصاد والاتصالات.

بخصوص التقنية والمجتمع وتعني استخدام وسائل مفيدة ناتجة عن تطبيق المعرفة العلمية في الحقول المختلفة، وأن سوق المعلومات الكونية ستكون هائلة وستجمع الطرق المختلفة التي يتم فيها تبادل المعلومات والسلع والأفكار الإنسانية. فاستثمار التقنيات وتوظيفها في تنفيذ وإدارة أعمال

الجريمة المنظمة أمر متوقع. وتتطور أنماط الجريمة تبعاً للتطور التقني في المجتمع. إلا أن آثار هذه التقنيات قد تركزت في عولمة الاقتصاد والإعلام، والثقافة وعولمة الجريمة، والمخدرات، ولقد استخدمت جماعات الجريمة العالمية الحاسبات ونظم الاتصالات في غسيل أموالها خاصة في مجال المخدرات، كما يمكن أن تستخدم هذه التقنيات في عمليات الإرهاب الدولي، والاختطاف .. الخ، وأشار إلى أن التقنية جعلت الجريمة المنظمة بلا حدود فالجرائم المنظمة سيكون العالم كله مسرحاً لها.

بالنسبة للجريمة المنظمة والتحكم عن بعد، نظراً لتوافر تقنيات الاتصال الحديثة فالتحكم في إدارة العملية الإجرامية أوالإرهابية يمكن أن يكون في مكان ما بعيداً عن هدف الجريمة.

بالنسبة للجريمة المنظمة وجرائم الحاسب أصبح استخدام التقنيات وخاصة الحاسب سمة من سمات العصر، وكأي نوع آخر من التقنيات، واكب هذا الاستخدام نتائج سلبية كذلك أهمها جرائم الحاسب، وجرائم الحاسب ظاهرة عالمية، وتعد هذه الجرائم مثلها مثل أصحاب الياقات البيضاء من الجرائم التي يصعب التنبؤ بها، وتعد جرائم الحاسب من أكثر الجرائم جاذبية للجريمة المنظمة خاصة في السرقات المالية وتحويل العملات إلى حسابات في أماكن آمنة وغسيل الأموال.

فيما يتعلق بالتقنية كأداة للجريمة بين أنه لكل التقنيات وظائف ايجابية وأخرى سلبية.

بخصوص التقنية كهدف للجريمة، حيث يمكن أن تستهدف الجريمة الحاسب بمعداته الفيزيقية وتوابعه من هذه المعدات والبرمجيات والبيانات والمعلومات المختزنة فيه.

الانترنت (Internet) وتأسست عام ١٩٦٩م كشبكة خاصة للمؤسسة العسكرية الأمريكية وفي الثمانينيات تركت إدارتها إلى الجامعات، وانتشرت في الجامعات الأوربية فالآسيوية، وأصبحت وسيلة أساسية في نقل المعلومات وتبادل البريد الالكتروني.

بالنسبة للأنترنت والنشاط الاقتصادي والجريمة المنظمة بلغ حجم التجارة عبر الأنترنت (٦ , ٢) مليار عام ١٩٩٧م ويتوقع أن يصل إلى (٥ , ٣٧) ملياراً عام ٢٠٠٠، وعن مقدار الأمان (How safe) بين أن الأفراد قد قبلوا الانترنت كمكان آمن لممارسة نشاطهم الاقتصادي.

وهناك ثلاثة مستويات تؤثر في عملية القيام بنشاط اقتصادي أو مالي من خلال الأنترنت وهي الحاجة إلى التأكد من شخصية البائع (the seler) المشتري (the buyer) وعمليات التبادل (exchange) تبادل النقود والبضاعة.

بالنسبة للانترنت والجريمة المنظمة: المنظور الأمني، أشار إلى:

أ ـ توظيف الأنترنت في خدمة الأمن الاجتماعي، فتقنيات الأنترنت المتطورة والمتسارعة يمكن توظيفها في مجالات مكافحة الجريمة، وحماية قواعد المعلومات الحكومية والأمنية، فليس من المستبعد أن يكون مجتمع المستقبل متحكماً به تقنياً كوسيلة من وسائل مكافحة الجريمة. ويمكن استخدام الانترنت في إرسال الرسائل الأمنية للعاملين في القطاع الأمني بشكل دوري ومنظم وسريع.

ب ـ الأنترنت كمهدد للأمن الاجتماعي لقد ظهرت دراسة للأمم المتحدة تبين أن (٢٤ ـ ٤٢٪) من المنظمات في القطاع الحكومي والخاص كانت ضحية لجرائم مرتبطة بالتقنيات (الحاسب والانترنت). ويمكن النظر للأنترنت كمهدد للأمن الاجتماعي وخاصة في المجتمعات المغلقة

والشرقية، لأن الاستخدام غير الأخلاقي واللاقانوني للشبكة قد يصل إلى مئات المراهقين والهواة مما يؤثر سلباً على نمو شخصياتهم النمو السليم، خاصة عند التعامل مع المواضيع الجنسية، وتقديم الصور والمواد الإباحية.

بخصوص التقنية ومكافحة الجرائم المنظمة، يواجه علم الإجرام تحديات في تفسير ومكافحة جرائم التقنيات، وقد يكون بحاجة إلى أنموذج نظري جديد (Paradigm) فالتقنية قد أظهرت مجرم المعلومات، والمجتمع التخيلي وعولمة الجريمة، والجريمة عن بعد والجرائم بلا حدود وكل هذه الأنماط ومفاهيم جديد بحاجة إلى تفسيرات غير تقليدية، وتشمل:

أ ـ المستوى الوطني

ب ـ المستوى العالمي.

٥ ـ استعرض الربان مدحت عباس خلوصي بحث: «النقل البحري والإجرام المنظم: التسلل إلى السفن»، حيث أشار إلى زيادة عدد المتسللين الذين يتسللون خلسة إلى السفن بقصد الهروب من دولهم بطريق البحر بمعدل خطير فحوالي ٥٠٠ حادثة تسلل تقع سنوياً ويرجع سبب الهروب إلى أسباب سياسية واقتصادية وطموحات الناس وتطلعاتهم

وبالنسبة للموانىء مصدر التسلل وهي موانىء غرب افريقيا ونماذج هذه الدول نيجيريا، وغانا، وزائير، وتنزانيا، حيث يهاجرون بحثاً عن الثراء والحياة الرغدة في أوربا أو أمريكا والتسلل كذلك من كولومبيا وهم غالباً من يحملون معهم مادة الكوكايين

فيما يتعلق بعدم حمل المتسلل أي أوراق بين أنه عادة لا يحمل أي

أوراق تثبت شخصيته ويطالب بحق اللجوء السياسي عند وصوله إلى الميناء المقصود.

بالنسبة لطرق التسلل، وهي اتخاذ المتسلل العمل في وظيفة على السفينة كأحد طاقم السفينة كخدعة حتى يمكنه دخول موانىء غرب أوربا وإحدى طرق التسلل الأكثر شيوعاً الآن هي التسلل داخل الحاويات.

وطرق دفع المتسلل إلى الخروج هي، الطريق الأولى هي طريقة الطرق على الحاويات أو باستعمال صفارات ذات نغمات صاخبة أو بواسطة إحداث ضوضاء عالية داخل الحاوية أو بتسليط خرطوم مياه ذو ضغط عال داخل المكان الذي يتوقع اختباء المتسلل فيه، اما الطريقة الثانية فهي قنابل الدخان التي تطلق دخاناً غير سام، وطريقة ثالثة بدفع هواء مضغوط خلال خطوط إطفاء الحريق، وهناك طريقة أخرى تعرف بالطريقة السيكولوجية أو استعمال طريقة الإغراء.

فيما يخص خطورة المتسللين على السفينة فمن الأخبار السيئة التي يجزع ربان السفينة عند سماعها هي تبليغه بوجود متسللين على السفينة، وتخوف الربان من محاولة الاستيلاء على السفينة. والمشاكل التي ستواجهها السفينة هي أن يصبح المتسلل عبئاً يتعين على ربان السفينة في إعادته إلى الميناء الذي تسلل منه ويتم ذلك على نفقة مالك السفينة ويعتبر ذلك خطأ وتقصيراً من ربان السفينة في الحراسة والمراقبة والتفتيش.

وعرض لغياب الاتفاقيات الدولية، لأنه حتى الآن لا توجد أي اتفاقيات دولية نافذة تحدد كيفية إنزال المتسلل من السفينة، وفي أي ميناء ستيم إنزاله بعد اكتشافه والأمر مطلق لتقدير ربان السفينة، والآثار المترتبة

المترتبة على ذلك (آثار غير إنسانية) فبعض ربابنة السفن يلقون المتسلل في البحر وإذا عجزت السفينة عن إنزال المتسلل في أي ميناء سيبقى على السفينة إلى الأبد.

وعن مسؤولية سلطات ميناء التسلل فهي مشتركة مع مالك السفينة في التقصير الذي سبب هروب المتسلل.

بالنسبة لسلطات الموانىء الأخرى فعند تبليغ الربان بوجود متسلل يلزم تعيين مراقبين للمتسلل ويتحمل الربان مسؤولية هروب هذا المتسلل، وعلى سلطات الموانىء أن تضع إرشادات لربابنة السفن بالتبليغ عن أي متسلل على السفينة، وعرض لقرار المنظمة البحرية الدولية رقم أ ٨٧١ (٢٠) وبعض الاستنتاجات الخاصة بالتسلل

٦ ـ بحث الربان **محمد طلال الشواربي** بعنوان «**الاحتيال البحري**» وعرض لأطراف جريمة الغش والاحتيال البحري وهم:

١ ـ ملاك السفن.

٢ ـ الناقل البحري.

٣ ـ أصحاب البضائع

٤ ـ المغامرون

٥ ـ شركات الشحن والتفريغ والوكلاء الملاحيون

وعرف الغش البحري Maritime Fraud بأنه يحدث عندما يتواطأ أحد الأطراف سواء كان بائعاً أو مشترياً أو مالك سفينة أو مستأجراً أو مؤمناً أو بنكاً أو وكيلاً أو ربان سفينة وينجح بصفته الدولية في الحصول بغير شرعية قانونية على نقود أو بضاعة من الطرف الآخر للصفقة، ويكون قد تعهد له

بالوفاء بالتزام محدد سواء كانت إلتزامات مالية أو مادية، وفي بعض الحالات يشترك عدة أطراف في الاحتيال.

بالنسبة لنطاق أو مدى الغش، فهو من المشاكل الرئيسة على النطاق الدولي التي تؤثر على الدول النامية والمتقدمة، وعرض لتصنيف الغش البحري، وغش المستندات وغش مشارطات الايجار.

وبين أن أسباب انتشار حدوث الاحتيال البحري هي:

١ـ الدوافع الاقتصادية للأفراد.
٢ـ الدوافع السياسية والاقتصادية للدول.
٣ـ تعدد الأطراف المتعاملة في النقل البحري.
٤ـ سرية أعمال التجارة والنقل البحري (البيوع البحرية).

وقام بتقسيم حالات الاحتيال البحري إلى:

أولاً: احتيال ملاك السفن على الشاحنين وشركات التأمين وذلك عن طريق:

أ ـ ضد أصحاب البضائع وتشمل:

١ـ الانحراف عن خط السير وبيع الحمولة (البضائع).
٢ـ إعلان العوارية العامة (الخسارة العمومية) بدون سبب حقيقي.
٣ـ التواطؤ لإثبات عدم صلاحية البضائع أو رفضها من سلطات ميناء الاستلام وإعادة شحنها أو بيعها.

ب ـ ضد شركات التأمين وتشمل:

١ـ الإغراق المتعمد للسفينة.

٢ ـ الحريق أو الإتلاف المتعمد للسفينة .

٣ ـ المبالغة في القيمة التأمينية للسفن

ثانياً: التأجير التنازلي أو العاري، والتأجير بالمدة، والتأجير بالرحلة.

ثم أشار لحادثة من أهم الحوادث التي حدثت في القرن العشرين وهو غرق الناقلة سالم عام ١٩٨١ ، والتي كانت نتيجة احتيال منظم متكامل اشترك فيه جميع الأطراف من ملاك سفن ، إلى مغامرين إلى وسيط وسمسار عمالة بحرية إلى تآمر من دولة للحصول على البضاعة .

بخصوص الغش لغرض الحصول على التأمين وهذا النوع من الغش يتعلق بالسفينة (بدن وآلات) أو تأمين البضائع أو بحريق أو عدم الكشف أوالإفصاح عن حقائق مادية متعلقة بالقيم الموضوعية للمؤمن له .

فيما يتعلق بالغش المتنوع ويغطي هذا النوع الأنشطة المختلفة للاحتيال مثل غش الوكلاء والوسطاء بالميناء ، كما يشمل السرقة بالإكراه والسطو على البضائع في الميناء أو السفن ، وكلها تعزى إلى عدم كفاية الأمن

فيما يتعلق بمحاولة محاربة ومنع الغش والاحتيال البحري ، بين أن ذلك مشكلة تواجه الدول المتقدمة والنامية ، وعرض لبعض التدابير المطلوب اتباعها لمنع حدوث الغش البحري مثل دور الحكومات ودور المنظمات الحكومية الدولية ، النشر والإعلام البحري ودور المنظمات غير الحكومية والتجارية ، ودور أطراف التجارة الدولية ، والبائع والمشتري وملاك السفن والمستأجرين والمأمنين .

التوصيات

١ ـ توصي الندوة بإعداد دليل إرشادي لأنماط الجريمة المنظمة وتحديد مجالاتها في العالم العربي للقطاعات الاقتصادية والأمنية، على أن تتولى أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية إعداده.

٢ ـ التوصية بالسعي نحو إيجاد قواعد معلومات أمنية عربية من خلال الربط الالكتروني والاستفادة من التقنيات في مكافحة الجريمة عامة والجريمة المنظمة خاصة والوقاية منهما.

٣ ـ العناية بالبرامج التطبيقية الوطنية لحماية أمن المعلومات الأمنية وتزويد الأجهزة الاقتصادية والأمنية بالأخصائيين والكفاءات الفنية لذلك.

٤ ـ التوصية بتنفيذ العديد من الدورات التدريبية والتوعية في مجال الجريمة المنظمة.

٥ ـ تشجيع الدراسات والبحوث العلمية ودعمها في مجال الجريمة المنظمة في المجتمع العربي.

٦ ـ وضع التشريعات والأنظمة المناسبة لمنع الجريمة المنظمة وسوء استخدام التقنيات في مجال الجريمة، والقرصنة البحرية، والتسلل عبر السفن.

٧ ـ تنفيذ البرامج الاجتماعية الوقائية لمكافحة الفقر والبطالة لمنع تكون ثقافات فرعية داعمة للانحراف والجريمة.

٨ ـ التوصية بنشر أعمال الندوة والمناقشات التي أثارتها وتبادلها مع الأجهزة الأمنية العربية.

□ ملخص البحوث باللغة الانجليزية

been organized with 49 participants. Courses were held in Riyadh and Austria.

1-6 Technical training in Computers: 3 courses has been organized with 111 participants the courses were held in NAASS campus.

2 Technical Training in Forensic Sciences: The training institute in the Academy has organized many courses in four major areas in Forensic Sciences as follows:

2-1 Technical Training in Forensic Chemistry.

2-2 Technical training in Fisical Evidences.

2-3 Training training in Forensic Biology.

2-4 Technical training in Forensic Photography.

In all these areas the Academy has organized upto 1997, 115 training courses with 796 participants. Most of these courses were held in Riyadh while some were held in China.

3 - Introducing modern security technology: The Academy tries every year to organize exhibition for the modern security devices. The NAASS has organized upto 1997 twenty five security devices exhibition. Many Arab officials were invited to these exhibitions which were attended by many manufacturers from all the world.

4 - The use of technology in training: NAASS has established a department named "Educational Technology Division" which concern in providing the trainers and instructors with the modern technology to be used in the courses. This Department has producting and providing and introducing many visual aids as well as television series for training and security awareness.

This paper concluded that 44% of training courses held in NAASS were technical in nature.

The study recommended some areas to be improved, such as the computers labs the training fields and forensic science devices. The study encouraged the NAASS to continue this outstanding job in terms of technical training.

Technical Security Training: Regional Practice
«Role of NAASS in terms of technical training of the Arab Security Personnel»

By: Brigadier Dr. Fahad A. AlShalan

This study highlights the segment of technical training in the Naif Arab Academy for Security Sciences NAASS as the scientific body of the Arab Ministers of Interior Council.

The training in general has been the focus of NAASS since it was founded in 1980. The technical training in particular has been given close attention by the Academy because of the real need in the part of Arab security agencies.

This paper divided the areas of technical training into four major areas as follows:

1 - Technical Training in Security subjects: The training institute in the NAASS has organized many training courses in six technical aspects which are:

1-1 Training courses in confronting frogery: 5 courses has been organized with 110 participants. The courses were held in Riyadh, Paris and Germany.

1-2 Technical training in Criminal Investigation: 6 courses has been organized with 95 participants. The courses was held in Riyadh, Germany, Netherlands, and Paris.

1-3 Technical training in Security of communications: 4 courses has been organized with 169 participants. Courses were held in the NAASS campus.

1-4 Technical training in Explosives: 2 courses has been organized with 83 participants. Courses were held in Riyadh, and Paris.

1-5 Technical training in protection from Radiation: 2 courses has

Traffic and the Environment: Vehicle Environmental Impacts.

By: Dr. Ala Al Bakri

Traffic Environmental Impact Policies are taking an increasing importance in many countries in general and in the Arab countries in particular. Many studies concluded that vehicle emission is more severe in developed countries in comparison with developing countries. This warrants the importance of formulating preventive measures in developing countries benefiti from experiences learned from the developed world.

Very few studies were conducted in the Arab countries to measure pollutants emitted by vehicles. This study is conducted based on data gathered from the Jordanian Vehicle Inspection Station during the year 1996/1997. Data were analyzed using descriptive analysis. Both Diesel and Gasoline operated vehicles were used in this research. This research concluded that most pollutants are related to the lack of maintenance and to the age of vehicle. Human factors were behind most pollution. Leaded Gasoline and Sulfur in Diesel were also contributing factors in the pollution measured in this research. This study concluded the need to formulate polices related to emission, accepted pollution levels, inspection methods and vehicle and fuel specifications.

explicate how tribal norm conflict with state modern law. An extensive programms for changing the tribal citizen s loyalty from tribal loyalty to state loyalty is urgent request. We need such change in order to build up our strong Islamic and Arabic nation, which cannot be built as long as we think and act in tribal way.

The Role of Informal Institutions inCrime, and Delinquency Preventions

By: Dr. Abdulrahman. M.Asseri

This study presents the role of three informal institutions (The mosque, the family and the tribe) of preventing crime delinquency. It argues that the family is a frontline defense against delinquency.

Lack closeness with Parent, parental conflict, parent's bad behavior, divorce and family's problems are very important factors. That may lead children to engage in delinquent acts.

Also it shows that the mosque can provides prevention to Moslems communities. Such prevention and security may provide through many channels: for example: Friday speech, prayers, neighbour integration, and God obedience. The Mosque leader (Imam) also can ply a big role of making his communities save and crime free. He would achieve those goals by encouraging neighbours to integrate and help them develop their own security system by increasing their awareness of the effect of delinquent behavior on Moslem community. More over he can encourage them to build up a strong neighborhood crime watching system.

The third part of this study dealt with the roll of the tribe in our Arab society. It is discuses how tribe can be an impediment factor for urbanization. At argue that tribal person might be more loyal to his tribal norms than the state law, which means he will close his eyes on the fault of his cousins or tribal relatives, particularly in the case of smuggling or illegal migrants.

These things are not shame in tribal custom. And that would

Business Incubators and Economic Security

By: Prof. Saad A. El-Gibaly, Ph.D.

In the light of its questions, this research offered the following contributions:

1 - Highlighted the characteristics of the "Enterpreneur".

2 - Offered a multiple-Base Taxonomy of the business incubators.

3 - Proposed a practical model for the intiation and operation of the business incubators.

4 - Suggested a frame work to improve the educational system with emphasis on the the preparation of the enterpreneurs.

5 - Highlighted the impact of the incubators on the economic security of the Arab world.

Based on the research results, the following recommendations were made:

1 - Efforts of all bodies concerned with the initiation and operation of the business incubators should be well coordinated.

2 - Existing business incubators should be subjected to critical review through scientific research.

3 - The proposed model should be subjected to experimentation, and results should be well disseminated.

Effect of Cultural Differences on Negotiation

By: Mustafa Asad Alem

Negotiating from a national identity perspective involves various patterns of social and cultural life that bear an unmistakable impact on the course of negotiations. These patterns can be shown through a comparison of basic cultural concepts prevelent in various societies.

The study attempts to probe the impact of culture on the negotiation process, by shedding light on the relationship between the verbal and non-verbal communication modes and the interaction between the negotiators. If negotiation is simply a communicative act of interaction, then it is possible to establish a firm relationship between culture and negotiation in ways that will be summed up below:

1 - Cultural difference affects the nature and contents of direct verbal communication. Such differences are incarnated in the choice of language, mode of expression and vocabulary. Lucidity of style is one of the most important factors that affect the course of dialog. Another is a consideration of the feelings of the addressee by avoiding threats or promises.

2 - Cultural difference affects the nature and contents of non-verbal communication in several respects. These include personal appearance, intonation, facial expressions, paralinquistic body language that may confirm, oppose, modify or conclude a verbal message.

The study proposes training negotiators in the basics of face-to-face communication, verbal and non-verbal, as well as familiarizing negotiators with areas of cultural difference related to these two patterns of human communication.

At the end, the study offers a number of recommendations. The most important of these is a change of approach, based ona comprehensive strategy. To formulate such a strategy, it is necessary to hold a pan-Arab conference of experts in different fields (environment, education, economics, etc.). This needs time, of course.

But there are two urgent measures that Arab press establishments should take now. The first is to establish close cooperation and coordination with Arab environmental experts, and the second is to train more environmental journalists. Taking these measures would lessen the intensity of the negative aspects of the press coverage of environmental issues and make newspapers better at contributing effectively to Arab environmental security.

Safeer (Lebanon. and Teshreen (Syria). The year 1996 was chosen for this sample because the coverage then was both extensive and intensive. In the content analysis, each separate piece of information dealing with an environmental issue is treated as a unit. These units are grouped according to the generally accepted classification of environmental issues.

The results of quantitative and qualitative analyses of this coverage reveal a number of characteristics. These include:

- a limited interest in environmental issues which is woofully inadequate in the light of the importance. seriousness and weight of these issues;
- lack of a clear. coherent and comprehensive strategy behind coverage policy:
- emphasis on the news aspect with little analysis, interpretation, and in-depth treatment of environmental problems;
- lack of qualified environmental journalists;
- concentration on the local and neglect of the regional and the international;
- poor presentation: and
- inadequate cooperation and coordination with environmental specialists.

In considering these characteristics and others, one finds that problems of environmental coverage in the press and partly procedural and personal and partly structural. They show an approach to journalistic practice which is mainly impulsive and does not take into consideration the latest developments in the subject and the needs of the readership.

The Contribution of the Arab Press to Arab Environmental Security: A Content Analysis of the Coverage of Arab Environmental Issues

By: Prof. Adeeb Khaddour

At the turn of the country, the environment, in all its various aspects, has become one of the urgent key issues on the world's agenda. Its concept has widened to include many areas, and interest in it is shown not only by individuals but also by governmental, non-governmental, and international organizations.

Two main points can be noted in this connection. First, caring for the environment depends on the individual first and foremost. In other words, environmental laws and organizations cannot be effective nor will their aims be fulfilled unless individuals participate willingly in the process on the basis of an awareness that the cause of the environment is everybody's cause. The second point is that the role of traditional means of education in raising environmental awareness is becoming less prominent if compared with the role of modern media, in general, and the press, in particular.

In the Arab world, there are serious environmental issues. These are closely related to political, economic, and social problems, with regional and international dimensions that are increasingly becoming promient.

The aim of this study is to investigate the coverage of environmental issues in daily newspapers in the Arab world and the extent of the contribution of this coverage to Arab environmental awareness and, eventually, to Arab Environmental security. For this purpose, a sample of six newspapers was used: Al-Jazeerah (Saudi Arabia), Al-Ahram (Egypt), Al-Rai (Jordan), Al-Qabas (Kuwait), Al-

The third chapter is a critical study of the effect of the (Muhkamat) in the unity of the nation and the society.

Conclusion:

The conclusion of the subject could be summarized in seven points:

1 - The terminology (Muhkamat) in the Sharia'a means many things. This explains the different meanings that the teared have given this term.

2 - The embracing meaning of Muhkam with all its characteristics is that fundamental which stands by itself and needs no explanation.

3 - The characteristics of (Muhkamat) are that they are evidences, fundamentals and reference for all arguments against the unblievers.

4 - The Muhkamat embrace the individual and the society from all sides and practising them will achieve the objectives of the Sharia'a.

5 - The Muhkamat are a common subject directing the study of especial subjects. Therefore all should know and practice for the realization of the Sharia'a.

6 The Muhkamat are the origin and the foundation of the unity of the nation and the safe guard against differences.

7 - The Muhkamat are the foundation for the realization of the Sharia'a. They are the arguments against the enemies and the doubt among others. All diffences which may spring out should not be taken as foundation for teaching and discipline. All teachers should guard against such ways that may contradict those Muhkamat or cause doubt among common people. For contradicting the Muhkamat will lead people away from the truth which is against the Sharia'a and the unity of the nation and the society.

The perfect Fundamentals of the Sharia'a and its effect on the Unity of Nation and Society

By: Dr. Abid Al-Sufyani

This research is about the perfect fundamentals (Muhkamat) of the (Sharia'a) with the objectives to explain their role in keeping the five essential elements in life: Religion, Selfmind, Behaviour and Property. This is to be achieved by studying what the famous four theologians have said about the perfect fundamentals. I have tried to explain and clarify the aims and characteristics of these fundamentals. I have supported that with practical study to show the effect of the (Muhkamat) regarding the unity of the nation and the society.

The subject is divided into three chapters and an introduction. The introduction is about the characteristics of the Sharia'a. The first chapter is on the meaning of the terminology (Muhkam) according to the four famour schools of Islam. In the second chapter I cited some practical examples of (Mukhamat) to show their characteristics and the arguments supporting that. The third chapter is on the effect of the (Muhkamat) in the unity of the nation (Umma) and society. This is followed by a conclusion and a bibliography.

The first chapter shows that the term (Muhkam) means some thing which is accpeted by all. In language the perfect building is the one which cannot be destroyed. It is the characteristic of every word or idea. The perfect verses in the (Quran) are the fundamentals of Islam about the whole life in every respect. It is said in the Quran: the book included perfect verses which are the fundamentals of the book. The terminology is also used for the traditions of the prophet. The (Muhkam) is what stands by itself and needs no explanation. We mean by (Muhkamat) some thing that is well founded and quite clear. The Muhkam is the orginal and the reference for the society and for the argument to dispute unblievers.

SUMMARIES OF ARTICLES

Contents

ARAB JOURNAL FOR
SECURITY STUDIES & TRAINING

ARAB JOURNAL FOR
SECURITY STUDIES & TRAINING

Issue No: 26
November 1998

Published by: Naif Arab Academy for Security Sciences - Riyadh
P.O.Box: 6830, Riyadh-11452, Kingdom of Saudi Arabia.
Tel: 246 3444 Fax: 246 4713 E.Mail: naass@gcc.com.bh

الأردن	٢ دينار	السودان	١٠٠ جنيه	لبنان	٣٠٠٠ ليرة
الامارات	٢٠ درهماً	سورية	١٣٠ ليرة	ليبيا	٤ دنانير
البحرين	٢ دينار	الصومال	٣٠٠ شلن	مصر	٦ جنيهات
تونس	٢٠ ديناراً	العراق	٢ دينار	المغرب	٢٤ درهماً
الجزائر	٢٠ ديناراً	عُمان	٢ ريال	موريتانيا	٢٠٠ اوقية
جيبوتي	٥٠ فرنكاً	قطر	٢٠ ريالاً	اليمن	٢٠ ريالاً
السعودية	٢٠ ريالاً	الكويت	٢ دينار		

الاخراج الفني والطباعة ـ مطابع أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ـ الرياض ـ هاتف: ٢٤٦٠٠٤٥

ARAB JOURNAL FOR
SECURITY STUDIES & TRAINING



Volume 13 . No.26 . November 1998. Published by: Naif Arab Academy for Security Sciences - Riyadh

ISSN 1241 - 1319